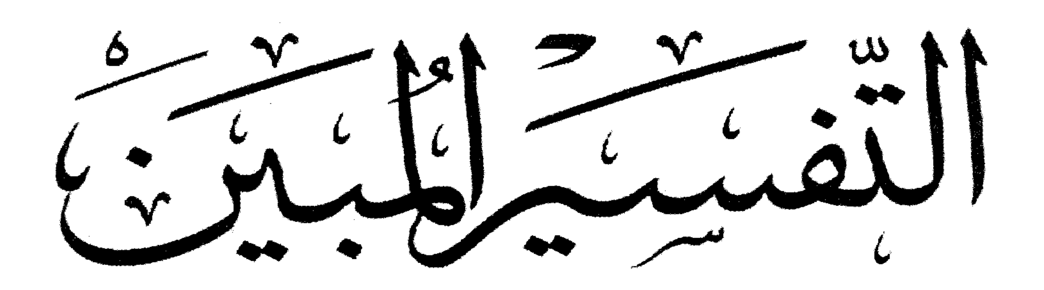


ألّفه وكتبه :

الفقير إلى عفو ربه

الدكتور/ عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد الثامن

ح مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن
التفسير المبين : المجلد الثامن. / عبد الرحمن حسن النفيسه . -
الرياض ، ١٤٢٩هـ
..ص ؛ ..سم
ردمك : ٠-٩-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨
١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ٢٥٢٤ / ١٤٣٠

رقم الايداع : ٢٥٢٤ / ١٤٣٠
ردمك : ٠-٩-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من
الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض
هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة غافر

مكية وآياتها خمس وثمانون آية

﴿حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿حم﴾ من الحروف المقطعة، والله أعلم بمراده منها ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ هذا بيان من الله أنه نزَّل القرآن على عبده ورسوله ووصف ذاته العلية بأنه العزيز بعظمته وقوته فينصر أولياءه، وينتقم من أعدائه وأنه العليم بخلقه وأحوالهم وما يبدونه في سرهم وعلانيتهم ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ كما وصف جل وعلا ذاته العلية بأنه يغفر ذنوب عباده ويتجاوز عنها، ويقبل توبتهم ورجوعهم إليه، فلا يؤاخذهم بما كسبوا قبل توبتهم، ولكنه شديد العقاب إذا كفروا به واستمروا على كفرهم وماتوا عليه ﴿ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو ذو الفضل الكبير والإنعام الواسع والغني العظيم، ليس في الوجود رب ولا إله إلا هو، المدبر للكون والمتصرف فيه ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: إليه المرجع يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن منزل من الله تنزيلا على نبي الله ورسوله محمد ﷺ، فاقتضى هذا دحض كذب المكذبين وتشكيك الكافرين كما قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[1]. وفيها: الحكم بعظمة الله وقدرته في غفران ذنوب عباده وقبول توبتهم والانتقام من العصاة منهم لقوله تعالى ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2]. ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[3]. وفيها: الحكم بتوحيد الألوهية المقتضي وجوب صرف العبادة لله وحده والتبرئ من عبادة غيره.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٦﴾.

بيان الآيات:

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هذا بيان من الله

(١) سورة البقرة الآية ٢ .
(٢) سورة الحجر الآية ٤٩ .
(٣) سورة الحجر الآية ٥٠ .

لرسوله أنه لما ظهر الحق بنزول القرآن ومافيه من البراهين والبينات، فلا يجادل فيها إلا الكفرة الذين فسدت عقولهم وفطرهم فأعرضوا عن الله فأعرض عنهم ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي: لا يخدعك ما هم فيه من النعيم من الأموال والأولاد فإن هذا لا يدل على الرضى عنهم، وإنما هو إمهال واستدراج لهم وسيلاقون العذاب ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: كذب قوم نوح نبيهم، وكذب آخرون أنبياءهم كقوم هود وصالح ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: همت تلك الأمم بقتل رسلها ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ أي: جادلوهم بالباطل، وأعرضوا عن الحق كما يفعل قومك معك ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ أي: قضيت عليهم بالهلاك؛ بسبب كفرهم وعنادهم وتكذيبهم لرسلهم وإيذائهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: انظر كيف جرى عقابهم وإهلاكهم ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أي: كما حق العذاب على أولئك المكذبين من الأمم لرسلهم حقت الكلمة على الكافرين جميعا أنهم من أصحاب النار، ومنهم الذين كذبوك وخالفوك وجادلوك بالباطل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أنه يجب على العبد ألا ينخدع بما يكون

فيه الكفار من النعيم؛ لأن ذلك إمهال واستدراج لهم لقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١]. ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[٢]. وفيها: الحكم بأن من يجادل بالباطل ويكذب بآيات الله سيكون مصيره إلى العذاب؛ لأن الله قضى بذلك وقضاؤه الحق فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)﴾.

بيان الآيات:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ هم أربعة من الملائكة وهم أفضلهم ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ أي: الذين يحفون بالعرش ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: يسبحون بحمده أعظم تسبيح ويقدسونه أعظم تقديس ويؤمنون بأنه الإلَه الواحد الذي لا شريك له في ملكه ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٣ .

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض لمحبتهم لهم على إيمانهم بالله واستقامتهم على دينهم الذي ارتضاه الله لهم ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ ويقولون في استغفارهم للمؤمنين: لقد وسعت رحمتك يا ربنا كل شيء في الوجود وأحاط علمك بأعمال خلقك المؤمنين ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ أي: تجاوز عن سيئات الذين تابوا من ذنوبهم واتبعوا ما أمرتهم به من المعروف، وانتهوا عما نهيتهم عنه من المنكر ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: أنجهم من عذاب جهنم ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾ أي: أدخلهم جناتك جنات الخلد التي أعددتها للمتقين ووعدتهم بها إذا آمنوا واتقوا ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ أي: وأدخل معهم الذين صلحوا بالإيمان من أولادهم وأزواجهم وذرياتهم واجمع بينهم وإن قصروا في نيل درجاتهم؛ فإن اجتماعهم بهم سيُقرُّ أعينهم بهم ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: العزيز بعظمتك وجلالك، الحكيم في تدبيرك لخلقك ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: احفظهم من السيئات وتجاوز عما يحصل منهم من تقصير ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ أي: من تقه جزاء خطئه فلم تؤاخذه عليه فقد فاز يوم القيامة برحمتك ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل تسبيح الله وتحميده ففي الحديث: (**من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطّت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**)[(١)]. وفيها: تقرير اجتماع المؤمنين وذرياتهم في الجنة لقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[(٢)].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ المراد بالكافرين كل من كفر بالله أيا كان نوع الكفر الذي كان عليه؛ فالكفار عندما يقاسون العذاب يمقتون أنفسهم ويبغضونها؛ لأنها كانت السبب في عصيانهم في الدنيا فتناديهم حينئذ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح برقم (٦٤٠٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٢١٠ .

(٢) سورة الطور من الآية ٢١ .

الملائكة وتقول لهم: إن مقت الله لكم في الدنيا أشد من مقتكم لأنفسكم؛ لأنكم كنتم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ أي: كنتم تدعون إلى توحيد الله وطاعته وعدم الشرك به وكنتم تصرون على الكفر وتستهزئون بمن يدعوكم إلى الله فلهذا مقتكم وأبغضكم.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أي: يقولون: يا ربنا قد كنا عدما فأوجدتنا ثم أمتنا بعد ما أوجدتنا ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أي: الحياة في الدنيا والحياة في الآخرة ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: اعترفنا بما ارتكبناه في الدنيا من الخطايا والذنوب فهل لنا من مخرج من النار ونعود إلى الحياة الدنيا لنتوب مما اقترفناه في حق أنفسنا ونعمل صالحا يبعدنا عن هذا العذاب الذي نقاسيه؟ وما كان قولهم هذا لينفعهم لقوله تعالى ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ أي: كنتم إذا دعيتم إلى الله وتوحيده استكبرتم وأعرضتم ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ أي: تؤمنوا بالأصنام والأوثان وتعبدونها من دون الله ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ أي: هو الذي حكم عليكم وهو الحكم العدل الذي لا يظلم ولا يجور ولا يبخس لأحد حقه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن مقت الكفار لأنفسهم لا ينفعهم؛ لأن مقت الله عليهم أكبر من مقتهم لأنفسهم؛ ذلك أنهم كانوا يُدْعَونَ إلى الإيمان

بالله فلم يستجيبوا لما دعوا إليه، بل أصروا على كفرهم فمقتهم الله وأبغضهم. وفيها: تقرير عدم قبول الأعذار يوم القيامة لقوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]. ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[٢]. وقوله ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[٣].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ لما وبخ الله الكفار وبيَّن مقته لهم خاطب جل وعلا عموم الناس بأنه

(١) سورة الأنعام الآية ٢٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٨ .

(٣) سورة فاطر الآية ٣٧ .

يريهم آياته الدالة على قدرته العظيمة، وأنه مدبر الكون ومصرفه، وأنه الذي ينزل المطر من السماء فينبت لهم أرزاقهم وأقواتهم ثم قال ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ أي: ما يعتبر بهذه الآيات إلا من أناب إلى الله بقلبه ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: كما رأيتم آياته الدالة على عظمته، فعليكم أن توحدوه وتخلصوا له العبادة وحده وتتبرؤوا من الشرك به ولن يضركم كره الكافرين لكم فأنتم على حق وهم على ضلال ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ هذا وصف لذاته العلية فهو ذو الدرجات العالية وعرشه العظيم عال على جميع مخلوقاته وهو كالسقف لها ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: يلقي الوحي الحامل لأمره على من يشاء من عباده وهم الرسل الذين اختارهم لإبلاغ أوامره ونواهيه إلى عباده ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ أي: لكي ينذرونهم عاقبة يوم القيامة حين تجتمع الخلائق كلها للجزاء والحساب ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ أي: يوم يجتمعون بعد أن برزوا من قبورهم لا تخفى على الله منهم خافية، وفي ذلك المشهد العظيم من مشاهد يوم القيامة ينادي الله عز وجل ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا أحد يقدر أن يجيب ليس بسبب رهبة وشدة ذلك اليوم فحسب، بل إن الكل يعرف أنه لا مالك إلا الله، ولا قادر إلا هو، ولا قاهر إلا هو فينصتون وعندئذ

يجيب عز وجل نفسه ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أي: في هذا اليوم يوم الفصل والقضاء يجزى كل عامل بما عمل من خير أو شر ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ أي: ليس في ذلك اليوم ظلم لأحد فلا ينقص من عمل عمله، ولا يزاد على سيئاته سيئة لم يعملها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ أي: أنه بلطفه بعباده يعجل حسابهم ليلقى كل واحد منهم مكانه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير لطف الله بخلقه، وذلك ببيان آياته لهم ليدركوا أنهم لا يعبدونه عبثا، وإنما يعبدونه بعد أن بيَّن لهم قدرته العظيمة في خلقهم ورزقهم، وأن ما أمرهم به فيه نفع لهم وما نهاهم عنه فيه ضرر لهم. وفيها: وجوب صرف الدعاء وكل أنواع العبادة لله وحده والإخلاص في ذلك. وفي حديث ابن الزبير رضي الله عنه: كان ابن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إلَه إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إلَه إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وقال: كان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة[1].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم (٥٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص١٩٢٧ .

وفيها: الحكم بأن الله يرسل الرسل بأمره، ليبلغوا رسالته إلى خلقه وينذروهم ويحذروهم من عذاب يوم القيامة وهو اليوم الذي تجتمع فيه الخلائق للحساب والجزاء فيفصل الله بينهم وهو سريع الحساب فيلقى كل واحد منهم عاقبة عمله.

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ ﴾ الآزفة اسم من أسماء يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴾[1]. قوله ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ ﴾ أي: قلوب العباد عند حناجرهم من الخوف وهم كاظمون أنفاسهم من هول ذلك اليوم وشدته ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ أي: ليس لهم قريب يعينهم ولا شفيع يشفع لهم لأنهم ظالمون، ولا يقبل الله الشفاعة للظلمة، بل هم في ذلك اليوم وحيدون متقطعون يلاقون مصيرهم الذي وضعوا أنفسهم فيه ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ هذا من عظيم قدرته

(١) سورة النجم الآية ٥٧ .

أنه يحيط بعلمه جميعَ الأشياء والموجودات كبيرها وصغيرها فيعلم العين إذا زاغت نظرتها ويعلم ما تخفيه صدور عباده من الظنون والوساوس وما يخطر فيها ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يقضي بالعدل ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ أي: إن الذين يدعوهم المشركون من دون الله لا يقضون بشيء؛ لأنهم جمادات لا يعقلون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أي: السميع لعباده البصير بأمورهم وأحوالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير مشاهد يوم القيامة وما فيها من الأهوال كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1]. وفيها: أن الظلمة لا يجدون يوم القيامة قريبا ينفعهم ولا شفيعاً يشفع لهم. وفيها: الحكم بأن الله يعلم بعلمه المطلق خيانة عيون خلقه إلى ما لا يحل لهم وخفايا صدورهم ومافيها من المكنونات. وفيها: الحكم بأن الله يقضي بالعدل بين عباده، فيقتص للمظلوم ممن ظلمه، ويقتص للضعيف ممن طغى عليه.

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟

---

(١) سورة الحج الآية ٢.

مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أولم يَسِرْ في الأرض هؤلاء المكذبون لك ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم التي كذبت رسلها كقوم نوح وقوم هود وغيرهم ﴿كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: كانوا أعظم من قومك قوة وأعظم أثرا في الأرض، وذلك بما تهيأ لهم من الزروع والأشجار والنبات ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أهلكهم بسبب ذنوبهم وطغيانهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ أي: ما كان لهم مانع يمنعهم من الهلاك ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: كانت تأتيهم بالبراهين والدلائل الواضحات ﴿فَكَفَرُواْ﴾ بما جاءهم من العلم ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أي: أهلكهم ﴿إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: قوي في أخذه للظالمين شديد العذاب عليهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير دعوة المكذبين لرسول الله أن يسيروا في

الأرض فينظروا ماذا حل للأمم قبلهم من الهلاك، بسبب تكذيبهم لرسلهم، مع أن هؤلاء كانوا أكثر قوة وحضارة وبأسا من قريش؛ فلم تنفعهم قوتهم بل أهلكهم الله فأصبحوا أثرا بعد عين، فمن عمل مثل عملهم لابد أن يلاقي من العذاب مثل مالاقوه. وفيهما: أن من عاقبه الله بسبب ذنوبه لن يجد واليا يواليه ولا شفيعا يشفع له.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ لما بيَّن الله في الآيات السابقة ما حل بالأمم السابقة من العذاب؛ بسبب تكذيبهم لرسلهم وأن على كفار قريش أن يعتبروا بهم، بيَّن لرسوله محمد ﷺ حال موسى مع فرعون وقومه؛ ليكون في ذلك عزاء له أن

الأنبياء قبله لاقوا من أقوامهم التكذيب فصبروا فكان النصر عاقبة لهم. والمراد لقد أرسلنا موسى بن عمران ومعه البراهين والدلائل الواضحة ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾ فهؤلاء الثلاثة كانوا هم المتنفذين في مصر، ففرعون ملكها، وهامان وزيره وأشد أعوانه، وقارون ليس من آل فرعون ولكنه صاحب ثروة كبيرة ﴿فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ أي: لما دعاهم موسى إلى توحيد الله وعبادته اتهموه بالسحر والكذب ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾ والمراد به الآيات الدالة على صدق نبوته ورسالته زاد عداؤهم له وهو الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا معه واستحياء بناتهم أي: تركهن للخدمة لإذلالهن وهو ما أخبر الله عنه بقوله ﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾ قوله ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: أن كيد الكافرين ومكرهم في أي: زمان أو مكان لا يضر أولياء الله وإنما يضر الكافرين أنفسهم ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ لما بدأ أمر موسى ينتشر ويكثر معه المؤمنون اشتد غضب فرعون عليه فَهَمَّ بقتله بعد أن صارح قومه في اجتماع اجتمعوه في أمره فادعى أن موسى سوف يبدل دينهم، وأنه سوف ينشر الفساد في أرضهم فيغير حياتهم ويسلبهم ماهم فيه وهو ما أخبر الله عنه بقوله ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ

﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ فلما بلغ موسى ما قاله فرعون خاطب موسى المؤمنين معه قائلا ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: استعذت بربي وربكم وتحصنت به وتوكلت عليه من كل معاند للحق متكبر كافر بيوم البعث والحساب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الإخبار عما عاناه المرسلون من أقوامهم واتهامهم لهم بالسحر والكذب لقوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[1]. ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[2]. وفيها: أن الطغاة عندما يأتيهم الحق يخشون من انتشاره بين قومهم فيعملون على تضليلهم وتخويفهم من دعاته. وفيها: تقرير بطلان كيد الكافرين ومكرهم وحيلهم وأن النصر يكون لأولياء الله. وفيها: أن الله عز وجل هو الحصن الحصين والملاذ الأمين للمظلومين من المؤمنين.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ

(١) سورة الذاريات الآية ٥٢ .
(٢) سورة الذاريات الآية ٥٣ .

كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ لما اجتمع فرعون مع قومه للتشاور في أمر موسى كان أحد آل فرعون يؤمن بما جاء به موسى، ولكنه يخفي إيمانه فأخذ ينصحهم بقوله ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ أي: كيف تقتلون رجلا ليس له من ذنب سوى أنه يقول: ربي الله ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: أتاكم بالبينات الدالة على صدقه ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي: إن يك كاذبا فيما يقول فكذبه عليه ولن يضركم منه شيء وسيعاقبه الله على كذبه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ أي: إن يك صادقا فيما يقوله ويعد به من العذاب فسوف يصيبكم حينئذ بعض ما يقول إذا آذيتموه، فاتركوه وشأنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ أي: لو كان هذا كاذبا فيما يقول لما هداه الله، لأن الله لا يهدي المسرف والكذاب وإنما يهدي المهتدين والمؤمنين به.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لما قال المؤمن من آل فرعون قوله ونصحه لقومه بدأ يحذرهم من عواقب أعمالهم ومعاداتهم لموسى مبينا لهم أن ملكهم وقوتهم ظاهرة في الأرض وهم في نعم كثيرة وأن تعرضهم له سوف يؤدي إلى غضب الله وحينئذ لن يجدوا ناصرا ينصرهم أو معينا يعينهم. وقد أخبر الله عن ذلك بقوله ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ وإمعانا في الطغيان والعناد ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: ما قلت لكم إلا الصواب ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ أي: ما أدلكم إلا على طريق الهدى، ويعني ذلك أنه يصر على رأيه بمعاداة موسى والكيد له.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل المؤمن الذي يؤمن بين قوم لا يؤمنون مما يجعله عرضة لأذاهم، فإذا صبر على إيمانه كان ذلك أعظم في ثوابه. ومن الأحكام: وجوب المجادلة بالحق والتعريف به بالكلمة الحسنى كما قال تعالى لنبيه ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(١). وفيها: تحريم الإسراف في كل شيء كالإسراف في القول والمبالغة فيه، والإسراف في الأكل واللبس ونحو ذلك كما قال تعالى ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٢).

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥ .
(٢) سورة الأعراف من الآية ٣١ .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾

ما زال السياق في نصح مؤمن آل فرعون لقومه وتحذيره لهم من سوء عملهم ومعاداتهم لموسى ورسالته مبينا لهم أنه يخشى أن يحل بهم من العذاب ما حل بالأحزاب من الأمم السابقة لهم، ثم ما وصفهم بقوله ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ من الأمم الهالكة بسبب تكذيبها لرسلها ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ أي: إن الله إنما أهلكهم بسبب ذنوبهم وليس بظلمه لهم فحاشاه ذلك.

ثم استمر في نصحه ودعوة قومه وتحذيره لهم بقوله ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ

أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ المراد به يوم القيامة ﴿ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ ﴾ أي: يوم تحاولون الهرب من العذاب الذي تشاهدونه بأعينكم يوم القيامة ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٍۗ ﴾ أي: لا عاصم ولا ناصر ولا معين ولا شفيع لكم يومئذ إلا أعمالكم وإيمانكم بالله ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ أي: من أضله الله، فلن يهديه أحد ثم استمر المؤمن في نصحه لقومه وتذكيره لهم بما جاءهم من البينات من قبل ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ أي: جاءكم يوسف في مصر يدعوكم إلى الهدى وإقامة العدل ونفي الظلم ﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ ﴾ أي: شككتم فيما جاءكم به فلم تؤمنوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ ﴾ أي: مات ﴿قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ ﴾ أي: لن يأتي بعده رسول، وهذا مجرد ظن وتخمين وقد أخلف الله ظنكم وبعث اليوم رسولا فاتبعوه فإن استمررتم على تكذيبه أضلكم الله ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴾ أي: يضل من هو مسرف في كذبه على رسله، ومن هو مرتاب في دعوته، وفي سياق نصحه لقومه قال لهم ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ ﴾ أي: إن الذين ينكرون الحق بغير دليل ولا حجة، جاءتهم من عند الله، فإن الله يمقتهم أي: يبغضهم ويبعدهم من رحمته كما يبغضهم المؤمنون كما قال تعالى ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ

ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ثم قال ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ أي: يضل كل متكبر يتبع الباطل، ويحيد عن الحق وهو متحيز ظالم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير خوف المؤمن على قومه أو بلده من عواقب الذنوب والخطايا التي تسود فيهم. وفيها: تقرير سوء الإفراط في كل قول أو فعل لا فائدة فيه. وفيها: سوء الارتياب في الحق وعدم اليقين فيه. وفيها: تحريم الجدال المبني على الهوى واتباع الباطل كما يفعل المشككون والمرتابون. وفيها: أن الله يطبع على قلوب المتكبرين والجبابرة؛ بسبب إصرارهم على خطاياهم وعدم استجابتهم للحق الذي يدعون إليه.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ يبيِّن الله تعالى أن فرعون حين كذب موسى قال لوزيره هامان: ابن لي صرحا أي: بناء شاهقا

وهو البناء المكون من الطين المشوي لتقويته كما قال تعالى ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾[1]. قوله ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: طرقها ومسالكها ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ أي: فيما يقوله لنا ويدعيه من رسالته. وما قاله فرعون وادعاه ليس بصادق فيه؛ لأنه يعرف استحالة مطلبه وعدم قدرته لبلوغ غايته، فهو يعرف أنه أحقر من ذلك، ولكنه يبحث عن المخارج التي توهم قومه وتصرفهم عن التفكير في أمر موسى ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: زيَّنَ فرعون لنفسه خبثَ عمله وصده ذلك عن اتباع الطريق الصحيح وهو الإيمان بما جاء به موسى ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: ليس له من كيده لموسى إلا التباب وهو الخسارة والهلاك.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين بيان فساد بعض قادة الأمم في إيهام أممهم بتصرفات تبعدهم عن التفكير في سلوكهم أثناء قيادتهم لها، وهذا محسوس ومشاهد في سلوك الطغاة في كل زمان ومكان، كما يفعله اليوم تجار الحروب من دعاوى تبيح لهم استحلال البلدان واستغلال

---

(١) سورة القصص من الآية ٣٨ .

ثرواتها بعد أن يوهموا شعوبهم أنهم يتعرضون للمخاطر من هذه البلدان كما يقولونه اليوم عن بلاد المسلمين. وفيهما: أن المرء إذا ضل عن طريق الحق أصبحت نفسه تزين له ارتكاب الأفعال المحرمة، فيرى الحُسن سوءا والسوء حُسنا، فلا يبالي حينئذ بما يفعله كما قال تعالى ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[1].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٣٨) يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾

لما أخبر الله في الآيتين السابقتين عن إيهام فرعون لقومه بالاطلاع على إلَه موسى، بيَّن تعالى نصائح مؤمن آل فرعون لقومه ودعوته لهم إلى اتباعه؛ لكي يهديهم إلى طريق الحق ويبعدهم عن فرعون وكفره ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ وهنا يخاطب مؤمن آل فرعون قومه قائلا: إن هذه الحياة

---

(١) سورة فاطر من الآية ٨ .

التي تعيشونها ماهي إلا مجرد متاع سوف يزول، أما الآخرة فهي دار البقاء والقرار الأبدي ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: أن من عدل الله ورحمته بخلقه أن من عمل سيئة فلا يجزى إلا بواحدة مثلها ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: من عمل بما شرعه الله لعباده من الأعمال الصالحة، فهذا لا يُقدِّر الله جزاءه بما عمل بل يعطيه أجره أكثر مما بلغه عمله لأن الله عزوجل يعطي بغير حساب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الدنيا دار وجود موقت سرعان ما ينتهي ببلوغ الأجل مما يقتضي عدم الركون إليها والاغترار بزينتها كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾[1]. وفيها: أن من رحمة الله ولطفه بعباده أنه يجازي السيئة بواحدة مثلها، أما الحسنة، فإما أن يضاعفها إلى عشر حسنات، أو يجزي صاحبها بأكثر من ذلك بلا عد أو إحصاء.

---

(١) سورة يونس من الآية ٢٤ .

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾

ما زال السياق في ذكر نصائح مؤمن آل فرعون لقومه حيث قال لهم: إني أدعوكم إلى النجاة، وهي الإيمان بالله وعدم الشرك به حتى تدخلوا الجنة، بينما أنتم تدعونني إلى الكفر الذي عاقبته النار ثم فصَّله بقوله ﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ أي: تدعونني للكفر والشرك مع أنه ليس لكم دليل ولا حجة في دعوتكم لي بينما أنا ادعوكم إلى عبادة العزيز الغفار الذي له العزة والغلبة وهو الذي يغفر الذنوب لعباده ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ لا جرم أي: حقا أنّ ما تدعونني إليه من الأصنام والأوثان ليس له قوة حتى يدعى بها فهو جماد مخلوق لا ينفع ولا يضر ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أن رجوعنا كلنا إلى

الله وسوف يحاسبنا لا محالة على أعمالنا ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أي: أن المشركين الذين أسرفوا بشركهم هم أهل النار المخلدون فيها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب التفرقة في المعاملة بين من يدعو إلى الخير ومن يدعو إلى الشر، فالذين يدعون إلى الخير هم الذين يدعون إلى عبادة الله وحده، وهم الأنبياء ومن في حكمهم من الأولياء والصالحين وهؤلاء يكونون يوم القيامة على منابر من نور. والذين يدعون إلى الشر هم الطغاة وأهل الضلال الذين يدعون إلى الشرك والكفر وهؤلاء يأتون يوم القيامة وعلى وجوههم غبرة من ظلام شركهم وكفرهم.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ لما أبدى مؤمن آل فرعون نصيحته لقومه ورأى عدم قبولهم لها حذرهم عاقبة عملهم، وأنهم سيتذكرون لا محالة ما قاله لهم حين يحل بهم العذاب ثم قال ﴿وَأُفَوِّضُ

أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ أي: أبتعد عنكم وأعتصم به وألجأ إليه وأتوكل عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ أي: بصير بأحوالهم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وكل ذلك بحكمته .

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾ في هذا دليل على أن فرعون وقومه لم يقبلوا نصيحته فحسب، بل إنهم حاولوا قتله فوقاه الله من مكرهم وغدرهم ونجّى موسى ومن معه من المؤمنين ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي: أحاط بفرعون وقومه وجنده الهلاك في البحر حين انطبق عليهم فأصبحوا عبرة للمعتبرين ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ أي: تعرض أرواحهم على النار في الصباح والمساء في البرزخ إلى أن تقوم الساعة وحينئذ تعرض أرواحهم وأجسادهم على النار وهو ما بينه عز وجل بقوله ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الداعي إلى الله إذا عجز عن قبول قومه لدعوته يتركهم لأمر الله فهو حسبه بهم كما قال نوح لما عجز عن قومه ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴾[1]. وفيها: أن الله ينجي عباده

(١) سورة نوح الآية ٢٨ .

المؤمنين ويقيهم شر المكايد إذا عرف إيمانهم وإخلاصهم. وفيها: تقرير عذاب القبر حيث تعرض أرواح المؤمنين على الجنة في الصباح والمساء، وتعرض أرواح المشركين والكفار على النار في صباح كل يوم ومسائه إلى أن تقوم الساعة.

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ ﴾ هذا بيان من الله عن تحاج أهل النار عموما وتخاصمهم فيها ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ ﴾ أي: يقول الأتباع المستضعفون لكبرائهم الذين اتبعوهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ أي: كنا نصدق ما تقولون ونفعل ما تأمروننا به ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ أي: هل تأخذون قسطا من عذابنا لتخففوا عنا ما نعانيه ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ ﴾ أي: يقول المتبوعون: نحن وأنتم سواء في عذاب النار فلا نتحمل إلا ما نحن فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ

﴿ٱلْعِبَادِ﴾ أي: قضى لكل منا بنصيبه من العذاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير التخاصم حين العذاب بين التابعين الذين ضلوا بسبب اتباعهم وطاعتهم العمياء لرؤسائهم ومخالفة الأنبياء الذين كانوا يدعونهم إلى اتباع أوامر الله وبين المتبوعين الذين يتبرؤون منهم، وهذا يقتضي وجوب تفكر المرء فيما يعرض له وقبول ما ينفعه ونفي ما يضره حتى لا يكون إمعةً يتبع كل مدع وقوَّال. وفيهما الحكم بأن كل واحد يلقى يوم القيامة مصيره بنفسه فلا يجد من يواليه أو يناصره كما قال تعالى ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ حينما يجد أهل النار أنفسهم يقاسون العذاب، يسألون خزنة جهنم المكلفين بها أن يشفعوا لهم؛ ليخفف عنهم العذاب ولو يوما واحدا كما أخبر الله عنهم بقوله

(١) سورة عبس الآية ٣٧ .

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ فتجيبهم الملائكة بما أخبر الله عنهم بقوله ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: ألم تبيِّن لكم رسلكم بالبينات ماهو واجب عليكم في الدنيا فكذبتموهم ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي: نعم، بيَّنوا لنا كل شيء ﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ﴾ أي: قال الملائكة لن ندعو لكم وليس بيننا وبينكم مودة ولا صلة فادعوا ربكم أنتم ولكن سواء دعوتم أم لم تدعوا فلن يستجاب لكم وهو معنى قوله تعالى ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير عدم قبول دعاء الكافر؛ لأنه لا يملك مقومات الإجابة وهي التقوى، وقد بين الله ذلك في قوله عز ذكره ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(١).

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ هذا وعد

(١) سورة المائدة من الآية ٢٧ .

من الله ووعده الحق أنه ينصر رسله، وينصر المؤمنين في الحياة الدنيا، وقد فعل ذلك فقد نصر نوحا وإبراهيم وهودا وصالحا ولوطا وغيرهم على أممهم حين كذبوهم وآذوهم، فعجل الله لأقوامهم بالعقاب في الدنيا كما فعل عز وجل مع نبيه ورسوله محمد ﷺ فقد نصره نصرا مبينا على قومه الذين استضعفوه واذوه وهموا بقتله، فتمكن منهم يوم بدر، وتمكن منهم يوم فتح مكة فكسر كبرياءهم وأزال طغيانهم وأصنامهم. وكما نصر الله رسوله فقد نصر الذين آمنوا به، ففتح لهم خزائن الأباطرة والأكاسرة، ونشروا دين الله في أرجاء الأرض. ووعد الله للمؤمنين بالنصر وعداً ثابتاً ووعداً دائماً في كل زمان ومكان فالمهم تحقيق الإيمان الذي يترتب عليه تحقيق وعد الله. قوله ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ أي: ينصر الله رسله والمؤمنين يوم القيامة حين تشهد لهم الملائكة بأنهم بلغوا رسالات ربهم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي: لا يقبل منهم عذر ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ أي: الطرد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ أي: بئس المكان والقرار .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير نصر الله لأنبيائه وللمؤمنين وهو نصر في الدنيا ونصر في الآخرة، أما نصر الدنيا فمعاقبته للمكذبين لهم ونجاته للمؤمنين بهم والمصدقين لهم. وأما نصر الآخرة فهو الثواب العظيم جزاء صبرهم

في دعوتهم. وفيهما أن العذر لا يقبل من الكافرين يوم القيامة، وذلك لفوات وقته وهو التوبة في الدنيا.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ أي: بعثناه ليدعو الناس إلى الهدى ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: أنزلنا عليهم الكتاب وهو التوراة ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: ليكون هذا الكتاب مرشدا لهم إلى عبادة الله وحده، وإخلاص العبادة له وليكون كذلك ذكرى لأولي العقول منهم بأن الله سائلهم عما أمرهم به في هذا الكتاب وما نهاهم عنه.

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ لما بيَّن الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ ما لاقاه موسى من المكايد، سواء من فرعون وقومه أو من بني إسرائيل أمره بالصبر على ما يناله من الأذى من قومه قريش، وليعلم أن وعد الله حق في نصره وغلبته على أعدائه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ أي: اطلب من ربك مغفرة ذنوبك وسبح بحمده بكرة وعشيا؛ لما في ذلك من تقوية النفس على الصبر والتحمل؛ لأن استغفار الله والتسبيح بحمده من أسباب التقوى، فإذا توفرت التقوى للعبد صار أكثر قوة وأشد بأسا وأقدر على تحمل المتاعب .

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أن الله ينزل الكتب السماوية على أنبيائه ورسله؛ لتكون وسيلتهم في الدعوة إلى الله على بصيرة فيأمرون من أرسلوا إليهم من الأمم أن يأتمروا بما تأمرهم به هذه الكتب وينتهوا عما تنهاهم عنه وقد نزل القرآن على رسول الله محمد ﷺ وفي هذا قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]. وفيها: أمر الله لنبيه بالصبر في دعوته مع وعده له بالنصر على أعدائه. وفيها: الدلالة على أن الاستغفار من الذنوب والتسبيح بحمد الله وذكره وسيلة كبرى للصبر وتحمل المتاعب؛ لأن استشعار العبد لعظمة ربه يمنحه القوة والعون كما قال تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[2].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ

(١) سورة البقرة الآية ٢ .
(٢) سورة البقرة الآية ٤٥ .

إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ أي: إن الذين يجادلون في آيات الله بالباطل وهم كفار قريش دون أن يكون لهم في ذلك حجة أو برهان ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ أي: في صدورهم كبر عليك يا محمد؛ بسبب ما أوتيت من النبوة، وهم يريدون أن تكون تابعا لهم، ولن يبلغوا مبتغاهم هذا؛ لأن دينك دين الحق ودينهم الباطل، وقد وعدك الله أنك سوف تنتصر عليهم ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شرورهم ومكايدهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم ونواياهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تحريم المجادلة بالباطل، والمجادلون بالباطل على قسمين: إما متبوع فاسد ويجادل بالباطل لكي يصرف أتباعه عن الحق كما فعل فرعون مع وزيره هامان حين أمره أن يبني له قصرا عاليا يطلع منه على الله، مع أنه يعرف أنه أصغر من التفكير في هذا الطلب.

القسم الثاني: متعال ومتكبر يريد الرئاسة فيجادل بالباطل ليستهوي

به فئام الناس؛ لكي يتبعوه ويحقق بهم غاياته. ومن الأحكام: وجوب الاستعاذة من شرور الأعداء وتسلطهم وقد أمر الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يستعيذ من الشيطان عند قراءة القرآن كما قال تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[١]. كما أمره أن يستعيذ من شر الوسواس في قوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾[٢]. إلى قوله ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾[٣].

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ يبيِّن الله تعالى أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وفي هذا رد على منكري البعث الذين يقولون: كيف يحيي الله الموتى بعد أن بليت عظامهم. قوله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا يتفكرون فيعرفون أن الذي خلق الأمر العظيم وهو السموات والأرض قادر على ماهو أقل منه وهو إحياء الموتى.

---

(١) سورة النحل الآية ٩٨ .
(٢) سورة الناس الآية ١ .
(٣) سورة الناس الآية ٤ .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ لما ذكر الله عز ذكره أن أكثر الناس لا يتفكرون، بيَّن أن الأعمى لا يتساوى مع البصير فالأول لا يرى الأشياء، فلهذا لا يعقلها بينما البصير يراها فيعقلها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ كذلك لا يتساوى المؤمن مع المسيء، فالمؤمن قد أضاء الإيمان قلبه فعبد الله حق عبادته، والمسيء أظلم قلبه بالذنوب، فلم يعد يفرق بين الحسن والسيئ من العمل، كذلك الذين ينكرون البعث مثل الأعمى والمسيء لا يقدرون على تمييز الحسن من السيئ والحق من الباطل قوله ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: ما تذكرون ولا تتعظون إلا قليلا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير حقيقة كونية هي أن خلق السموات والأرض بما فيهما من الأسرار أكبر من خلق الناس، إذ إن خلقهم لا يساوي في علم المقارنة العقلية شيئا بالنسبة لخلق السموات والأرض. ومن الأحكام: فشوّ الجهل في كثير من الناس وبسبب ذلك تغيب عنهم الحقائق ولهذا أمر الله بسوال أهل العلم في قوله ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. وفيهما: أن الأضداد لا تتساوى؛ فالإيمان لا يتساوى مع الكفر، والحق لا يتساوى مع الباطل، فمن أراد أن يجمع بين هذه المتضادات ويرتب على ذلك أحكاما فعمله باطل.

---

(١) سورة النحل من الآية ٤٣ .

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لما ذكر الله جل وعلا عدم اجتماع الأضداد، وأن الناس قليلا ما يتذكرون آيات الله فينسون أنفسهم ويلهون في حياتهم بل منهم من ينكر البعث كما قالوا ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾[1]. ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[2]. لما كانوا على هذه الحال ذكَّرهم الله أن الساعة آتية لا محالة، وأن الشك فيها ليس إلا عبثا وغرورا زينه لهم الشيطان ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: قليل منهم الذي يؤمن بقيام الساعة وهم عباد الله الأتقياء الأبرار.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ لما بيَّن عز وجل قدرته العظيمة في خلق السموات والأرض وإحياء الموتى من قبورهم وبيَّن أن الساعة قائمة لا محالة قال لعباده: ادعوني أستجب لكم، وهذا من رحمته ولطفه بهم، فما أعظم أن يقول الخالق للمخلوقين: ادعوني، لكي أعطيكم سؤلكم وأستجيب لكم فأقضي حوائجكم في الدنيا والآخرة

---

(١) سورة الصافات الآية ٥٨ .

(٢) سورة الصافات الآية ٥٩ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ لما بيَّن عزوجل أنه سوف يستجيب لعباده إذا سألوه اقتضى هذا أن يعاقب من يستكبر عن هذا السؤال؛ لأن الدعاء عبادة ومن يستكبر عن العبادة يرتكب إثمين: الأول: عصيانه لأمر خالقه والثاني: خطؤه في حق نفسه حين أعرض عن عبادة تنفعه في دنياه وأخراه قوله ﴿دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين مهانين.

أحكام ومسائل الآيتين:

توكيد قيام الساعة حين ينتهي الأجل الذي وضعه الله وأخفاه عن خلقه في قوله تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[١]. ومن الأحكام: وجوب دعاء الله؛ لأن الدعاء عبادة؛ لما رواه النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الدعاء هو العبادة**) ثم قرأ قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[٢]. ومنها: تحريم الكبر ومجازاة من يستكبر عن دعاء الله بالعذاب الشديد. والأدلة النقلية والعقلية في قبح الكبر كثيرة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٤١)، من سورة المؤمن، برقم (٣٢٤٧)، سنن الترمذي ج٥ ص٣٤٩ .

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ هذا من لطف الله ورحمته بعباده أنه يذكّرهم بما يشهدونه في حياتهم؛ لكي يعبدوه فيستحقوا ثوابه ولا يعصوه فيستحقوا عقابه، فقد جعل الليل سكنا وراحة لأجسامهم، وجعل النهار مبصرا لهم؛ لكي يعملوا فيه لمعاشهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: أنه قد تفضل على الناس وامتن عليهم بهذا العمل الإلهي ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يشكرونه على فضله ونعمه وذلك بسبب صوارف الشيطان لهم وتزيينه لهم سوء أعمالهم ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: أن هذا الذي تفضل عليكم بهذه النعم هو ربكم ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: خالق كل مافي الوجود، فلا رب غيره ولا معبود بحق إلا هو ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف تصرفون عن عبادته وهو المنعم والمتفضل عليكم وتلجؤون إلى عبادة أوثان لا تملك لكم نفعا ولا ضرا ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أي: كما ضل كفار قريش بعبادتهم للأوثان، كذلك يؤفك أي: يصرف عن الهدى من كان قبلهم ممن جحدوا آيات الله.

أحكام ومسائل الآيات:

توكيد فضل الله على خلقه وما أنعم به عليهم من سائر النعم.

ومن الأحكام: تشديد الإنكار على المشركين الذين يصرفون عبادتهم إلى أوثان وأصنام لا تنفعهم ويتركون عبادة الله الذي خلقهم وما كان هذا الضلال إلا من الذين يجحدون آيات الله وينكرونها رغم أنهم يعيشونها في حياتهم مثل جعل الليل سكنا لهم والنهار مبصرا لهم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: جعلها لكم ثابتة لا تميل ولا تضطرب ولا تتحرك إذ لو كانت كذلك لما استطعتم العيش فيها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ أي: وجعل لكم السماء سقفكم يظلكم وأنتم تعيشون تحته آمنين من انشقاقه أو سقوطه عليكم ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي: صوركم أحسن تصوير وقوَّمكم أحسن تقويم منذ أن كنتم في بطون أمهاتكم إلى حين اكتمال خلقكم وخروجكم إلى الدنيا ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: خلق لكم

كافة المعايش والملذات من الطعام والشراب ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: خالق كل هذه النعم لكم، هو ربكم الذي لا رب غيره ولا إلَه إلا هو ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: تعالى في ملكوته وتقدس في ذاته وفي أسمائه وصفاته ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ أي: هو الحي الدائم والأول والآخر والظاهر والباطن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا ند له ولا نظير ولا مثيل.

﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: ادعوه وأنتم في غاية الإخلاص له، والإقرار واليقين بأنه لا إلَه إلا هو ولا معبود بحق إلا هو وقولوا دائما ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

أحكام ومسائل الآيتين:

توكيد مظاهر قدرة الله وعظمته في جعل الأرض قرارا لخلقه لا تميد بهم، فلننظر كيف إذا وقع الزلزال في مكان كيف يتحول إلى خراب وكيف يموت الناس بمئات الآلاف، وما هذا إلا تذكير للعباد بما هم فيه من نعمة الأمن والقرار على الأرض. وكذلك توكيد قدرة الله في جعل السماء سقفا لمخلوقاته وتصويره لعباده في أحسن الصور لقوله تعالى ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ الآية[١]، وقوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٢]. ومن

(١) سورة التغابن من الآية ٣ .

(٢) سورة التين الآية ٤ .

الأحكام: توكيد قدرة الله في تيسير الرزق للإنسان بما هيأه له من الطيبات من المطاعم والمشارب. ومنها: توكيد توحيد الله ووجوب إخلاص العبادة له وحده.

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين: إن ربي نهاني أن أعبد الأصنام والأوثان التي تعبدونها من دون الله؛ لأنها أوثان لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا فكيف تملك لغيرها وقد جاءني هذا النهي ﴿لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي﴾ وهي البراهين التي تدل على أن عبادة الله وحده هي العبادة الصحيحة، وأن عبادة غيره عبادة شركية باطلة ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: وكما أمرني ربي ألا أعبد أحدا إلا هو، فقد أمرني أن أستسلم له وأخضع لأمره ونهيه وأن أطيعه وأتبرأ مما سواه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب عبادة الله وحده وجوب عين إذ لا معبود بحقٍ إلا هو فمن صرف شيئا من العبادة لغيره فهو مشرك حرمت عليه

الجنة، والآيات في هذا كثيرة منها قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[1]. وقوله ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[2].

وفي هذه الآية: أيضا وجوب الإسلام لله رب العالمين، فلا دين إلا دين الإسلام، فمن ابتغى غيره فلن يقبل منه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ مازال الله عز وجل يعرِّف عباده بقدرته العظيمة وإنعامه عليهم، لعل ذلك يحفزهم للإيمان به ابتغاء نفعهم ونجاتهم من العذاب فقد ذكرهم بأن خلقهم من تراب نسبة إلى الأصل وهو آدم الذي خلقه الله من طين ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: من مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم المترسب ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: يخرجكم من الأرحام أطفالا لا تعون شيئا ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ أي: تصيرون مكتملي القوة ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ﴾

(١) سورة النساء من الآية ١١٦.
(٢) سورة النساء من الآية ١١٦.

أي: بتجاوزكم مرحلة الخمسين من العمر ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: يتوفاه الله في صغره قبل بلوغ هذه المراحل من العمر ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ أي: جعل لكم هذه المراحل من أعماركم إلى أن تستوفوا آجالكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: تتفكرون أن الذي خلقكم وأنشأكم مرحلة مرحلة هو الأحق وحده بالعبادة وأنه ما من إلَه إلا هو فاعبدوه وحده مخلصين له الدين. ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المتفرد وحده بإحياء الخلائق وإماتتها والتصرف فيها بحكمته وقدرته ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: ومن أعظم مظاهر قدرته أنه يقول للشيء كن فيكون لا معقب في ذلك لحكمه ولا راد لقضائه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير حقيقة خلق الله للإنسان وتدرجه في مراحل عمره من مرحلة إلى أخرى، كل ذلك يدل على عظيم قدرة الله مما يقتضي وجوب تفكر الإنسان في هذا الخلق كما قال تعالى ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

ومن الأحكام: توكيد قدرة الله في إحياء الخلائق وإماتتهم. وفيهما: الحكم أن قضاء الله يتمثل في الأمر بكينونته، فيكون لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

---

(١) سورة الذاريات الآية ٢١ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ أي: ألم تعجب يا نبينا محمداً من هؤلاء المكذبين وهم يجادلون في القرآن وما جاء به من البينات كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل وعن الهدى إلى الضلال ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ﴾ هذا تعريف لهم بأنهم الذين كذبوا بالقرآن وبما جاء به الرسل من وجوب توحيد الله وطاعته والإخلاص في عبادته ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ هذا تهديد ووعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة تكذيبهم وهذه العاقبة وضع الأغلال في أعناقهم ثم تسحبهم

الزبانية في الحميم وهو الماء الذي اشتدت حرارته وهم مكبَّلون بالسلاسل، ثم يقذفون في النار لتتوقد بهم وهو معنى قوله تعالى ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ أي: يقال لهم أين أوثانكم وأصنامكم التي كنتم تعبدونها وتقدسونها؟ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: مع الله ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ أي: ذهبوا عنا فلم نر لهم أثرا ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أي: لم نكن ندعوهم وهذا جحود منهم لعبادتها كما قال تعالى عنهم ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[1]. ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[2]. أو يكون مرادهم أننا لم نكن نعبد شيئا حقيقيا؛ لأنه باطل من حيث الأصل فعبادتنا له باطلة.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يضل الله الكاذبين مثل إضلال هؤلاء؛ لأنهم متساوون في الضلال فلا فرق بينهم.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٤ .

أي: تقول لهم ملائكة العذاب: هذا العذاب الذي تلاقونه اليوم هو جزاء فرحكم ولهوكم عند أصنامكم وبعدكم عن توحيد الله وطاعته وهو أيضا جزاء مرحكم وابتهاجكم بالفجور وتكذيب آيات الله. ﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ أي: مقيمين فيها مخلدين فبئس مقامكم ومقركم أيها المتكبرون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تعجب الله من المجادلين في آيات الله المكذبين بها، وذمّهم على صرف عقولهم عن الحق إلى الباطل كما قال تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾[1]. وفيها: وصف حالة العذاب التي يكون عليها المكذبون بالرسل يوم القيامة كما قال تعالى ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[2]. ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾[3]. وفيها: سوء عاقبة الفرح المترتب من اللهو واللعب والإعراض عن آيات الله، وشاهده قول الله تعالى إخباراً عما قاله قوم قارون له ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[4]. وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[5]. وفيها: تقرير سوء

(١) سورة الحج من الآية ٤٦ .
(٢) سورة الرحمن الآية ٤٣ .
(٣) سورة الرحمن الآية ٤٤ .
(٤) سورة القصص من الآية ٧٦ .
(٥) سورة الحديد الآية ٢٣ .

عاقبة المتكبرين بسبب إعراضهم عن الحق ومجادلتهم بالباطل.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧)﴾.

بيان الآية:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ هذا أمر من الله لرسوله أن يصبر على أذى من كذبه من قومه؛ لأن الله وعده بالنصر عليهم وسينجز له ما وعده قوله ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أي: نريك عذابهم في الدنيا، وقد حدث هذا فعلا في غزوة بدر حين قُتِلَ رؤساء الكفار من قريش ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي: نذيقهم العذاب في الآخرة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية وجوب الصبر في الدعوة إلى الله؛ ذلك أن الداعي سوف يدعو، إما قوما جهلة بدين الله، أو قوما يجادلون فيه بالباطل، وقبول هؤلاء للدعوة يتطلب الصبر والقدرة على تحمل الأذى، فقد صبر الرسل عليهم السلام على ما عانوه من أقوامهم حين تربصوا بهم، وهموا بقتلهم واتهموهم بالجنون والسحر والكذب. وقد صبر رسول هذه الأمة محمد ﷺ كما أمره ربه فقد سفَّهه قومه وكذبوه وآذوه وهموا بقتله وأخرجوه من بلده

وعذبوا أتباعه واستعبدوهم حتى أظهر الله دينه وتحقق ما وعد الله به أولياءه حيث زالت الوثنية من بلاد العرب وغيرها وحل محلها دين الله.

قلت: والصبر على الدعوة لا يجب على الأنبياء والمصلحين فحسب، بل يجب على كل من أوذي في دينه. ومن هذا الأذى ما يحدث في هذا القرن الذي نعيشه من جاهلية جهلاء تنتهك فيه حرمات الله، فيباح اللواط والزنى والفواحش علانية، ويباح فيه الربا بكل صوره، ويستهزأ فيه بدين الله وبرسوله محمد ﷺ في وسائل الإعلام، وتعاني فيه الأقليات المسلمة في بعض البلاد من التمييز والسخرية من دينها وأحكام شريعتها، كل هذا يحتاج إلى الصبر والتمسك أولا بالإسلام وبرسالة رسول الله محمد ﷺ، والاعتزاز بها والدفاع عنها، وهذا هو أساس الصبر، ثم تحمل الأذى النفسي الذي يعانيه المسلمون الذين اضطرتهم وقائع حياتهم أن يكونوا بين أكثرية غير مسلمة؛ بسبب ظروف وأسباب تاريخية أو يكونوا ممن اضطرتهم ظروفهم المعاشية إلى السفر إلى تلك البلاد للعمل فيها، وليعلم هؤلاء الذين يُسْتَهْزَأ بدينهم أنهم هم الغالبون في النهاية؛ لأن الله جل وعلا وعد بذلك ووعده حق وصدق فقال في محكم تنزيله ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[١]. وقوله ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[٢]. وقوله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ لما أمر الله عز وجل نبيه ورسوله بالصبر، بيَّن له أنه قد أرسل من قبله رسلا إلى أمم كثيرة منهم من قص عليه خبرهم، ومنهم من لم يقصه عليه وهم كثير وذلك حسب مراد الله في توجيهه لرسوله وما يكون مفيدا له من هذه القصص وهو يدعو قومه إلى الله ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما كان لأي واحد من هؤلاء الرسل أن يأتي بآية معجزة إلا بإذن الله ومشيئته فهو يبعث الرسل بالبينات لتأييدهم في دعوتهم، ولكن بعض أقوامهم لا يكتفي بذلك، بل يطلب آيات أخرى الهدف منها التكذيب كطلب بعض

---

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سور الصافات الآية ١٧٣ .

(٣) سورة المجادلة من الآية ٢٢ .

كفار قريش من رسول الله ﷺ أن يفجر لهم الأرض ينابيع، أو يسقط عليهم كسفا من السماء ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: يقضي الله حينئذ بقضائه العادل فينجي أولياءه المؤمنين ويهلك المفسدين.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله أرسل رسلا إلى أقوامهم فقص أخبارهم على رسول الله محمد ﷺ، وأرسل رسلا آخرين فلم يقص أخبارهم عليه؛ وذلك لما اقتضته حكمته في ذلك. وقد ورد في حديث أبي ذر قلت: يا رسول الله كم عدد الأنبياء؟ قال: (**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، والرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشرة**)[1]. ومن الأحكام: أنه ليس لأحد من الرسل أن يأتي بآية إلا إذا كان الله قد أعطاه إياها فالآيات كلها راجعة لأمره ومشيئته.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص٢٦٥-٢٦٦ .

بيان الآيات:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا ﴾ بهذا يخاطب الله المكذبين لرسوله أنه جعل لهم الأنعام التي بين أيديهم فيركبون منها الإبل في سفرهم، ويحملون عليها أمتعتهم وأثقالهم ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي: تأكلون لحوم الإبل والبقر والغنم ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ ﴾ ومنها: اللبن والصوف والجلود والشعر ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ ﴾ منها: حرث البقر للأرض لإنبات الزرع ومنها: ركوب الإبل للإنتقال من مكان إلى آخر ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ أي: على الإبل والسفن تحملون حيث سخرها الله لكم وما كنتم تقدرون على ذلك لولا تسخير هذه المخلوقات لكم ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ أي: أنه عز وجل يريكم أيها العباد آياته في تسخير الأنعام لكم وفيما ترونه من آياته الكبرى في السموات والأرض والكون كله ﴿فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ أي: لا تستطيعون إنكار هذه الآيات؛ لأنكم ترونها في كل شيء وفي أنفسكم، فإن أنكرتموها فإنكم تعاندون وتكذبون، وليس حينئذ أحد أظلم منكم كما قال تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾[١].

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٥٧ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير نعم الله على خلقه، ومنها: تسخير الأنعام لهم وهي الإبل والبقر والغنم، وهذا التسخير على نوعين: أولهما: تذليل هذه الأنعام لهم مع شدة وقوة بعضها كما هو الحال في الإبل. وثانيهما: التسخير لمنفعة العباد حيث توفر لهم هذه الأنعام طعاما يحتاجون إليه في معاشهم. وفيها: الحكم بأن آيات الله واضحة لخلقه فمن ينكرها فهو جاحد للحق ومجادل بالباطل.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إن من رحمة الله بعباده ولطفه بهم دعوتهم إلى الهدى وتحذيرهم من الضلال، حتى لا يصابوا بالعذاب،

فهنا يوجه كفار قريش أن يسيروا في الأرض التي حولهم؛ ليروا آثار الأمم التي كانت قبلهم كقوم هود وصالح ولوط وما حل بهم من الهلاك؛ بسبب تكذيبهم لرسلهم مع أنهم أكثر في عددهم من قريش وأكثر قوة وآثارا أي: عمرانا في أرضهم وهو ما أخبر عنه عز وجل بقوله ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي: لم تمنع عنهم قوتهم ولا عددهم ولا آثارهم العذاب الذي أصابهم حيث أصبحوا أثرا بعد عين.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ المراد أن المكذبين لرسلهم لما جاؤوهم بالبينات التي تبين لهم وجوب توحيد الله وطاعته، والإيمان بالبعث والحساب والجزاء، أعرضوا عنها وفرحوا بما عندهم من العلم المتأتي لهم من أصحاب العقائد المادية المبنية على الفلسفة المجردة من الدين والمشبعة بالإلحاد والظن وإنكار الدين والاستهزاء به وأهله، فكان عاقبتهم الهلاك كما قال تعالى ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ أي: لما رأوا العذاب قد أحاط بهم ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ أي: قالوا: إننا نؤمن بالله ونوحده وبما جاءت به رسلنا ونكفر بكل ما يعبد من دون

الله، فنفى الله عنهم الإيمان بقوله ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ أي: لم تنفعهم التوبة ولا الإيمان عند معاينتهم العذاب؛ لأن هذه ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ أي: حكمه وقضاءه في خلقه ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: خسر الذين استهزؤوا بدين الله ثم آمنوا لما رأوا العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب التدبر والتفكر فيما حلّ بالأمم المكذبة لرسلها؛ لما في ذلك من العبر والإدراك بأن ما حل بهم سوف يحل بمن بعدهم إذا كانوا مثل ما هم عليه من التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها. ومن الأحكام: أن القوة مهما كانت عظمتها لا ترد عذاب الله، فالخلق مهما بلغت قوتهم لا يستطيعون منع وقوع زلزال، ولا منع ثورة بركان، ولا هيجان بحر، ولا منع عاصفة، وهي كلها حوادث بسيطة في جانب قدرة الله وعظمته. وفيها: أن التوبة لا تنفع عند حلول النقم؛ لأن سنة الله في خلقه أن تكون التوبة في حال الإمهال، وليس في حال العذاب بدليل أن فرعون لم ينفعه إيمانه لما أدركه الغرق فقال ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]. فقال الله ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2].

---

(١) سورة يونس من الآية ٩٠.

(٢) سورة يونس الآية ٩١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة فصلت

مكية وآياتها أربع وخمسون آية

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿حمٓ﴾ من الحروف المقطعة، والله أعلم بمراده منها ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: هذا القرآن منزل من الله الرحمن الرحيم المتعالي في ذاته وملكوته ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: هذا القرآن مفصل في آياته، واضح في دلالاته، محكم في ألفاظه ومعانيه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: نزل بلسان عربي مبين، لا يشكل لفظه، ولا يصعب فهمه على ذي فهم ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لقوم يريدون أن يهتدوا بما فيه من الأحكام، أما الذين لايريدون أن يهتدوا بما فيه، فلا يحبون أن يعلموه ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: فيه البشارة للمؤمنين بأن لهم الحسنى في الدارين إذا آمنوا بما فيه واتبعوا أحكامه، وفيه: النذارة

بأن للمعرضين عنه سوء العاقبة في الدارين ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ أي: أعرض عنه أكثر قريش فهم لا يحبون أن يسمعوه ولا يفهموا ما فيه ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ أي: مغطاة فلا نحب سماعه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ أي: فيها صمم عن سماع ما جئت به يا محمد ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ أي: بيننا وبينك ساتر، فلا صلة لنا بك، ولا صلة لك بنا ﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ أي: اعمل أنت على ما تقول من دينك ونحن عاملون على ما نحن عليه من دين آبائنا وأسلافنا.

أحكام ومسائل الآيات:

توكيد نزول القرآن من عند الله كما قال تعالى في موضع آخر ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]. ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾[2]. ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾[3]. ومن الأحكام: أن آيات القرآن مفصلة وأن لغته عربية، وهذا يقتضي أن يتعلم المسلم قراءة القرآن باللغة العربية حتى يكون أكثر إدراكا لألفاظه ومعانيه؛ لأن ترجمته إلى اللغات الأخرى لا تحقق نفس الفهم الذي يفهمه القارئ له باللغة العربية. ومنها: أن القرآن ذو بشارة ونذارة؛ فالبشارة للمؤمنين به

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٢ .
(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٣ .
(٣) سورة الشعراء الآية ١٩٤ .

المصدقين به العاملين بأحكامه، والنذارة للعصاة الذين يعرضون عنه.

ومنها: أن من طبع الله على قلبه؛ بسبب كفره ومعاصيه لم يعد يسمع ما ينفعه من القول بل يبقى على ضلاله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد للمكذبين بك من قومك ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي: لست بملك عليكم ولا زعيم أو رئيس لكم، وإنما يوحى إلي لأبلغكم رسالة الله ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: لا إله في الوجود غيره فهو المستحق وحده للعبادة ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي: أخلصوا له العبادة، واتركوا عبادة غيره من الأصنام والأوثان ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي: اطلبوا منه المغفرة مما سبق من خطيئاتكم ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: سوف يلاقون سوء العذاب الشديد ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قيل: المراد أنهم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله[1] وقيل: هم الذين

(١) تفسير ابن وهب ج٢ ص٢٦٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٢ ص٩٢، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

لا يزكون أنفسهم بالأخلاق ولا يطهرونها من الأرجاس والأنجاس[١]، وقيل: لا يؤدون زكاة أموالهم[٢] ولعل هذا هو الأظهر؛ لأن قوله تعالى ﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: لا يعطونها لمستحقها فصرف المعنى إلى تزكية النفس قد يكون بعيدا، ويؤيد ذلك أن المراد بالزكاة إخراج شيء من أموالهم ولو كانوا مشركين؛ ذلك أن المتعارف عليه في المجتمعات أيا كانت دياناتها أن الأغنياء يساعدون الضعفاء، وأن عدم إيتاء المشركين المقصودين هنا للزكاة أو الصدقة يدل على شحهم وهو أمر مذموم عند سائر الناس. قوله ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب والجزاء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ المراد بهم الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الأعمال الصالحات من صلاة وزكاة وصيام وصدقة وبر واستقامة على الدين لهم أجر دائم لا ينقطع.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: توكيد نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ بما يوحيه الله إليه. وفيها: تقرير توحيد الألوهية وهو أنه لا إله إلا الله المعبود بحق وأن عبادة غيره باطلة. وفيها: وجوب الاستقامة على دين الله لمن يريد النجاة. وفيها: وجوب استغفار العبد من

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٩٤.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٢ ص٩٣.

سابق ذنوبه وخطيئاته. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (**إني لأستغفره وأتوب إليه في اليوم مائة مرة**)[1]. وفيها: تهديد المشركين الذين لا يؤدون صدقة من أموالهم ولا يؤمنون بالبعث والحساب. وفيها: أن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الأعمال الصالحة لهم أجر دائم.

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد للمكذبين من قومك ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: إنكم تكفرون بالخالق العظيم الذي خلق الأرض بما فيها من الموجودات والعوالم العظيمة في يومين، فمن كانت هذه عظمته وقدرته هل يعبد غيره من الأوثان والأصنام التي لا

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب، باب الاستغفار برقم (٣٨١٥)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٥٤، والدارمي في كتاب الرقائق، باب في الاستغفار، برقم (٢٧٢٣)، سنن الدارمي ج٢ ص٣٩١ .

تملك نفعا ولا ضرا؟ وهو معنى قوله ﴿وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: هذا الذي تجعلون له نظراء هو رب العالمين الذي خلقكم وأوجدكم من العدم إلى الوجود ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا﴾ أي: جعل في الأرض جبالا راسيات تمنعها من الحركة والاضطراب ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ أي: أودع البركة في موجوداتها من المياه والنبات وغيره ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ أي: قدر أقوات الخلائق وحاجاتهم ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: كان هذا التقدير في أربعة أيام تامات ومن سأل أو يسأل عنها فهكذا الأمر.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ أي: عمد بعد ذلك إلى السماء وهي دخان لم تكن بعد قد تكونت، بل كانت بما يشبه الدخان ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ أي: استجيبا لما آمركما به طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ أي: مطيعين لك بما تأمرنا به ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ أي: أحكم خلقهن في يومين، فأصبح خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها: يوم الأحد وآخرها: يوم الجمعة ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ أي: رتَّب ونظَّم في كل سماء من السموات السبع ما تحتاجه من المخلوقات التي قدرها بحكمته، ولا يعلمها إلا هو ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ المراد بها الكواكب السيارة ﴿وَحِفۡظٗاۚ﴾ أي: وقاية من الشياطين أن

تسترق السمع فإذا حاولوا قذفتهم الشهب من الكواكب فيحترقون ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ أي: كل هذا الذي حدث بفعل وقدرة العزيز في ملكوته العالم بجميع مخلوقاته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الكفر بالله خلل عظيم في حياة الإنسان؛ لأنه إنكار للخالق، وليس من ذنب أعظم من هذا الذنب. وفيها: تقرير أن الله خلق الأرض والسموات وما فيهما في ستة أيام أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، مع أنه قادر على خلقهما بمجرد أمره لهما بالكينونة ولكن حكمته اقتضت أن يكون خلقهما مقدرا بهذه المدة وليس ثمة تعارض بين قوله تعالى ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ وقوله في سورة النازعات لما ذكر خلق السموات فقال ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[1]؛ ذلك أن خلق الأرض سابق لخلق السموات ودحو الأرض وإخراج مائها ومرعاها تال لخلق السموات كما ورد في سورة النازعات، فالذي حدث بعد ذلك هو دحي الأرض وليس خلقها هذا هو ما قاله سلف الأمة. وقد روى البخاري في تفسير هذه الآية ما ذكره سعيد بن جبير: أن رجلا قال لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، منها قوله ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ إلى قوله ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ

(١) سورة النازعات الآية ٣٠ .

ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[١] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال تعالى ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾. فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء فقال ابن عباس: إن الله خلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله ﴿دَحَىٰهَآ ﴾ وقوله ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ أي: فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلقت السموات في يومين[٢].

وفي هذه الآيات: تقرير أن الكواكب زينة للسماء وأنها حفظ لها من دخول الشياطين إليها لاستراق السمع، فإذا حاول أحد منهم دخولها أدركه أحد الشهب فيحرقه كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٣].

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا

---

(١) سورة النازعات الآيات ٢٧ - ٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة حم السجدة، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤١٧-٤١٨ .

(٣) سورة الملك الآية ٥ .

عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ المراد بهم كفار قريش أي: إن تولوا عما جاءهم من البينات ﴿فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ﴾ أي: قل لهم إني أنذركم من صاعقة تحيط بكم ﴿مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ أي: تصيبكم كما أصابتهم فتهلككم كما أهلكتهم والمراد بهم قوم هود وقوم صالح المكذبون لهما، فأرسل الله عليهم الصواعق التي مزقتهم شر ممزق وقد بيَّن الله سبب عذابهم بقوله ﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: أتتهم رسلهم تدعوهم إلى توحيد الله وطاعته وعدم الشرك به، فلم يستجيبوا لهم وقالوا لهم ﴿لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ أي: لو كان ربنا يريد إرسال رسل لنا بالذي تقولون لأنزل ملائكة من عنده لهذا ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أي: لن نقبل قولكم ولا دعوتكم.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: طغوا وعتوا وعصوا ما جاءهم به رسوله من الهدى ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وهذا غاية في الاستكبار والطغيان إذ إنهم لما وجدوا أنفسهم في قوة من الدنيا، ظنوا أنه ليس أحد أقوى منهم، وهذا من جهلهم وسفاهتهم فقال عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: لم يكونوا يفكرون لفرط جهلهم أن الذي خلقهم وأخرجهم من العدم إلى الوجود هو أقوى منهم، ولو كانوا يعقلون لعلموا أن قوة الخالق غير قوة المخلوق ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي: ما كان هذا القول يصدر منهم إلا لأنهم كانوا يجحدون آيات الله وينكرونها. ولما علم الله مقولتهم ومبارزتهم له العداوة قال عز وجل ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: ريحا باردة قوية الصوت ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ أي: مشؤومات كما قال تعالى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[1].

﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: أذاقهم الله عذابا أخزاهم وأذلهم في الحياة الدنيا، حيث أصبحوا عبرة وموعظة للناس ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ أي: أشد وأعظم من خزي الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ أي: لن يجدوا لهم نصيرا ينصرهم من دون الله، بل

---

(١) سورة الحاقة الآية ٧.

يلاقون العذاب جزاء استكبارهم واغترارهم بقوتهم بقولهم ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ أي: أرسلنا لهم أخاهم صالحا يبيِّن لهم الآيات ويدعوهم إلى الهدى ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: أبوا وأعرضوا وعصوا أمر ربهم حين عقروا الناقة التي أعطاهم الله؛ لتكون لهم آية ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ أي: بعث الله عليهم صيحة ورجفة أهلكتهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي: كان هذا جزاء عملهم وتكذيبهم لرسولهم وجحودهم لآيات الله ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ أي: أنقذنا المؤمنين من بينهم، فلم يصبهم سوء فنجوا هم ونبيهم صالح؛ بسبب إيمانهم وتقواهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سوء عاقبة المعرضين عن الدعوة إلى الحق لما في ذلك من الكبر ورد الحق وقبول الباطل وفي هذا قال تعالى ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[1]. وفيها: الحكم بوجوب الإقرار بكلمة التوحيد وهي شهادة ألا إلَه إلا الله. وفيها: أن المعرضين عن الحق غالبا ما يحاولون تعجيز من يدعوهم إلى التوحيد، فيطلبون إنزال الملائكة لهم، كما يطلبون العديد من المعجزات كما طلب كفار

(١) سورة الجن من الآية ١٧ .

قريش من رسول الله ﷺ أن يرقى إلى السماء، وينزل عليهم كتابا يقرؤونه. وفيها: تحريم الاستكبار والاعتداد بالقوة والعجب بها كما يحصل اليوم من تسلط الدول القوية على الدول الضعيفة واستغلالها -كما سبق ذكره- وقد وعد الله المستكبرين بأشد العذاب كما قال تعالى في حق الكفرة يوم القيامة ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾(١).

وفيها: بيان العذاب الذي أصاب الله به المكذبين لرسله كما حدث لقوم هود وصالح، ولم يكن ليصيبهم العذاب إلا بسبب أعمالهم وكفرهم بآيات الله. وفيها: أن الإيمان هو الفاصل بين العذاب والنجاة منه؛ لأن الله عهد على نفسه أنه ينجي المتقين كما قال تعالى ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢).

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

(١) سورة الزمر من الآية ٧٢.
(٢) سورة الزمر الآية ٦١.

بيان الآيات:

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ لـمَّا وجَّه الله رسوله محمدا ﷺ أن ينذر كفار قريش إذا أعرضوا عما جاءهم من البينات قال عز وجل بيِّن لهم يا نبينا محمداً كيف يحشر أعداء الله يوم القيامة؟ حيث تجمعهم الملائكة فرقا فرقا بعد تجميعهم ثم يسحبون إلى النار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا ﴾ أي: إذا وقفوا على النار ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: تنطق هذه الجوارح بما كانت تعمل لا يخفى منه شيء فيقولون حينئذٍ لجلودهم ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ أي: كيف تشهدون علينا يقولون هذا لهم على سبيل اللوم والاستغراب ﴿قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ أي: أنطقنا الله الذي أنطق الأشياء ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: الذي أنشأكم النشأة الأولى ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: تعودون إليه بعد أن يحييكم من موتكم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير كيفية حشر المعادين لله إلى النار فرقا فرقا كما قال تعالى ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾[١]. وفيها: أن جوارح الإنسان تشهد عليه بما فعل، فلا يستطيع إنكار ما كسب في الدنيا. وفي حديث

---

(١) سورة مريم الآية ٨٦ .

أنس بن مالك رضي الله عنه -الذي سبق ذكره- قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: (**هل تدرون مم أضحك؟**) قلنا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: (**من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول بلى، قال: فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني. قال: فيقول الله تبارك وتعالى: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهوداً قال فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي قال: فتنطق بأعماله قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام قال: فيقول بعدا لكنّ وسحقا. فعنكن كنت أناضل**)[1].

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ قيل في سبب نزول هذه الآية: ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مستترا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر كثيرٌ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، برقم (٢٩٦٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٢٣٩ .

شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، قرشي وختناه ثقفيان، أو ثقفي وختناه قرشيان، فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال بعضهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إذا رفعنا أصواتنا سمع، وإذا لم نرفع أصواتنا لم يسمع. فقال الآخر: إن سمع منه شيئا سمعه كله. قال عبد الله: فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]. والمراد أن الأعضاء حينما تشهد على أصحابها فيلومونها على هذه الشهادة تقول لهم: لم تكونوا تخفون عنا ما كنتم تفعلون من المعاصي، بل كنتم تجهرون بها؛ لأنكم كنتم تظنون أن الله لا يعلم ما تفعلون وهو ما أخبر به تعالى في قوله ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي: إن ظنكم أن الله لا يعلم أفعالكم هو الذي أهلككم وأرداكم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: أصابكم الخسران والهوان والعذاب يوم القيامة.

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي: إن يصبروا على ما هم فيه من العذاب، فالنار مقرهم ومسكنهم ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ أي: إن يعتذروا فلن يقبل منهم عذر؛ لأن التوبة في الدنيا هي العذر، أما في الآخرة فليس ثمة أعذار

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٩٢، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، برقم (٢٧٧٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٩٤٧.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم سُوء الظن بالله، سواء بالقنوط من رحمته، أو الظن أنه لا يطلع على أفعال العبد، أو الظن فيه عز وجل بما يتنافى مع قدرته وعظمته كما قال تعالى ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ الآية[1]. وقوله ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[2]. وهذا يقتضي أن يكون المسلم حسن الظن بالله تعالى، فيعلم أنه ربه، وأنه قد تكفل برزقه وتكفل بقبول توبته إذا تاب من ذنوبه، وتكفل بأنه لن يظلمه، وتكفل بأنه سيرحمه لأن رحمته وسعت كل شيء.

﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ (٢٥) ﴾.

بيان الآية:

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ المراد كفار قريش والمعنى أنهم لمَّا عادَوا الحق وأصروا على الباطل تداخلت معهم بالقول والفعل شياطين من الجن ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي:

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٥٤ .

(٢) سورة ص من الآية ٢٧ .

زينوا وحسنوا لهم أعمالهم الفاسدة من الكفر والمعاصي ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: حق عليهم حينئذ العذاب ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ أي: كانوا من جملة الأمم السابقة التي حق عليها العذاب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ أي: لم يكن لهم من المعاصي التي زينها لهم قرناؤهم من الشياطين إلا الخسران.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن المرء إذا استمر في المعاصي، وأعرض عن الحق ونسي ذكر الله وخشيته، بعث الله له قرينا من الشياطين، يزين له سوء أفعاله لقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[١] أي: تسول لهم المعاصي وقوله تعالى ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٢]. ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ

---

(١) سورة مريم الآية ٨٣ .
(٢) سورة الزخرف الآية ٣٦ .
(٣) سورة الزخرف الآية ٣٧ .

وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ هذا بيان من الله تعالى أن كفار قريش تواصوا بينهم، واتفقوا على ألا يسمعوا القرآن إذا تلاه رسول الله ﷺ، خشية أن يتأثروا به أنفسهم، ويتأثر بهم كذلك من يراهم يسمعونه كما تواصوا أن يكثروا من اللغو إذا كان محمد ﷺ يقرؤه، ومن ذلك رفع الأصوات والضجيج والصفير حتى يختلط لغوهم هذا مع صوت رسول الله ﷺ، فلا أحد يستطيع فهم ما يقول. ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ أي: إذا فعلتم هذا اللغو سوف تغلبون محمدا وأصحابه. ولما سمع الله مقالتهم توعدهم بالعذاب الشديد ومجازاتهم بأسوأ من أفعالهم فقال عز ذكره ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وقد وصفه الله بقوله ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي: إن هذا العذاب هو جزاء أعداء الله عامة ومنهم كفار قريش وسوف يخلدون فيه جزاء جحودهم لآيات الله وتكذيبهم لرسوله وإيذائه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أي: يقول الكفرة وهم في النار: يا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن

والإنس أي: من شياطين الجن والإنس قيل: المراد بالذي أضلهم هو إبليس من الجن وقابيل من الإنس؛ لكونه أول من سن القتل[١]. لكي ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ أي: في الدرك الأسفل من النار حتى نشفي صدورنا منهم؛ بسبب إغوائهم لنا حتى صرنا إلى ما نحن فيه من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سلوك المشركين تجاه القرآن ومعارضتهم له والاستهزاء به، وتقرير عقابهم وهو الخلود في العذاب. وفيها: أن المجرمين حين يقاسون العذاب يطلبون ربهم أن يريهم من أضلوهم في الدنيا من شياطين الجن والإنس؛ لكي ينتقموا منهم فيضعونهم في الدرك الأسفل من النار كما قالوا فيما حكاه الله عنهم ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص١٠٠ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٣٨ .

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ لما ذكر الله في الآيات السابقة حال الكافرين ومآلهم يوم القيامة، ذكر حال المؤمنين، فوصفهم بأنهم الذين كانوا يقولون في الدنيا إن الله ربهم لا يعبدون إلا إياه، ولا يخشون إلا إياه، ولا يرجون إلا إياه، فلم يدعوا صنما أو وثنا ولم يتعلقوا إلا بربهم وقد استقاموا على ذلك إلى أن قدموا عليه، فلم يبدلوا ولم يغيروا، بل كانوا ثابتين على دينهم مستقيمين عليه ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: تأتيهم عند موتهم فتبشرهم برحمة ربهم، فلا يخافون من عذاب القبر ولا هم يحزنون على ما تركوا في الدنيا من الأهل والمال كما تبشرهم عند مبعثهم بألا يخافوا ولا يحزنوا من أهوال يوم القيامة وتقول لهم ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: تقول لهم الملائكة عند موتهم: نحن الذين كنا معكم في الدنيا نكتب أعمالكم ونحفظكم بأمر الله وسنكون معكم في الآخرة نؤمِّنكم بأمر الله من وحشة القبر، وعند النفخة، وعند

العرض، فلا تخافوا أو تحزنوا فأنتم في حفظ الله ونحن معكم حتى تدخلوا الجنة بسلام ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ أي: لكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم، وما ترغبونه من المطالب ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ أي: ما تتمنون ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ أي: هذا الذي تحظون به هو عطاء وإنعام وضيافة لكم من ربكم الذي غفر لكم ذنوبكم ورحمكم فوصلتم إلى هذه الدرجات من الكرامة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير عظم الاستقامة وفضل صاحبها قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]. وفي حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قلت: يارسول الله حدِّثني بأمر أعتصم به فقال عليه الصلاة والسلام: (**قل ربي الله ثم استقم**) قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه ثم قال: (**هذا**)[2]. وفيها: تقرير أن الإيمان والاستقامة عليه يحققان البشرى للمؤمن من حين موته إلى دخوله الجنة، وشاهده: قول الله تعالى على لسان الملائكة حين تحضر

---

(١) سورة الأحقاف الآية ١٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، برقم (٢٤١٠)، سنن الترمذي ج٤ ص٥٢٤، ومسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، برقم (٣٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٢٠٦ .

المؤمن الوفاة ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾[١]. ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾[٢]. ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴾[٣]. ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾[٤].

﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾.

بيان الآية:

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: لا أحد أحسن قولا من الذين يدعون غيرهم إلى دين الله والمدعوون على قسمين: الأول: من لم يؤمن بالله أصلا من الملحدين والكفرة، فدعوتهم وترغيبهم في الإسلام بذكر محاسنه مع تبسيطه وشرحه لهم بالموعظة المبنية على الحكمة والمجادلة العلمية. وفي هداية هؤلاء أجر عظيم؛ لأنها دعوة الأنبياء، ناهيك من أن فيها إنقاذ عدد أكبر من الناس من العذاب كما قال رسول الله ﷺ: (**فوالله لأن يُهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم**)[٥]. فكيف بمن يهدي الله على يديه أقواما أو أمما.

القسم الثاني: من هو أصلا داخل في دين الله، ولكنه مقصر فيه

---

(١) سورة الفجر الآية ٢٧ .

(٢) سورة الفجر الآية ٢٨ .

(٣) سور الفجر الآية ٢٩ .

(٤) سورة الفجر الآية ٣٠ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، برقم (٢٩٤٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص١٣٠ .

بارتكابه المعاصي والمحرمات والإنحراف عن منهج الدين، فدعوته هنا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الأمر يكاد يكون ركنا من أركان الإسلام؛ لأنه بدون هذا الأمر وهذا النهي يضعف الدين في النفوس إلا من وقاه الله؛ ذلك أن النفس البشرية ميالة إلى الهوى والملذات، فالدعوة عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو عن طريق الوعظ والارشاد أو بأي صفة أخرى تنبه إلى ما قد يحدث في النفوس من الخلل والميل عن المنهج الإلَهي. ولا شك أن الدعاة في كلا القسمين يلاقون كيد أهل الباطل فيضعون أمام الدعاة الكثير من العقبات، ويصفونهم بأبشع الأوصاف وهذا هو ما حصل للأنبياء منذ أن حمَّلهم الله إبلاغ رسالته ولكن هذه العقبات لا تقارن بما يحصل للدعاة من الثواب العظيم.

قوله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: كان هذا الداعي قدوة في دعوته إذ لا يمكن أن تبلغ الدعوة مبلغها أو تحقق أثرها إلا إذا كان الداعي ممن آمن بالله وعمل صالحا في نفسه، ولهذا كان الأنبياء سلام الله عليهم القدوة الكبرى لأممهم في الصلاح والإيمان، فهذا رسول الله ﷺ وهو خاتمهم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه[1]. قوله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾. برقم (٤٨٣٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٤٨ .

﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: اكَّد انتماءه وتعلقه بالإسلام مفاخرا ومعتزا به ومحافظا على شعائره.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن المرتبة الأولى في حسن القول تتطلب الدعوة إلى الله قولا وعملا، سواء دعوة غير المسلم إلى الإسلام، أو دعوة المسلم إلى الحفاظ على منهج الإسلام والالتزام به في السلوك، كما تتطلب هذه المرتبة تحقق العمل الصالح للداعي، إذ إن الدعوة ليست مجرد شعار بل هي التزام وعمل كما تتطلب هذه المرتبة الإقرار بالانتماء إلى الإسلام قولا وعملا.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ هذا توجيه من الله وتربية لعباده، ليعلموا أنه لا تماثل بين الحسنة والسيئة، فالخير لا يتساوى مع الشر، والإيمان لا يتساوى مع الكفر، والعقوق لا يتساوي مع البر، والظلم لا يتساوى مع العدل وهكذا ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي:

لما كانت الحسنة لا تساوي السيئة فعليك يا محمد أن تدفع السيئة بضدها ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: يتخلى عدوك عن عداوته ويصبح صديقا حميما لك وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ فكان القدوة والمثال في حسن الخلق والحلم عن الجاهل، والصفح والعفو عن العدو فقال لمن كانوا يعادونه وأخرجوه من مكة وهموا بقتله: (**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)[1]. ولم يغضب عليه الصلاة والسلام على من جفا عليه بالقول، بل كان سيد الحلم إلا إذا انتهكت محارم الله.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ أي: ما يلقى فضيلة دفع السيئة بالحسنة إلا الذين يصبرون على ما يسمعون بعد أن زكت نفوسهم وحسنت أخلاقهم ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: ما تحصل هذه الفضيلة إلا لمن منحه الله حظا وافرا من الأخلاق وسمو النفس.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الحسنة لا تتساوى مع السيئة، فهما ضدان لا يجتمعان بحال. وفيهما: وجوب دفع السيئة بالحسنة من القول أو العمل، وقد أرشد الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ وهو في الوقت نفسه إرشاد لأمته أن يكون متسامحا رقيق القلب وأن يعفو عن

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص٢٠٨ .

المسيء، ويستغفر له ويشاور فيما ينزل به من أمر كما قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾(١). وفيهما تقرير قاعدة من قواعد السلوك لدى الإنسان وهي أن الإحسان إلى المسيء يصرفه عن الاستمرار في إساءته، بل يعدل به من الإساءة إلى الحسنى، ومن البغضاء إلى المودة ومن الكره إلى المحبة.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٦)﴾.

بيان الآية:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ الشيطان عدو للإنسان كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(٢). وشياطين الإنس قد يندفعون بالإحسان إليهم أوبعقوبتهم إذا كان لا يردعهم إلا العقوبة، ولكن شياطين الجن أعظم خطرا، إذ إن رئيسهم إبليس قال للرب عز وجل ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٣). ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٤). فاقتضى هذا أن الشيطان يدخل على الإنسان من

(١) سورة آل عمران من الآية ١٥٩ .
(٢) سورة فاطر من الآية ٦ .
(٣) سورة ص الآية ٨٢ .
(٤) سورة ص الآية ٨٣ .

طرق عدة فيشغله في صلاته وفي منامه وفي أخص خصائصه فيأمره بالمعصية ويزينها له، ولا يزال بالإنسان يناصبه العداوة فلا يندفع إلا بالتعوذ منه لرد وساوسه ومكايده وقد أمر الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ أن يتعوذ منه بقوله ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وقوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[1]. إلى قوله ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾[2]. ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[3]. ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[4]. وكان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل قال: (**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**)[5].

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم إذا تعرض المسلم لوساوسه فإنه لا يرد كيده إلا الالتجاء إلى الله بالتعوذ منه.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

---

(١) سورة الناس الآية ١ .
(٢) سورة الناس الآية ٤ .
(٣) سورة الناس الآية ٥ .
(٤) سورة الناس الآية ٦ .
(٥) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، برقم (٢٤٢)، سنن الترمذي ج٢ ص٩، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، برقم (٧٦٤)، سنن أبي داود ج١ ص٢٩١ .

تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن من آياته العظيمة الدالة على قدرته المطلقة وجود الليل بسكونه والنهار بضيائه وكونهما يتعاقبان في نظام دقيق لا يتبدل ولا يتغير، كما أن من آياته الشمس والقمر وجريانهما في نظام دقيق يعجز العقل عن إدراك أسراره ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ هذا نهي تحريم عن السجود لهما؛ لأنهما مخلوقان لا يملكان نفعا ولا ضرا، وإنما العبادة يجب أن تكون للذي خلقهما وقدَّرهما وسيَّرهما كما قال تعالى ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ قوله ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي: خصوه وحده بالعبادة وأخلصوها. ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: أعرضوا عن عبادة الله وتوحيده ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ أي: لا يفترون ولا يملون.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ أي: ومن آياته الدالة على

عظمته وقدرته أن الإنسان يرى الأرض خاشعة أي: ميتة لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أي: إذا نزل الله عليها المطر أنبتت الزروع ومختلف النبات ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ أي: أن القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على فعل ما يريد فيقول للشيء كن فيكون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان قدرة الله وعظمته كما دلت عليه آياته، ومنها: الليل والنهار والشمس والقمر. وفيها: تحريم السجود لغير الله كما كانت تفعل بعض الأمم من عبادتها للشمس، وهذا يقتضي حكماً تحريم كل مافي معنى السجود لغير الله كالجِثي على الركب تعظيما للمخلوق ونحو ذلك مما يفعله بعض جهلة المسلمين تجاه رؤسائهم من أصحاب الزعامات ورؤساء الطوائف والطرق. وفيها: تحريم الاستكبار عن ذكر الله وعبادته كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]. وفيها: تقرير عظمة الله وقدرته في إحياء الموتى، وفي فعل كل ما يريد حيث يقول للشيء كن فيكون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ

(١) سورة غافر من الآية ٦٠.

خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ الإلحاد هو الميل بالشيء عن موضعه، فالذين يلحدون في آيات الله وأسمائه وصفاته هم الذين يميلون بها عن حقيقتها فيحرفونها ويغيرونها لخدمة أغراضهم الباطلة قوله ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ أي: نعرفهم وسوف يحل بهم العقاب ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: هما لا يستويان، فمن يلحد في آيات الله سوف يلقى العذاب والهوان يوم القيامة، ومن يؤمن بهذه الآيات سوف يأتي آمنا يوم القيامة فالعاقل من يختار الإيمان على الكفر حتى يكون إيمانه مانعا له من الإلقاء في النار ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ هذا تهديد ووعيد للذين يلحدون في آيات الله، ويستهزئون بها ويجادلون بالباطل فيها فيقول الله لهم اختاروا ما شئتم من الإيمان أو الكفر فالله بصير وعالم بما تعملونه وسوف يجازيكم على هذا العمل.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ ﴾ المراد به القرآن وهذا تهديد ووعيد لمن كفر به، والخبر محذوف وهو أن من كفر به سيلقى العذاب

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ أي: منيع غالب لا يقدر أحد على الإتيان بمثله ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي: لا يتطرق إليه الباطل بالتحريف أو الزيادة أو النقص؛ لأن الله حفظه بحفظه فلا يأتيه الباطل من أي: جهة من جهاته وذلك لأنه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: منزل من الحكيم في تدبيره، المحمود في أوامره ونواهيه وسائر أفعاله، فتقدس في آياته وفي أسمائه وصفاته.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الإلحاد في آيات الله وأسمائه وصفاته، وذلك بصرفها عن الحق إلى الباطل وهذا هو ما يفعله بعض من ضل عن سبيل الهداية، فجعل من الباطل منهجا للضلال كما يحدث اليوم من الخروج على أحكام الله بعلل وأوهام تحل ما حرم الله، ومن ذلك المطالبة بترك الناس يفعلون ما يريدون تحت مسمى الحرية في القول والفعل، ودون أن يكون عليهم رقيب يأمرهم بالمعروف أو ينهاهم عن المنكر. ومن الأحكام: التهديد والوعيد لمن يلحد في آيات الله كما قال تعالى ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[١]. ومنها: الحكم بأن الله حفظ القرآن بحفظه، فلا يتعرض لنقص أو زيادة أو تبديل أو تغيير، وهذا هو ما حدث منذ أن نزل من رب العالمين فقد

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٠ .

حفظه الله في صدور عباده المؤمنين حتى قيام الساعة وكل الذين حاولوا فيما مضى أو يحاولون اليوم في التعرض له حسب أهوائهم وضلالهم يبوؤون بالفشل والخسران.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾.

بيان الآية:

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ في هذا تسلية لرسول الله محمد ﷺ وأمر له بالصبر على أذى قومه، والمراد أن ما قيل لك من التكذيب والتسفيه والاستهزاء سبق أن قيل للرسل قبلك فاصبر كما صبروا ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ أي: يعطي المكذب بآياته فرصة للتوبة لعله يرجع عن ضلاله ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: يعاقب بشديد العقاب من يستمر على كفره وضلاله.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: يذكر الله عز وجل لرسوله أن الرسل الذين أرسلوا من قبله تعرضوا للتكذيب من أممهم، وقد صبروا على ذلك فأمره أن يكون مثلهم في الصبر؛ لأن الله يمهل المكذبين لعلهم يتوبون إليه، وذلك لأنه رحيم بخلقه فلا يعذب إلا من عاند منهم واستمر على كفره.

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) ﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا ﴾ لما ذكر الله عز وجل القرآن وبيانه وكفر المشركين به ومعاندتهم له رد على حججهم مبينا أن قصدهم هو المكابرة والمعاندة، فلو أنزله عليهم بلغة أعجمية كما رأوا ﴿لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ أي: قالوا: لو فصلت آياته بلغة العرب لكان ذلك واضحا لهم؛ لأنه إذا كان أعجميا وهو منزل على العرب فلن يفهموا لغته. ولما كان قصدهم هو اللجاج والجدال الباطل لتبرير كفرهم بالقرآن قال الله لرسوله ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن من آمن بهذا القرآن فإنه له هدى من الضلال وشفاء من الريب والشك ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ ﴾ أي: صمم يحول بينهم عن سماعه والإيمان به ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ أي: ظلام فلا يدركون مافيه من الحق ﴿أُوْلَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: كأنهم يدعون من مكان بعيد فلا يسمعون هذا النداء بسبب الصمم الذي وقر في آذانهم.

أحكام ومسائل الآية:

بيان ما كان عليه المشركون من العناد والمكابرة والكفر بالقرآن، وأن الله عز وجل جعل القرآن هدى لقلوب المؤمنين وشفاء لصدورهم ورحمة لهم فهم يؤمنون به كما قال عز وجل ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[1]. أما المشركون ومن في حكمهم فلا يؤمنون به فهم في عمى وضلال وخسران، وسوف يجزي الله المؤمنين بالقرآن على إيمانهم ويجزي الكافرين على كفرهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أي: كما آتيناك يا محمد الكتاب فقد آتينا موسى من قبلك الكتاب والمراد به التوراة وقد اختلف بنو إسرائيل فيه فمنهم: من اهتدى بما فيه، ومنهم من شك فيه، ومنهم: من آمن ببعضه وكفر بالبعض الآخر ومنهم من كذب به ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: لولا أن كلمة

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٢ .

ربك يا محمد قد مضت بتأجيل الحساب إلى ما بعد قيام الساعة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ المراد بهم المشركون لأن الذين كذبوا موسى قضى الله بينهم فأهلك من كفر منهم كفرعون وجنده وقومه ونجى من آمن بموسى كمؤمن آل فرعون ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ أي: أن المشركين كانوا في ريب من القرآن؛ بسبب مرض قلوبهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: بيان حال الأمم السابقة لبعثة رسول الله ﷺ، وأنها قد اختلفت على أنبيائها ومن ذلك: اختلاف بني إسرائيل على موسى. وفيها: أن حكمة الله اقتضت تأجيل الفصل بين المشركين والمؤمنين إلى أجل مسمى خلافا لقوم موسى الذين حكم الله فيهم فنجى المؤمنين منهم وأهلك الكافرين. وفيها: أن المشركين كانوا في ريب من القرآن؛ بسبب مرض قلوبهم.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾.

بيان الآية:

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أي: أن من عمل عملا صالحا فإن

نفع عمله يعود عليه وحده ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: يرجع سوء عمله إليه وهذا كقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[١]. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: لا يعاقب أحدا إلا بذنب ارتكبه بعد أن تقوم الحجة عليه عن طريق الكتب والرسل.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الإنسان يعمل لنفسه؛ فالمحسن يجزى على إحسانه، والمسيء يجزى على إساءته وهذا غاية العدل وفي الحديث القدسي (**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**)[٢].

الحكم بنفي الظلم عن الله عز وجل، فقد حرم جل ثناؤه الظلم على نفسه، وجعله محرماً بين عباده وفي الحديث القدسي عن رسول الله ﷺ فيما روى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: (**يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**)[٣].

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى

---

(١) سورة فاطر من الآية ١٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢ .

قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: لا يعلمها إلا الله وحده ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: ما تخرج ثمرات الأشجار من أوعيتها وما تحمل أنثى من البشر أو الحيوان أو الطير ولا تضع مولودها إلا بعلمه جل وعلا فهو العليم بكل ما في الوجود وهو المحيط بقدرته كل ما فيه ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ أي: أن الله ينادي المشركين يوم القيامة على رؤوس الأخلاق ويقول: أين شركائي الذين عبدتموهم من دوني؟ ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي: يتبرؤون منهم ويقولون: يا ربنا لقد أعلمناك وأقررنا على أنفسنا أنه ما منا من شهيد يشهد أن لك شريكاً، بل أنت الواحد الأحد الذي لا رب لنا غيرك ولا إلَه لنا سواك ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي: ذهب عنهم الشركاء الذين كانوا يدعونهم في الدنيا ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: تيقنوا في ذلك اليوم أنه لا مهرب لهم من العذاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله وحده هو عالم الغيب، فلا يعلم قيام الساعة إلا هو لقوله تبارك وتعالى ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[(١)]. وقوله ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾[(٢)]. والحكم بسعة علم الله وإحاطته بكل ما في الوجود لقوله عز وجل ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[(٣)]. وقوله عز ذكره ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[(٤)]. وقوله ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[(٥)].

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .
(٢) سورة النازعات الآية ٤٤ .
(٣) سورة الأنعام من الآية ٥٩ .
(٤) سورة الرعد من الآية ٨ .
(٥) سورة فاطر من الآية ١١ .

﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ هذا بيان من الله عن حال الإنسان حين يؤمن بالله في الضراء ويكفر به في السراء إلا من وفقه الله وهداه فآمن به في الشدة والرخاء، والمراد أن الإنسان لا يمل سؤال الله يريد منه الصحة والمال والولد فيعطيه الله مراده ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ أي: إذا مسه البلاء أو المرض أو الفقر يئس من رحمة الله، فلم يعد يتعلق به أو يرجو رحمته ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي: إذا أصابه رزق بعد فقر وصحة بعد مرض وولد بعد يأس كفر بما أوتي من عند الله وجحد فضله فقال: هذا لي أي: كنت أستحقه من الله ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أي: مع ذلك ينكر قيام الساعة أو يشك في قيامها ثم يقول ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي: إن حدث أن قامت الساعة فسوف يحسن إلي ربي في الآخرة كما أحسن إلي في الدنيا ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ في هذا تهديد ووعيد لهذا الصنف من الإنسان والمراد

سوف نخبرهم يوم القيامة بعملهم المدون في صحائف أعمالهم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: عذاب شديد.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ المراد به الإنسان الذي ذكر في أول الآية وهو الذي يؤمن بالله عند الضراء، ويكفر به عند السراء والمعنى أننا إذا أفضلنا عليه بنعمة الصحة والمال والولد تولى عن شكرنا وعبادتنا ونأى بجانبه مستكبرا ومتعاليا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: إذا أصابه بلاء أو فقر ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ أي: يرجع إلينا متضرعا ومبتهلا ومستمرا في الدعاء يرجو كشف ضره وبلائه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير صفات الإنسان خاصة من فقد الإيمان في نفسه فأصبح لا يفكر إلا في منافعه وذاتيته الدنيوية فيشكر خالقه عند الضراء ويكفر به عند السراء. وفيها: أن الله إذا كشف ضر هذا الصنف من الإنسان وأنعم عليه، وأزال بأساءه جحد نعمته وزعم أن ذلك بسبب قربه منه. وفيها: تحريم اليأس والقنوط من رحمة الله لقوله عز وجل ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١). وفيها: تحريم الكفر بنعم الله لأن ذلك مدعاة لزوالها لقوله تعالى

---

(١) سورة يوسف من الآية ٨٧ .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١]. وقوله ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٢].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الذين يكذبون بالقرآن أي: إن كان هذا القرآن منزلاً من عند الله بلا شك ثم كفرتم به ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: لا أحد حينئذٍ أكثر منكم كفرا بالله وبرسوله؛ لأنكم عرفتم الحق من الباطل ثم أعرضتم عنه فأنتم بعملكم هذا أضل الناس وأشقاهم ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ المراد أن هؤلاء المشركين إذا استمروا على شركهم وجحودهم لآياتنا ومنها:

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٥٣ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢١١ .

ما نزلناه من الكتاب على رسولنا فسوف نريهم آياتنا في الآفاق، وفي هذا بشارة لرسول الله ﷺ وإعلام له أن رسالته ستظهر في الآفاق في الوقت والأجل الذي حدده الله، وقد حدث هذا حين انتشر الإسلام في جزيرة العرب ثم ما حولها إلى أن دخل أكثر بلاد العالم فما من بلد إلا وفيه عدد من المسلمين قوله ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: رأى المشركون هذه الآيات عيانا في موقعة بدر وما تجلى فيها من النصر، فقتل فيها أكابر الكفار وصناديدهم كأبي جهل، ومنهم من عايشها زمنا حين نجا من القتل كأبي سفيان وغيره. كما شاهد المشركون ظهور هذه الآيات في فتح مكة التي أخرجوا منها رسول الله محمدا ﷺ ثم رأوه يحطم أصنامهم في الكعبة فعرفوا آيات الله، وإن دينه هو الدين الحق كما قال عز وجل ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ قوله ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: كفى به شاهدا على صدق رسوله محمد ﷺ، وهذه أعظم شهادة؛ لأنها صدرت من خالق الخلق ومدبرهم ومصرفهم فهل يطلب هؤلاء المشركون أكثر من هذه الشهادة ؟

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ هذا بيان من الله أن هؤلاء المشركين يشكون في البعث، وقيام الساعة والحساب والجزاء

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ أي: يحيط بعلمه وقدرته سائر المخلوقات فيعلم علانيتهم وسرائرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأنه لا أحد أضل ممن يكذب بالقرآن. وفيها: الحكم بأن الله يظهر لخلقه آياته الدالة على عظمته وقدرته وقد أظهر ذلك للمشركين حين رأوا دين الله يظهر على الدين كله، ويدخل فيه الناس أفواجا كما أظهر لهم آياته الدالة على صدق نبوة ورسالة رسوله محمد ﷺ حين انتصر على قوى الشرك والوثنية في معركة بدر، وفي فتح مكة وفي الفتوحات التي تتابعت في أنحاء المعمورة. وفيها: الحكم بأن الله كما أظهر آياته لنبيه والمؤمنين سيظهر آياته في الآفاق عاجلا أم آجلا حتى يعلم البشر أن دين الإسلام هو الدين الحق، وما يحدث اليوم من محاصرة لدين الله وتكالب القوى المعادية له دليل على أنه بداية لانتشاره بين الأمم كما يبدو اليوم واضحا في عدد الذين يدخلون فيه خاصة في أشد المواقع عداوة له ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة يوسف من الآية ٢١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشورى

مكية وآياتها ثلاث وخمسون آية

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦﴾.

بيان الآيات:

﴿حمٓ﴾ ﴿عٓسٓقٓ﴾ هذه من الحروف المقطعة والله أعلم بمراده منها ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: كما أوحى الله إليك يا محمد فأنزل عليك القرآن، أوحى إلى الرسل من قبلك بالكتب والدلائل التي بلغوها إلى أقوامهم ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ العزيز في ملكوته، الحكيم في تدبيره وتصريفه لخلقه ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: كل من في السموات والأرض عبيده وتحت تصرفه ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: العلي في ملكوته، العظيم في ذاته وفي أسمائه وصفاته

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ أي: يتشققن من فوقهن قطعا قطعا من عظمة الرب جل وعلا ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: يمجدونه ويعظمونه ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: يطلبون من ربهم المغفرة للمؤمنين والتجاوز عن خطيئاتهم ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ هذا توكيد لعظمته عز وجل بأنه يغفر الذنوب لمن تاب من عباده ويرحمهم ويكفر عنهم سيئاتهم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي: شركاء يعبدونهم من دون الله ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: شهيد على أعمالهم فيحصيها ثم ينبئهم بها يوم القيامة ويجازيهم عليها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ أي: ما أنت يا محمد إلا نذير تنذرهم وتحذرهم من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الأنبياء يتشابهون في الوحي الذي أوحى الله به إليهم وأساسه دعوة أقوامهم إلى توحيد الله وطاعته والبراءة من الشرك به. وفيها: تقرير عظمة الرب جل وعلا، وأن السموات تكاد تنشق من هذه العظمة. وفيها: تقرير أن الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للمؤمنين من هذه الأمة كما قال عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ

﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[1]. وفيها: تقرير شهادة الله على المشركين وإحصائه أعمالهم لمجازاتهم يوم القيامة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٩﴾.

بيان الآيات:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: كما أوحينا إلى الرسل من قبلك فأنزلنا عليهم كتبا وصحفا أوحينا إليك هذا القرآن بلسان قومك عربيا لا لبس فيه ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ المراد بها مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من البلدان والمراد أن تخوفهم من عواقب الشرك بالله وتكذيب آياته ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ أي: تنذرهم كذلك عن أهوال يوم القيامة، وأن النجاة في ذلك اليوم لا تكون إلا لمن اتقى الله فعبده ووحده ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك في ذلك اليوم ففيه ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: هما فريقان، فريق اتقى الله في الدنيا وعمل لهذا اليوم فأدخله الله الجنة، وفريق فرط في الدنيا فأشرك

(١) سورة غافر الآية ٧.

بالله وعصاه وأعرض عن ذكره فأدخله الله النار فكل منهما جوزي بعمله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: لو شاء لجعل الناس على هدى واحد، ولكن حكمته العلية اقتضت أن يكون من خلقه من هو مهتد ومنهم من هو ضال ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: يدخل المهتدون في رحمته فيجازيهم بإحسانه ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ليس للمشركين يوم القيامة من ولي يواليهم، أو نصير ينصرهم، بل يلاقون سوء أعمالهم. ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: لفرط جهلهم عبدوا غير الله ليكونوا شفعاء لهم يوم القيامة وما علموا أن هؤلاء الذين عبدوهم لن ينفعوهم بشيء ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ أي: هو الولي الذي لا ولي غيره وكل ما عداه فولايته باطلة ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: هو القادر على إحياء الموتى وبعثهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير الوحي لرسول الله ﷺ وتقرير فضل مكة بابتداء النذارة الإلَهية لها وفي حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزَوَّرة في سوق مكة: (**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي والله لولا أني**

أخرجت منك ما خرجت)[١]. وفيها: توكيد رسالة رسول الله ﷺ إلى سائر البلاد والأمم كما قال تعالى ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٢]. وفيها: أن الناس ليسوا أمة واحدة فقد اقتضت الحكمة الإلَهية أن يكون منهم مهتد، ومنهم ضال فيشمل الله برحمته المهتدين، أما الظالمون فلا يجدون لهم وليا يواليهم يوم القيامة؛ بسبب سوء أعمالهم.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ما اختلفتم فيه من أمر دينكم أو دنياكم وجب عليكم الرجوع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ فهما: الحاكمان بالعدل لكل خلاف ﴿ذَٰلِكُمُ

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك، باب فضل مكة، برقم (٣١٠٨)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٣٧، والدارمي في كتاب السير، باب إخراج النبي ﷺ من مكة، برقم (٢٥١٠)، سنن الدارمي ج٢ ص٣١١ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٥٨ .

﴿ٱللَّهُ رَبِّي﴾ أي: قل يا محمد للمشركين إن ربي هو الحاكم العدل الذي لا معقب لحكمه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي: فوضت أمري إليه وأرجع إليه في كل أمر يهمني ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: جعل لكم بقدرته وحكمته أزواجا تسكنون إليهم وتتناسلون جيلا بعد جيل ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ أي: جعل لكم أزواجا من الأنعام تتناسل لأجل منافعكم الدنيوية مما تأكلون من لحومها وتشربون من ألبانها ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ أي: جعل لكم من نظام الذكورة والأنوثة مجالا كبيرا للتناسل والتكاثر للإنسان والحيوان وغيرهما من المخلوقات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أي: ليس لخالق هذا النظام الإلهي العظيم مثيل أو نظير، بل هو المتفرد به وحده وهو السميع لخلقه في علانيتهم وسرهم وهو البصير بما يدبرهم ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له خزائن السموات والأرض ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يوسع على من يشاء من عباه في الرزق امتحانا له وما إذا كان يشكر ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يضيق على من يشاء من عباده امتحانا له كذلك، وما إذا كان يصبر ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: عالم ومحيط بكل ما في الوجود.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ هما الحاكمان لأي خلاف ديني أو دنيوي لقوله تعالى ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1]. ولما كان الكتاب والسنة هما الحاكمين فإن من مقاصدهما قبول ما تتفق عليه الأمة فحجته واضحة كالإجماع في قول رسول الله ﷺ: (**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة**)[2]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**فما رآى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن**)[3]. ومن الأحكام: وجوب التوكل على الله في كل أمر لقوله عز وجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[4]. ومنها: تقرير فضل الله على خلقه حيث أوجد لهم نظام التزاوج لمنافعهم منه. ومنها: تقرير قاعدة عظيمة هي أن الله ليس كمثله شيء فهو وحده المتفرد بصفات الكمال والعظمة، له خزائن السموات والأرض كبيرها وصغيرها وظاهرها وباطنها فتقدست أسماوه وصفاته.

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ

(١) سورة النساء من الآية ٥٩ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن، باب السواد الأعظم برقم (٣٩٥٠)، سنن ابن ماجة، ج٢ ص١٣٠٣، قال الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح ج١ ص٦١: «صحيح» برقم (١٧٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج١ ص٣٧٩ .

(٤) سورة الطلاق من الآية ٣ .

عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ المخاطب رسول الله وأمته، والمراد أنه شرع لهم ما وصَّى به نوحا؛ لأنه أول الرسل بعد آدم وهو ما أوحى الله به إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ أي: هو أيضا ما وصينا به هؤلاء الرسل المعروفين بأولي العزم فالدين المراد هنا هو دين الإسلام وأصله عبادة الله وحده لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه أو صفاته، وقد امتن الله به على عباده ليخرجهم به من الظلمات إلى النور وينقذهم به من الضلالة لتكون لهم الحسنى والسعادة في الدارين والأنبياء وإن اختلفوا في أزمنتهم وأمكنتهم وشرائعهم فدين الإسلام يجمعهم؛ لأنهم كما قال رسول الله ﷺ: (**الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**)[1]. ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ هذا أمر من الله للأنبياء أن يقيموا شعائر هذا الدين ويأمروا أقوامهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، برقم (٣٤٤٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٥٥٠ .

به ويدعوهم إليه والا يتفرقوا فيه؛ لأنه دين يجمع الناس على طاعة الله وينهاهم عن الشرك به رافة ورحمة بهم من عذابه ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: صعب عليهم ما تدعوهم إليه من عبادة الله وطاعته وذلك بسبب قسوة قلوبهم.

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ أي: يختار من يشاء للإيمان به ويهدي لهذا الإيمان من يرجع إليه يطلب هدايته وتوفيقه؛ لأن الهداية والتوفيق لا تكون إلا لمن تعلق قلبه بالله فيوفقه لهذه الهداية.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: ما تفرق المشركون وزاغوا عن الحق إلا من بعد ما جاءتهم البينات والبراهين وما حملهم على ذلك إلا البغي والطغيان ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لولا أن حكمة الله اقتضت أن يؤجل العذاب إلى أجله المسمى يوم القيامة لعجل لهم العقوبة في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ قد يكون المراد اليهود الذين خلفوا سلفهم الأولين فشكوا في التوراة والإنجيل وفي القرآن.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن دين الله واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما

قال عزوجل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[١]. ومن الأحكام: تحريم الاختلاف في الدين؛ لما يؤدي إليه من الفساد والضياع، ولهذا أكد الله على وحدة هذه الأمة بقوله ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[٢]. كما نهاها عن الفرقة بقوله ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣]. ومنها: أن سبب التفرق والاختلاف هو البغي والطغيان والبعد عن الله، والإعراض عن ذكره، فهذا كله مما يؤدي إلى قسوة القلوب وضعف النفوس وسوء الخلق.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ أي: ادع إلى هذا الدين الذي وصينا به جميع المرسلين من قبلك وأوحينا إليك به وهو عبادة الله وحده لا إله إلا هو

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥.
(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٢.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٥.

لا شريك له ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ أي: استقم أنت ومن آمن بك على ما أمرك الله به من عبادته وتوحيده ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ أي: لا تتبع أهواء المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ولا تلتفت إلى ما يقولونه فأنت على الحق المبين ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ أي: قل لهم إني مؤمن ومصدق بما أنزل الله من الكتب على الأنبياء من قبلي ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ أي: سوف أحكم بينكم بالعدل فيما تحتكمون فيه ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ﴾ أي: نؤمن بأنه ربنا وخالقنا، ونحن نعبده حق عبادته ونطيعه حق طاعته ولا نشرك معه أحدا في عبادته، فإن آمنتم فنفع إيمانكم يعود عليكم، وإن توليتم فالله غني عنكم، أنتم الأخسرون يوم القيامة ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ أي: لنا جزاء أعمالنا التي نعملها ولكم جزاء أعمالكم التي تعملونها وسوف يجزي الله كلا منا حسب عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ أي: لن يكون بيننا وبينكم أيها المشركون وأهل الكتاب جدال أو خصومة فالدين واضح لا لبس فيه ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ﴾ أي: سوف يجمع الله بيننا وبينكم يوم القيامة ويحكم بيننا بالعدل فيحكم لأهل الحق بالسعادة ويحكم لأهل الباطل بالشقاوة ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: إليه المرجع والمآب .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية أمر الله رسوله بثمانية أوامر هي: أولا الدعوة إلى دين الله، وقد قام عليه الصلاة والسلام بالدعوة خير قيام إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، وقد أشهد الله وأشهد من كان معه يوم النحر أنه قام بهذه الدعوة وبلَّغها بقوله: (**اللهم هل بلغت؟ اللهم أشهد**) قالها ثلاثا[١]. وبوفاته عليه الصلاة والسلام انتقل واجب الدعوة كله إلى أمته، فإن قامت بما يجب عليها وإلا أثمت. ثانيا: الاستقامة على الدين الذي أمر الله به. وقد فعل عليه الصلاة والسلام فعبد الله حق عبادته وجاهد في الله حق جهاده. ثالثا: عدم اتباع أهواء المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد فعل عليه الصلاة والسلام ما أمره به ربه فقال: (**يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه**)[٢].

رابعا: الإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين، وهذا الإيمان جزء من دين الإسلام الذي أرسل الله به رسوله كما قال تعالى ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، برقم (١٧٣٩، ١٧٤٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٦٧٠ .

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه ج٢ ص٣٢٦، وابن إسحاق في السيرة النبوية ج١ ص٢٢٤.

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٦ .

خامسا: العدل بين الناس وكان رسول الله ﷺ أعدل الناس وأنصفهم من نفسه ولما قال له رجل: يا محمد أعدل قال: (**ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل. لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**) فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق فقال: (**معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية**)[1]. سادسا: إبلاغ المشركين وأهل الكتاب بإقراره بربوبية الله اختيارا وطوعا وأنه لا إلَه إلا هو. سابعا: التبرؤ من عمل المشركين بقوله ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ ثامنا: انتفاء الخصومة والجدل مع المشركين وأهل الكتاب؛ وذلك لأن الدين واضح ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾. وفي هذه الآية تقرير الاجتماع يوم القيامة للفصل لقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا﴾. وفيها تقرير أن المصير إلى الله.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦﴾.

بيان الآية:

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ المراد بهم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، برقم (١٠٥٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٥ ص٢٨٩٠ .

المشركون وأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا يجادلون المؤمنين الذين استجابوا لدعوة رسول الله ويقولون لهم: ديننا أفضل من دينكم، وذلك ابتغاء صدهم عن دين الله، وقد وصف الله حجتهم بأنها باطلة بقوله ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثم توعدهم بقوله ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: عليهم غضب من الله ونقمة ولهم عذاب أليم بما كانوا يفعلون.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية وجوب ترك الخصام مع أهل الكتاب ومن على شاكلتهم إذا كان لا يؤدي إلى اقتناعهم بدين الإسلام أما إذا كان الجدال المبني على الموعظة الحسنة يؤدي إلى إقناعهم فيكون من باب الدعوة إلى الله لقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١).

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨)﴾.

بيان الآيتين:

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ﴾ أي: أنزل القرآن

---

(١) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

على نبيه ورسوله ليكون رحمة لأمته فيسود العدل بينهم ويحق الحق بينهم ويبطل الباطل الذي يتربص بهم فيكون المرجع في حكمهم كتاب الله وسنة رسوله ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ أي: ما يدريك يا محمد أن الساعة تقترب من موعدها ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾ أي: لا يصدقون بها ويتساءلون في استهزاء وتكذيب عن موعد قيامها ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾ أي: خائفون من قيامها؛ لأنهم يعلمون مافي ذلك اليوم من الأهوال والحساب والجزاء، فهم رغم إيمانهم وتعلقهم بمحبة الله يخشون من عدم قبول أعمالهم، فهم مع رجائهم في ربهم يخشون عقابه ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ أي: إن الذين يجادلون في قيامها ويشكون فيه لفي ضلال وسفاهة؛ لأنهم لو كانوا يعقلون لعلموا أن الذي خلق الخلق وأماتهم قادر على إحيائهم وعودتهم إليه ليحاسبهم على أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم: بأن الله أنزل القرآن حتى يسود العدل بين الناس ويحق الحق بينهم وينتفي الباطل عنهم كما قال تعالى ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾[1]. ومن الأحكام: تقرير قرب الساعة في الأجل الذي حدده

(١) سورة الحديد من الآية ٢٥ .

الله ولا يعلمه إلا هو. ومنها: أن المؤمنين يخشون قيامها؛ لأنهم لا يدرون عن مآلهم رغم قوة رجائهم في الله وتعلقهم بمحبته ووعده لهم بالمغفرة؛ أما الذين لا يؤمنون بها لجهلهم وضلالهم فسيحل بهم غضب الله ونقمته.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ هذا بيان من الله أنه لطيف رحيم بعباده يتساوى في ذلك برهم وفاجرهم؛ ذلك أنه عز وجل لا يؤاخذهم في الحال بما كسبت أيديهم، بل ينتظرهم لعلهم يتوبون ويرجعون إليه فيتوب عليهم أو يجازيهم يوم القيامة بعد قيام الحجة عليهم ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ أي: يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيق على من يشاء منهم؛ وهذا لا يدل على الرضا عن هذا أو السخط على ذاك، وإنما هي حكمة الله وهو أعلم بعباده ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: أنه في حكمته وإرادته وتصرفه قوي بعظمته عزيز في ملكوته ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ أي: من كان همه الآخرة والعمل لها والشوق إلى لقاء الله يعينه الله ويوفقه لزيادة حسناته

ويضاعف الله له هذه الحسنات الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ أي: من كانت الدنيا همه وغايته ولا هم ولا غاية له في الآخرة يعطيه الله من الدنيا ما كتب له، وليس له في الآخرة من حظ؛ بسبب عدم عمله لها.

أحكام ومسائل الآيتين:

من الأحكام: أن الله لطيف بعباده يرزق برهم وفاجرهم، وهذا من عظمته ورحمته بخلقه رغم أن منهم من يكفر به ويكذب رسالته، لكن حكمته اقتضت أن يمهل العاصي من عباده لعله يتوب ويرجع إليه. ومنها: الحكم بأن الجزاء من جنس العمل، فمن يعمل للآخرة يزيد الله في عمله فيضاعف له الحسنات ومن كان يريد الدنيا يؤته الله ما قدره له منها ويخسر حظه في الآخرة.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ هذا استفهام إنكاري وتوبيخ وتقريع لكفار قريش لأنهم اتبعوا ما شرعته لهم الشياطين من أحكام لم يأذن بها الله فحرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ ﴾ أي: لولا أن حكمة الله قد اقتضت بتأجيل العقوبة لهم إلى يوم القيامة لحل بهم العذاب والهلاك ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: لهم عذاب شديد يوم القيامة ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ أي: ترى المشركين وسائر الظلمة خائفين يوم القيامة من العذاب؛ بسبب سوء أعمالهم في الدنيا ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ أي: هذا العذاب واقع بهم لا محالة.

لما بيَّن الله سوء عاقبة الظلمة وحالهم يوم القيامة قال ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ﴾ المراد بهم الذين آمنوا بالله حقا وصدقا، واستقاموا على إيمانهم، فكانت الآخرة غاية مطلبهم فعملوا الأعمال الصالحة، فهؤلاء لهم كامل المتع في الجنة، لهم فيها ما يشاؤون ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ

ٱلْكَبِيرُ ﴾ أي: هذا هو الفوز الذي أنعم الله به عليهم رحمة منه، وجزاء على أعمالهم الصالحة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ﴾ أي: هذا الذي ذكر الله للمؤمنين من النعيم في الجنة هو الذي يبشر به عباده الصالحين حيث تبشرهم الملائكة عند قبض أرواحهم ويوم بعثهم ويوم عرضهم ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً للمشركين إني لا أسألكم أجرا على إبلاغي لكم رسالة الله، وإنما هو النصح لكم بحكم القرابة بيني وبينكم فلا تؤذوني ولا تؤذوا أصحابي واتركوني وشأني في إبلاغ ما أمرني الله بإبلاغه للناس ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ﴾ أي: من يكسب حسنة نزد له حسنا أي: نضاعفه له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: يغفر الكثير من الخطايا والذنوب ويشكر الصالحين من عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم كل حكم أو شرع لم يشرعه الله، وهذا يقتضي أن كل القواعد والقوانين التي تخالف شرع الله تعد محرمة وباطلة، ولا حجة لمن يقول إن الناس قد رضوا بهذه القواعد والقوانين؛ ذلك أن الناس لا يشرعون لأنفسهم، وإنما الذي شرع لهم هو الله وهذا

التشريع واضح في كتابه وفي سنة رسوله محمد ﷺ فمن منع حجاب المرأة مثلا فقد خالف شرع الله، ومن أبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد خالف شرع الله، وفي مخالفة شرعه محاربة له. وفيها: تقرير خوف الظلمة يوم القيامة من عاقبة أعمالهم في الدنيا؛ لما يرونه من العذاب الذي يحيط بهم. وفيها: تقرير حق القرابة إذ إن قرابة المرء أحق ببره في غير معصية الله وفي هذا قال الله تعالى ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1]. وفيها: تقرير مضاعفة الحسنات كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾

بيان الآية:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: يقول المشركون إن محمدا افترى على الله الكذب فادعى أن القرآن من عنده، بينما هو من اختلاقه ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بهذا يخاطب الله رسوله محمدا ﷺ قائلا: إن قومك اتهموك بالكذب فلا تلتفت إلى قولهم،

(١) سورة الإسراء من الآية ٢٦ .

(٢) سورة النساء الآية ٤٠ .

فنحن نعرف كذبهم وأباطيلهم، ولو كنت كما قالوا لطبعنا على قلبك فما استطعت أن تنسب إلينا كلاما لم نقله ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ هذا كلام مبتدأ والمراد أن الله في كل الأحوال يزيل الباطل ويدحضه، وقد أبطل عمل المشركين وعبادتهم للأصنام كما بيَّنه بقوله ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(١). ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ﴾ وكما أبطل الله عمل المشركين فإنه يحق الحق بكلماته التي أنزلها في القرآن، وقد تحقق كل ذلك لرسول الله ﷺ فكسر الأصنام فكان كلما كسر صنما قال ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ولما زهق الباطل انتشر الحق في جزيرة العرب وما جاورها ثم امتد إلى سائر بلاد العالم فقرَّت عين رسول الله ﷺ في حياته ومماته ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم بواطن وخفايا خلقه وما ينفعهم وما يضرهم وفي كتابه الكريم بيَّن لهم الباطل وأوجب عليهم اجتنابه وبيَّن لهم الحق وأمرهم باتباعه.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله قد برَّأ رسوله من الكذب، وأن القرآن الذي بلغه هو كلام الله المنزل من اللوح المحفوظ، فلم يتقوله بل نقله وبلغه كما أنزل عليه كما قال تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾(٢). ﴿لَأَخَذْنَا

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨١ .

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٤ .

مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾[١]. ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾[٢]. ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾[٣]. ومن الأحكام: أن الله بنزول القرآن أبطل الباطل في كل صوره من عبادة الأوثان أو الظلم والطغيان، وأحَقَّ الحق أي: بيَّن للعباد ما يجب عليهم من عبادة الله وحده.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: يتقبل توبتهم ويفرح بها إذا تابوا وأنابوا إليه، وهذا من فضله وامتنانه عليهم ﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: يتجاوز عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: يعلم جميع سلوك عباده من قول أو فعل ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ أي: يستجيب دعاءهم وابتهالهم إليه ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ﴾ أي: وزيادة على قبول دعائهم يزيدهم من كرمه وفضله ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: ليس للكافرين إلا الندامة والخسران والعذاب الأليم.

---

(١) سورة الحاقة الآية ٤٥ .

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٦ .

(٣) سورة الحاقة الآية ٤٧ .

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب توبة العباد من ذنوبهم وخطيئاتهم وجوب عين على كل من ارتكب إثما أو عمل سوءاً. وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح**)[١].

ومن الأحكام: وعد الله -ووعده الحق- أنه يستجيب لعباده دعاءهم ويزيدهم عليه.

﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: لو وسع عليهم في رزقهم أكثر مما يحتاجون إليه لطعامهم وشرابهم وحاجاتهم لأدى ذلك بهم إلى الطغيان، ولعلا بعضهم على بعض في الأرض ﴿وَلَٰكِن

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم (٢٧٤٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٨٥٧ .

يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ أي: يعطيهم من الرزق ما ينفعهم، ولا يؤدي إلى بغيهم وذلك لحكمته، فهو الخبير بخلقه، البصير بتصرفاتهم ونواياهم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ ﴾ أي: ينزل المطر على عباده بعدما يصيبهم اليأس والضر ويرى حاجتهم وإنعامهم إليه ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ أي: وبنزول المطر تنتشر رحمته على عباده فيشربوا بعد ظمأهم وتحيا أرضهم بعد موتها فيرون حينئذ أنه لا ملجأ لهم ولا منقذ لهم ولا منعم عليهم إلا هو ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ أي: هو المتولي لأمور عباده وقضاء حوائجهم وهو المحمود على تدبيره وتصرفه فيهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير حكمة الله في تصريف الأرزاق بين عباده وتقديرها منعا لما يحصل منهم من البغي على بعضهم في حال بسط الرزق لهم كما قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾[١]. ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[٢]. ومن الأحكام: تقرير حقيقة كونية هي أن الناس بدون المطر لا يقدرون على العيش في حياتهم، ذلك أن الماء مصدر قوتهم بل مصدر استمرارهم على الأرض، فأينما وجد الماء وجدت الحياة وأينما فقد الماء فقدت الحياة كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ

---

(١) سورة العلق الآية ٦ .

(٢) سورة العلق الآية ٧ .

﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1]. فإذا امتنع نزوله عليهم قنطوا وسئموا من حياتهم، وحينئذ يرحمهم الله فينزل عليهم المطر فتنتشر رحمته عليهم بنزوله.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: من آياته الدالة على عظمته وقدرته ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ابداعهما وتكوينهما بما لا يقدر عليه إلا هو ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: ومن آياته العظيمة ما وضعه فيهما من المخلوقات من الملائكة والإنس والجن والحيوانات والطيور وكل المخلوقات المتباينة في أشكالها ولغاتها وأجناسها ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر إذا شاء على أن يجمع كل هذه المخلوقات يوم القيامة في صعيد واحد، لا يعزب عنه شيء من أحوالهم، فلا تشتبه عليه لغاتهم ولا تلتبس عليه أقوالهم، بل هو القادر على كل ما يريد.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن من آيات الله الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه خلق السماء والأرض، ونشر الدواب فيها من الملائكة والإنس والجن

(١) سورة الأنبياء من الآية ٣٠ .

وغيرهم من العوالم الظاهرة والباطنة، وكل هذا بحكمته وإرادته، فما خلق الحشرة الصغيرة إلا لحكمة، وما خلق الكواسر من الحيوان والطير إلا لحكمة، وما خلق النملة إلا لحكمة، فله الثناء على عظيم صنعه وحسن تدبيره في خلقه.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي: ما يصيبكم من قحط أو بلاء في أنفسكم أو أموالكم أو أولادكم إلا بسبب ذنوبكم وخطيئاتكم، فالله لا يصيب عباده إلا بخير ولكنهم هم الذين يتسببون بمعاصيهم فيما يصيبهم ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ أي: يعفو عن كثير من السيئات فلا يعاقب عليها ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: لستم أيها الناس بمستعصين على قدرة الله، فلو شاء أخذكم أخذ عزيز مقتدر ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ أي: ليس لكم من ملجأ أو ملاذ إلا إليه؛ فهو الذي يظلكم برحمته وهو الذي يتولاكم بولايته وينصركم بنصره.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأنه ما يصيب الإنسان في نفسه أو ماله أو ولده إلا بسبب ذنوبه لقول الله عز وجل ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1]. وهذه ليست حقيقة إلَهية فحسب، بل هي حقيقة عقلية؛ ذلك أن من غير المعقول أن يعمل المرء عملا سيئا ثم ينتظر جزاء حسنا عليه ولهذا قال أحد السلف: إني لأرى أثر المعصية في نفسي ودابتي[2]. وهذا يقتضي محاربة الذنوب بالتوبة والاستغفار. ومن الأحكام: أنه لا ملاذ ولا ملجأ لأحد إلا إلى الله، فمن لاذ به ولجأ إليه تولاه؛ لأنه يتولى عباده المؤمنين بولايته وينصرهم بنصره.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ أي: ومن آيات الله الدالة على عظمته وقدرته: تذليل البحر وتسخيره بما فيه من الأهوال

---

(١) سورة الروم الآية ٤١ .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية ص٣٥ .

والشدائد لتجري فيه السفن كالجبال ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ أي: إن يشأ يوقف الريح التي تسير السفن ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ أي: تبقى راكدة على ظهر البحر دون حركة فتتعطل بذلك منافع أهلها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: في قدرة الله وتسيير الريح للسفن دلالة للذي يصبر على الشدائد ومنها: شدائد البحر وأهواله وهو شكور لله في الرخاء، سواء في البحر حين تسير فيه السفن دون عائق، أو شكور لله في كل حال ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي: لو شاء الله لأغرق السفن؛ بسبب الذنوب التي يرتكبها أهلها ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ أي: يعفو عن الكثير من ذنوب عباده؛ لأنه لو أخذهم بذنوبهم لأهلكهم وأغرقهم في البحر وهذا كقوله تعالى ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[١]. ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: يعلم بعلمه الواسع أولئك الذين يجادلون في آياته ويكذبون بها وهؤلاء مالهم من مهرب من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان قدرة الله في تسيير السفن في البحر رغم أهواله وأمواجه سواء كانت هذه السفن تسير بدفع الهواء أو بغيره كما هو

---

(١) سورة فاطر من الآية ٤٥ .

الحال في السفن التي تسير بالدفع الآلي، إذ إن الله سخر البحر لتجري عليه السفن كبيرة كانت أم صغيرة أم كانت تسير وفق أي: نظام، فلولا قدرته ومشيئته لما استطاعت هذه السفن أن تجتاز البحار والمحيطات بسلام وأمان. وفيها: الحث على الصبر في الشدائد والنوائب والشكر لله عز وجل في كل الأحوال. وفيها: تحريم الجدال في آيات الله بما يحرفها عن حقائقها ومقاصدها.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: أن ما تُؤتَونه في هذه الحياة من مال وولد وجاه ماهو إلا متاع من متع الحياة الدنيا، وهو متاع زائل لا محالة ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ أي: ما تعملونه للحياة الأخرى من الأعمال الصالحة هو الذي فيه لكم خير وأبقى لكم يوم تعرضون على الله ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: ما عند الله خير وأبقى للمؤمنين الذين عملوا الصالحات فلم تلههم متع الحياة الدنيا عن الإيمان ﴿وَعَلَىٰ

﴿رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: هذا الخير هو أيضا للذين يتوكلون على ربهم في السراء والضراء، فلا ينظرون إلا إليه، ولا يعتمدون إلا عليه.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ أي: ومن هؤلاء المؤمنين الذين أعد لهم الخير في الآخرة الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش كالزنا والخمر وسائر المحرمات ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: يصفحون ويعفون عمن يسيء إليهم ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: اتبعوا ما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: أدّوْها حسب أركانها وشروطها ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي: أن من سجيتهم التشاور بينهم في أمورهم، فلا ينفرد أحد منهم برأيه أو يتصرف حسب إرادته، بل هم شركاء في المشورة وفي التعاون بالرأي ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: يؤدون زكاة أموالهم ويبذلون الصدقات لأقاربهم وللفقراء من المسلمين.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: يتعاونون في رد الظلم والطغيان إذا تعرضوا له، فهم وإن كانوا يعفون ويصفحون عمن يسيء إليهم؛ إلا أنهم أقوياء في الحق ورد الظلم والانتقام ممن يتعرض لدينهم أو بلادهم أو أعراضهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الحياة الدنيا مجرد متع زائلة، وأن

الحياة الأخرى هي الأصل؛ لأنها المقام الدائم، وفيها: تقرير الخير الذي أعده الله للمؤمنين، وتقرير الصفات التي يجب أن يتمتع بها المؤمنون وهي الإيمان بالله عز وجل، والتوكل عليه واجتناب الإثم والفواحش والعفو والصفح عن الإساءة، والاستجابة لأوامر الله والانتهاء عن نواهيه وإقامة الصلاة والتشاور في صلاح الأمة وبذل الإحسان لأفرادها ورد الظلم الذي تتعرض له في دينها أو مقدساتها أو أرضها أو أعراضها.

قلت: فهذه الصفات التي وصف الله بها المؤمنين هي التي كان عليها سلف الأمة وكان من نتائج اتصافهم وتمسكهم بها أن فتح الله لهم البلاد وأورثهم الأرض وجعل لهم السيادة فيها. وما كان الله ليصيب الأمة وتتكالب عليها الأمم إلا إذا أعرضت عن أوامر الله وانتهكت حرماته، وقعدت عن الدعوة إليه واستكانت لأعدائها ومالأتهم فيما يدعون إليه.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

بيان الآيات:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ لما كانت الحسنة تجزى بمثلها وأكثر منها، فإن السيئة تجزى بالسيئة فمن ظلم استحق جزاء ظلمه، ومن بغى استحق جزاء بغيه وهكذا يقوم العدل بين الناس وتنتظم أمورهم في حياتهم، هذا في حال الإساءة إلى الأمة. أما إذا أساء الفرد إلى آخر مثله فله الحق أن يقتص من المسيء إليه أو يعفو عنه وله في ذلك الأجر من الله كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ قوله ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: يبغض المعتدين ويمقتهم ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ أي: من انتصر لنفسه بعد ظلمه فلا جناح عليه؛ لأنه يقتص ممن ظلمه, وهذا هو ميزان العدل الذي وضعه الله ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ أي: إنما الإثم على الذين يبدؤون بالعدوان على الناس فيظلمونهم في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم أو أولادهم دون وجه حق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: هؤلاء لهم عذاب شديد ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ أي: صبر على ما يناله من أذى الناس وغفر لهم أذاهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ أي: من الأمور الحميدة التي حث الله عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بمشروعية القصاص من المعتدي لقوله عز وجل ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾(١). وقوله ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾(٢). وفيها: استحباب العفو عن الإساءة, ولكن هذا لا ينبغي أن يعطل المصالح العليا ومن ذلك على سبيل المثال: التخلي عن القصاص الذي كتبه الله بقوله عز ذكره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾(٣). وقوله ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤). وما شرع الله هذا الشرع إلا وهو يعلم بحكمته أن ذلك يدرأ القتل، ويمنع المجرمين والقتلة من التعرض لحياة غيرهم، فالقاتل الذي تعمد قتل نفس بريئة إذا عرف أنه سيقتص منه بمثل فعله سوف يتوقف عن القتل, فإن عرف أنه سيدفع دية أو يغفر له ولي المقتول فعلته كان ذلك دافعا له ولغيره لاستمراء القتل, ولا يعني هذا حجب حق الولي في أخذ الدية أو العفو عن القاتل يبتغي بذلك الأجر من الله, بل المراد عدم التأثير على أولياء المقتول لدفعهم للعفو أو اخذ الدية مالم يكن ذلك بإرادتهم الحرة فيكون ذلك استثناء من الأصل وهو

(١) سورة البقرة من الآية ١٩٤ .
(٢) سورة النحل من الآية ١٢٦ .
(٣) سورة البقرة من الآية ١٧٨ .
(٤) سورة البقرة الآية ١٧٩ .

القصاص. أما إذا تحول الأمر إلى العموم فهذا مما ينافي حكم الله وحكمته في القصاص.

ومن الأحكام: أنه ليس على المظلوم إثم إذا اقتص ممن اعتدى عليه، وهذا وفق القواعد التي بينتها أحكام الشريعة، فمن تعرض للاعتداء وليس له من حاكم يرد عنه الاعتداء حُقَّ له رد الاعتداء والقصاص من المعتدي، ومن كان له حاكم يردع الاعتداء عنه وجب ترك الأمر له, وهكذا مما هو مبين في الشريعة. ومنها: وجوب رد الظلمة ومعاقبتهم حسب طبيعة جرائمهم. ومنها: أن في الصبر على الإساءة أجراً عظيماً ولكن كما ذكر لا يكون في ذلك تفريط للأحكام التي شرعها الله بحكمته وإرادته وهي رد الظلم.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: إن من يضله

الله بسبب سوء عمله فلا يهديه أحد ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: ترى الظالمين حينما يشاهدون هول العذاب يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: يتمنون الرجوع إلى الدنيا؛ لكي يتوبوا وهذا مستحيل عليهم إذ إنه لا رجعة إلى الدنيا بعد الموت ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: يعرضون على النار ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: اعتراهم الذل والصغار؛ بسبب ندمهم وحسرتهم على تفريطهم في الدنيا ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي: يسارقون النظر إلى النار وهم في خوف وقشعريرة منها ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي: يقول المؤمنون يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: إن أعظم الخاسرين هم الذين أخذوا للعذاب فخسروا أنفسهم بما يصيبهم منه وخسروا أهليهم وأصحابهم ومعارفهم حين افترقوا عنهم فأصبحوا وحيدين في العذاب ليس لهم من ولي يتولاهم، ولا من ناصر ينصرهم.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ أي: أنهم في عذاب دائم لا يزول ولا يحول ولا يتغير ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس لهم شفعاء أو مناصرون ينقذونهم من العذاب ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ أي: أن من أضله الله بسبب كفره فما له من منقذ ينقذه من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من يضله الله؛ بسبب كفره لن يقدر أحد على توليه كما قال عز وجل ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[1]. وفيها: الإشارة إلى حسرة الظلمة وندامتهم يوم القيامة وتساءلهم عما إذا كان لهم عودة إلى الدنيا للتوبة كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[3]. وفيها: أن أعظم الخسران يوم القيامة هو من خسر نفسه فأخذ للعذاب وفقد أهله وأصحابه ومعارفه يوم القيامة.

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾.

---

(١) سورة الكهف من الآية ١٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٧ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٢٨ .

بيان الآيتين:

﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾

لما ذكر عز وجل الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؛ بسبب ذنوبهم وعدم توبتهم منها أمر عباده أن يستجيبوا لنداء ربهم، وذلك بطاعته وتوحيده وترك معاصيه من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لن يرده راد، ولا يمنعه مانع، وليس بعده رجوع إلى الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾ أي: ليس لكم في هذا اليوم -يوم القيامة- ملجأ تلجؤون إليه ولن يكون بإمكانكم إنكار ذنوبكم فيه لأنها محصاة عليكم في صحائف أعمالكم ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ أي: تولوا فلم يستجيبوا لعبادة الله وتوحيده والبراءة من الشرك به ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ﴾ أي: لم ترسل إليهم لتكون وكيلا عليهم ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ أي: عليك أن تبلغهم ما أرسلت به وحسابهم على الله، ثم بيَّن عز وجل سلوك الإنسان وفرحه في السراء وكفره في الضراء، مع أنه لا تصيبه مصيبة إلا بسبب ذنوبه فقال ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ﴾ أي: إذا حصل له نعمة سر بها وفرح ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: أن تصيب الناس مصيبة بسبب ذنوبهم ﴿فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ أي: أن الواحد منهم يكفر ويجحد ما سبق

له من النعم فلا يذكر إلا ماهو فيه وهذا من أسوأ الطباع.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الاستجابة لأمر الله، وذلك بطاعته وتوحيده والبراءة من عبادة غيره؛ لأن يوم القيامة إذا جاء لن يردَّه راد ولن يمنعه مانع. ومن الأحكام: أنه لا ملجأ للعباد يوم القيامة إلا إلى الله، ولن يستطيع أحد منهم أن ينكر ذنوبه؛ لأنها مدونة في صحائف عمله بعد أن كتبتها الملائكة الحفظة. ومنها: تقرير رسالة رسول الله ﷺ وهي إبلاغ الخلق ما أوحى الله به إليه كما قال عز وجل ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾. وليس من رسالته أن يكون وكيلا عليهم كما قال عز وجل ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[1]. ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2]. ومنها: تقرير أن من سلوك الإنسان الذي لم ينشرح صدره بالإيمان الفرح بما يصيبه من حسنات، والكفر حين تصيبه سيئات حدثت له بسبب ذنوبه.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

(١) سورة الغاشية الآية ٢١ .

(٢) سورة الغاشية الآية ٢٢ .

بيان الآيتين:

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه مالك السموات والأرض ومبدعهما والمدبر والمتصرف فيهما، فكل من فيهما عبيده وتحت ملكه وتصرفه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: يخلق من الخلق ما يشاء من الإنس والجن وغيرهم من المخلوقات الأخرى ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ أي: يرزق من يشاء البنات فقط ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ أي: يرزق من يشاء البنين فقط ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ أي: يعطي من يشاء من عباده البنين والبنات معا ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ أي: لا يولد له بنات ولا بنون وكل هذا بحكمته وإرادته وعلمه بما ينفع هذا أو يضر ذاك فقد تكون البنات خيرا لوالديهن من البنين. وقد يكون الأمر بالعكس ولهذا قال عز وجل ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾[(١)]. وقد يكون العقم خيرا للإنسان رغم أنه لا يرى فيه خيرا له ولكنها حكمة الله فهو الحكيم العليم بأحوال خلقه، وهو الغالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ أي: عليم بمن يكون له البنات ومن يكون له البنون ومن لا يولد له، وهو قدير على ما يريد.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله هو المتصرف في عباده المدبر لهم والعالم بما

---

(١) سورة النساء من الآية ١١ .

ينفعهم وما يضرهم. والحكم بأن العقم قد يكون حالة دائمة، وقد يكون حالة طارئة، ومن المشروع علاج العقم فقد يكون نوعا من المرض الطارئ، ويتم تشخيصه بالطب فإن كان دائما فما على صاحبه إلا الصبر على ذلك، وإن كان طارئا جاز علاجه؛ لأنه من باب التداوي المشروع.

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ هذه الآية ردّ على ما سبق أن قاله المشركون لرسول الله ﷺ ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾[1]. فبيَّن عز وجل أنه لا يكلم إلا الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم لإبلاغ رسالاته إلى خلقه وهذا الكلام إما عن طريق إلقاء الوحي في رَوع الرسول وهذا ليس فيه شك أنه من عند الله كما

---

(١) سورة البقرة من الآية ١١٨ .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (**إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**)[1]. ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ أي: أن يكون الكلام من وراء حاجز كما فعل مع نبيه موسى عليه السلام؛ فقد سأل رؤية الله فمنع منها ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ أي: يوحي باذن الله ما أراده فيكون الرسول مبلغا وهذا ما كان يقوم به الملائكة حيث يرسلهم الله إلى رسله ومنهم جبريل الذي كان ينزل على رسول الله ﷺ فيأتيه أحيانا في صورة رجل ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ أي: عليٌّ في ملكوته، حكيم بما يدبره لخلقه.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد: لقد أوحينا إليك القرآن روحا من عندنا وسمّاه ﴿رُوحٗا﴾ لأن فيه حياة القلوب ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ أي: قبل أن ينزل عليك هذا القرآن ما كنت تدري عن الكتب السابقة ولا كنت تدري ما هو الإيمان على التفصيل ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ أي: جعلنا القرآن نورا وضياء نهدي به من نشاء من عبادنا ممن انشرحت صدورهم بالإيمان ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: إنك يا نبينا محمداً لتهدي إلى

---

(١) أخرجه الشهاب في مسنده ص١١٥١-١١٥٢، والبغوي في شرح السنة ج١٤ ص٣٠٤، والألباني في كتاب مشكلة الفقر، ص١٩، برقم (١٥)، وقال «صحيح».

الصراط المستقيم الذي رسمه الله وبيَّنه لك في القرآن وهو في الإجمال دين الإسلام الذي لا دين غيره، ثم فسر عز وجل الصراط المستقيم بقوله عز ذكره ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ أي: أحكامه وشرعه ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: له ما فيهما من الملائكة والإنس والجن وكل ما فيهما مما لا يعلمه إلا هو ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: ترجع أمور الخلق إليه فيحكم فيها فيوفي كلا حقه بالعدل والميزان.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات تقرير وسائل الوحي الإلَهي إلى رسل الله وهي إلقاء وحي الله في قلب الموحى إليه، أو يكون هذا الوحي كلاماً من الله عز وجل للموحى إليه من وراء حجاب كما كلَّم الله موسى وكلَّم محمدا ﷺ حين عرج به إلى السماء، أو يكون الوحي عن طريق أحد الملائكة فيرسله الله في صورة رجل فيبلغ الموحى إليه كلام الله الذي أمره بإبلاغه إليه دون زيادة أو نقص. وفيها أن القرآن روح من أمر الله تحيا به قلوب المؤمنين وتستضيء به كما قال عزوجل ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[1].

---

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الزخرف

مكية وآياتها تسع وثمانون آية

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾.

بيان الآيات:

﴿حمٓ﴾ هذه الآية من الحروف المقطعة والله أعلم بمراده منها ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ المراد به القرآن ومن صفاته أنه مبين جلي في ألفاظه ومعانيه ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ أي: أنزلناه بلغة العرب ولسانهم ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ أي: لعلكم تفهمونه لفظا ومعنى لأنه واضح بلغتكم ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ أي: إنه مدون عندنا في اللوح المحفوظ وهو عَلِيٌّ في مكانه، ومحكم في آياته وأحكامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ﴾ أي: هل نترككم فلا ننزل عليكم القرآن بسبب إسرافكم وإعراضكم، فهذا

ليس من حكمتنا وإنما ننزل عليكم القرآن لعلكم تهتدون به، فإن لم تهتدوا قامت عليكم الحجة واستحققتم العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل القرآن وشرفه وعلو قدره وفضله كما قال عز وجل ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾[1]. ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾[2]. ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[3]. ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]. ومن الأحكام: وجوب عدم اليأس من أهل المعاصي؛ بسبب معاصيهم بل يجب الاستمرار في دعوتهم إلى الله لعلهم يتوبون إليه، فإن تابوا فهذا خير لهم وإن أعرضوا وماتوا على إعراضهم قامت الحجة عليهم فلا يستطيعون أن يقولوا يوم القيامة: ما جاءنا من بشير ولا نذير.

﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ في هذا تسلية من الله

---

(١) سورة الواقعة الآية ٧٧.

(٢) سورة الواقعة الآية ٧٨.

(٣) سورة الواقعة الآية ٧٩.

(٤) سورة الواقعة الآية ٨٠.

لرسوله محمد ﷺ بأنه أرسل أنبياء كثيرين إلى الأمم السابقة فكذبوهم واستهزؤوا بهم وآذوهم كما قال عز وجل ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ثم قال ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي: أهلكنا من تلك الأمم من هو أقوى وأشد بأسا من قومك الذين كذبوك يا نبينا محمداً ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: مضى في سنة الله هلاك المكذبين من تلك الأمم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه ما من نبي أرسل إلى قومه إلا استهزؤوا به. والحكم بأن من يكذب رسل الله لا بد أن يحيق به العذاب، وهذا يشمل كل من يكذب بآيات الله، سواء كانت الدعوة قد أتته من الرسل أم من غيرهم من الدعاة إلى الله.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ لما ذكر الله حال الأمم السابقة وتكذيبها لأنبيائها ذكر حال المشركين وأنهم يعترفون بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض وأنه العزيز بقوته والعليم بخلقه، ومع ذلك يعبدون معه غيره من الأصنام والأوثان، وذلك لجهلهم وسفاهتهم، ثم لما بيَّن عز وجل اعترافهم بعظمته وقوته بيَّن أنه الذي بسط الأرض لخلقه وجعلها فراشا لهم يسيرون عليها في أمان وثبات بعد أن أرساها بالجبال كما قال تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي: طرقا تسيرون عليها لكي تهتدوا إلى مقاصدكم وانتقالكم من بلد إلى بلد فلعلكم بذلك تعتبرون بما أنعم الله عليكم من هذه المنافع في دنياكم ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي: هو الذي ينزل المطر من السماء بالقدر الذي تحتاجون إليه فلو زاد هذا القدر لأغرقكم ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ﴾ أي: أحيينا به الأرض الميتة التي فقدت الماء فتحولت إلى موات لا نفع فيها ﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ أي: كما هو قادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على بعث الأموات من قبورهم.

﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾ أي: أنه الذي خلق أصناف النبات

من الزروع والأشجار وأصناف الحيوانات لمنافعكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ أي: السفن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ أي: سخر لكم ركوب الأنعام كالإبل والخيول والبغال ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أي: لتركبوا على ظهور هذه الأنعام المسخرة لكم وأنتم مطمئنون غير خائفين من أخطارها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ أي: لتذكروا نعمته وتشكروه عليها حق شكره ﴿إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أي: تذكروا الله وتسبحوه وأنتم مستمتعون بهذا الركوب على ما سخره لكم من شيء لم تكونوا مقرنين أي: مطيقين له لولا ما سخره عز وجل لكم ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ أي: كما نحن سائرون في الدنيا، فإنا سائرون إلى الآخرة بعد بلوغ آجالنا فنعود إلى الله كما خلقنا أول مرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المشركين يقرون بربوبية الله كما يقرون بعظمته وعزته وعلمه باحوال خلقه ولكنهم يعبدون معه غيره فلا ينفعهم اقرارهم بهذه الربوبية؛ لأن الإقرار بها يقتضي حكما الإقرار بألوهية الله المطلقة النافية لأي شراكة لغيره معه. وفيها: تقرير نعم الله على خلقه من إنزال المطر بالقدر الذي ينفع الخلق ولا يضرهم وكذا نعمه عليهم بتذليل الأنعام وتسخيرها لهم ركوبا وطعاما إلى

جانب الفوائد الأخرى المتعددة. وفيها: تقرير الزوجية في الأشياء حتى في أصغر الأشياء كينونة. وفيها: وجوب تسمية الله وذكره عند الركوب على الأنعام المخلوقة لركوبها، وعند الركوب في السفن والطائرات وكل وسائل النقل وأن يقول عند انطلاق سيرها ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾؛ ذلك أنه ما من مركب أيا كان نوعه أو صفته يقدر على السير إلا بإرادة الله وقوته وتوفيقه، فلا مُسَيِّر ولا مُقَدِّر ولا حافظ في البر أو البحر أو الجو إلا هو فتقدست أسماؤه وصفاته.

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ (١٩) وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ ما زال كلام الله مستمرا في

دعوة المشركين إلى توحيده وتعرية أفعالهم ومعتقداتهم حين جعلوا من عباد الله جزءا منه فقالوا: إن الملائكة بنات الله فعبدوهم مع أن الله جل وعلا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وليس له حاجة في ذلك؛ لأن الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه ومملوكون له ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ أي: كفور بنعم الله وآياته وكفره بَيِّن في ذلك حين يعبد مع الله غيره أو ينسب إليه الولد مع أنه أي: الإنسان يعرف أن الله هو الخالق وحده، وأنه قد نزه نفسه عن الصاحبة والولد؛ لأن من يخلق كل الخلق لا يحتاج عقلا إلى ولد لأن الولد من صفات المخلوق، وليس من صفات الخالق ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَـٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ أي: ومن عجب سفاهة المشركين وجهلهم، وحماقتهم أنهم نسبوا البنات له؛ لأنهم يكرهونهن كما كانوا يقتلونهن وينسبون البنين الذين يحبونهم إليهم، فمع إنكار الله عليهم نسبة الولد إليه أصلا أنكر عليهم كذلك سفاهتهم في جعلهم البنات له.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ وهذا بيان عن سلوك المشركين وحماقتهم، فإذا بشر أحدهم بولادة البنت التي جعلها لله اسودّ وجهه وعلته الكآبة وامتلأت نفسه بالغيظ ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ما زال الله ينكر على المشركين سوء أخلاقهم

وحماقتهم فيقول عز ذكره منكرا عليهم غاية الإنكار: كيف ينسبون إليه الأنثى التي تلبس الحلي لتجميل ما نقص من جمالها وهي في الخصام ضعيفة غير مبينة لحجتها؛ بسبب خلقتها وطبيعتها التي أرادها الله ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ وهذا أيضا إنكار من الله عليهم حيث جعلوا الملائكة إناثا مع أنهم عباد الله يسبحون بحمده ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ استفهام إنكاري بمعنى هل شهدوا خلقهم يوم خلقهم الله؟ ثم قال متوعدا لهم سوء أفعالهم: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ﴾ أي: بذلك ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ أي: سوف يسألون يوم القيامة عن افترائهم الكذب وعن سوء أخلاقهم وسوء أدبهم مع الله ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾ أي: لو أراد الله ألا نعبدهم لحال بيننا وبين عبادتهم، وهذا أيضاً من سفاهتهم وضعف عقولهم وخلوها من الإيمان بالله ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما لهم حجة أو برهان فيما قالوه ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: يفترون الكذب ويتقولون على الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الإنسان إذا لم يهتد بنور الإيمان الذي جاء به كتاب الله، فهو مجرد كائن غير سوي حيث يرى المنكر معروفا والمعروف منكرا، وكان هذا حال الإنسان الذي كذب بما أنزل

إليه من الكتاب وما أرسل إليه من الرسل فضلّ عن السبيل حتى هلك بسبب ضلاله وكان هذا الضلال حال مشركي مكة حين نسبوا البنات إلى الله وعبدوا الأصنام والأوثان. وفيها: التنديد بالمشركين؛ لكرههم البنات وما أدى إليه هذا الكره من وأدهم لهن، الأمر الذي حرمه الله وتوعد مرتكبيه بقوله ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾[1]. ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[2].

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ وفي سياق الإنكار على المشركين في عبادتهم للأصنام ذكر الله عز وجل أنه لم يأتهم دليل ولا برهان قبل القرآن يحتجون به ويتمسكون به،

---

(١) سورة التكوير الآية ٨ .

(٢) سورة التكوير الآية ٩ .

وإنما هو تقليد لآبائهم حيث أخبر الله عنهم بقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ ثم ذكر تعالى أن مقالتهم هذه سبق أن قالها المترفون ممن سبقهم من الأمم المكذبة لرسلها كما قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أي: قال لهم رسولهم الذي أرسل إليهم: لو جئتكم بآية أفضل مما أنتم عليه هل تتبعونني وتتركون تقليد آبائكم ؟ قالوا: إنا كافرون بما جئت به أو تجيء به. فعلم بهذا أنهم لا يريدون الهداية ولا اتباع الحق ولهذا قال تعالى ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: من هذه الأمم المكذبة ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: فليحذر قومك يا محمد من سوء عاقبة تكذيبك حتى لا يحل بهم ما حل بالأمم الهالكة .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التقرير أنه لم يكن للمشركين حجة أو برهان في عبادتهم الأصنام، وإنما قلدوا آباءهم وأجدادهم، وهذا يقتضي تحريم تقليد الآباء أو نحوهم من بعض أصحاب الطرق الذين يتقولون على الله ويضلون أتباعهم تحت مسميات وتأويلات ما أنزل الله بها من

برهان. كما يقتضي تحريم القول في شرع الله إلا بدليل من كتابه أو سنة رسوله محمد ﷺ أو ما أجمعت عليه الأمة أو ما كان من مصادر شريعة الله من قياس وغيره. وفيها: الإشارة إلى أن المترفين من الأمم هم من أسباب فسادها وانحطاطها كما قال تعالى ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[1]. والمراد أمرنا مترفيها باتباع الحق، ولكنهم عصوا وفسقوا فاستحقوا العقاب.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ هذا بيان من الله لرسوله

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٦.

ليذكر به قومه عن دعوة نبيه إبراهيم الذي ينتسبون إليه حين دعا أباه وقومه إلى توحيد الله وطاعته والبراءة من الشرك به ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ أي: أتبرأ من عبادتكم للأصنام والأوثان ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أي: لا أعبد إلا الله الذي خلقني ورزقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ أي: سوف يدلني على مافيه نقص في ديني ودنياي ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ أي: جعل العبادة لله وحده الذي لا إلَه إلا هو ولا شريك له ولا معبود بحق سواه، كلمة دائمة في ذريته يتبعها من وعاها بقلبه ويستهدي بها من وفقه الله لاتباع الحق ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أي: يرجعون إلى هذه الدعوة الحنيفية التي أمر الله بها عباده وهم في أصلابهم، ومع وضوح دعوة نبي الله وخليله إبراهيم لم يؤمن بها كل من دعاهم فقد أشرك بالله أقوام من ذريته فعبدوا الأصنام والأوثان ومنهم قريش فقال الله عز وجل ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ أي: أبقاهم الله في الحياة فلم يهلكهم حتى نزل عليهم الكتاب يتلوه عليهم رسول الله يبشر من آمن وصدق به بأن له السعادة في الدنيا والآخرة وينذر من كذب به بسوء العاقبة ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أي: لما جاءهم القرآن كذبوه، ونسبوه إلى السحر وكفروا به وكذبوا رسول الله الذي بلغه إليهم ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ

عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ أي: لو أن هذا القرآن أنزل على رجل له مكانة وشرف من أهل مكة والطائف لما كانوا يرون ذلك في بعض زعمائهم كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة من مكة أو عمير بن عبدياليل الثقفي أو عروة بن مسعود الثقفي، وكان هذا من حماقتهم؛ لأنهم ما كانوا ينظرون إلى الحياة إلا من خلال المال والزعامة، وهما: الركنان الأساسيان في حياة الجاهلية وقد رد الله عليهم موبخا لهم بقوله ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ أي: هل هم المدبرون لرحمة الله وعطائه فيعطون النبوة من يشاؤون، ويمنعونها عمن يشاؤن. أي: ومن العجب العجاب أن المشركين يريدون أن تكون النبوة لمن يعبدون الأصنام، وقد تلوثت أيديهم وأجسادهم بالآثام وتنزع من محمد ﷺ الذي عرفوا أمانته وخلقه وطهارته منذ أن خلقه الله فلم يعبد صنما ولم يسجد لوثن ولم يرتكب في حياته ما يشينه، بل كانت صفاته صفات الكمال والطهر والعفة وكمال الأخلاق التي لا تكون إلا لمن أحبه الله ورضي عنه.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ المراد أن الله هو الذي قسم بينهم معايشهم من الطعام والشراب واللباس وغير ذلك من متع الحياة الدنيا فهل يعترضون على من اختاره لرسالته وهو محمد ﷺ ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ أي: في أرزاقهم ومعاشهم ففيهم الغني وفيهم الفقير ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ أي:

للعمل والخدمة وهذا من حكمة الله وتدبيره لخلقه، اذ لو تساوى الناس في الغنى لتعطلت مصالحهم، وركدت حياتهم، وتوقفت معايشهم ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: ما عند الله يوم القيامة من النعيم المقيم للمؤمنين أفضل وأعظم من حطام الدنيا الذي رأوا فيه عزتهم وشرفهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن إبراهيم عليه السلام جعل ملته باقية في عقبه، وهي عبادة الله وحده، لا إلَه إلا هو، لا شريك له ولا معبود بحق إلا هو، وقد كفر بهذه الملة أقوام من ذريته ومنهم كفار قريش وفيها: التنديد بالمشركين العرب الذين اعترضوا على إرسال رسول الله إليهم، يريدون أن تكون النبوة والرسالة في أحد زعمائهم لما يتمتع به من المال والرئاسة فيهم، وهذا زيادة في كفرهم وشركهم وهذا يقتضي أن من يعترض على إرادة الله في خلقه يعد كافرا كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١]. وفيها: تقرير حكمة الله في خلقه وتدبيره لهم حيث يبسط الرزق لمن يشاء من العباد ويَقْدِرُه على من يشاء منهم حتى يخدم بعضهم بعضا، وهذا التفاضل في الدنيا لا يدل على أن الغني أقرب إلى الله من الفقير وإنما هي الحكمة الإلَهية

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٦ .

اقتضت هذا لعلم الله بأحوال خلقه ومن يكون الغنى نافعا له ومن يكون الفقر نافعا له. أمّا عند الله فالدين هو الأصل في التفاضل كما قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)﴾.

بيان الآيات:

لما ذكر عز وجل في الآيات السابقة أن المنزلة العليا هي في نعيم الآخرة وليس في الدنيا ومتاعها قال ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لولا أن يعتقد الجهلة والغفل من الناس أن الغنى ومتاع الحياة الدنيا دليل على محبة الله ورضاه عمن أغناهم ومتّعهم ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ أي: لجعل الله للكفرة سقفا لبيوتهم من فضة ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: سلالم من فضة يصعدون عليها في بيوتهم ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾ أي: ولجعل أبواب بيوتهم وسررهم كلها من فضة ﴿وَزُخْرُفًا﴾ أي: جعل بعض سقفهم ومعارجهم وأبوابهم من ذهب

---

(١) سورة الحجرات من الآية ١٣ .

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ أي: أن ذلك كله من متاع الدنيا التي لا تلبث إلا قليلا ثم تزول وتكون هباء ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: إذا كانت الدنيا للكافرين وغيرهم فإن الجنة في الآخرة للمتقين لا يشاركهم فيها إلا من هو مثلهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التقرير أن الإنسان قد جبل بطبعه على حب الدنيا كما قال عز وجل ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[١]. ومن حكمة الله أنه يؤتي الدنيا للكافر والمؤمن ولا يؤتاها الكافر لكفره بل لحكمة؛ لأنه لو أوتيها بسبب كفره لكفر الناس أجمعون. وفيها: أن الدنيا لا تساوي عند الله شيئا كما في الحديث: (**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**)[٢]. وقوله: (**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**)[٣]. وفيها: أن نعيم الآخرة هو الذي يجب التسابق إليه بالتقوى والأعمال الصالحة؛ لأن الله جعل هذا النعيم حصرا للمتقين.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾

---

(١) سورة الفجر الآية ٢٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، برقم (٢٣٢٠)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٨٥ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، برقم (٢٩٥٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٢٢٩ .

وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: أن من يتعامى ويعرض عن القرآن ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ أي: نهيئ له شيطانا يلازمه فيصده عن سبيل الله ويزين له ارتكاب المحرمات والمعاصي وكل أسباب الفسوق، ومع ذلك يحسب أنه على هدى من الله فيما يعمله كما قال تعالى ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ أي: إذا جاء يوم القيامة ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: لمَّا يرى العذاب يحيق به من كل جانب يتمنى أن لو كان بينه وبين قرينه من البعد كما بين المشرق والمغرب ثم يقول لقرينه ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ لأنك قد أضللتني وزينت لي سوء عملي فاليوم أتمنى أن يباعد الله بيني وبينك ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لن ينفعكم في هذا اليوم يوم القيامة أنكم أنتم وقرناءكم مشتركون في العذاب؛ لأنكم أنتم وإياهم قد ضللتم وطغيتم وكفرتم. كما لن ينفعكم تمني مفارقة بعضكم

لبعض ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ المخاطب هنا رسول الله ﷺ تسلية له والمراد إنك لن تسمع الصم الذين لا يسمعون، ولن تهدي العمي الذين لا يبصرون، كما أنك لا تقدر أن تهدي من هو في ضلال مبين، فكما أن الصم لا يسمعون الصوت، والعمي لا يبصرون الطريق، والضالون لا يهتدون، فهؤلاء الذين تدعوهم قد أصبحوا بمثابة الصم والعمي والضالين فلن يكون لهم إلا الحساب والجزاء.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من يعرض عن كتاب الله متعاميا يتسلط عليه الشيطان فيلازمه في يقظته ونومه، ويصده عن سبيل الله فيزين له سوء عمله فيكون الحق عنده باطلا، والباطل حقا فيرتكب المحرمات والمعاصي ويحسب أنه على هدى من الله كما قال عز وجل ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[1]. وقوله ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[2].

قلت: ومن المشاهد والمحسوس: أن الذين يميلون عن الطريق القويم فيرتكبون المحرمات بتأويلات وعلل مختلفة يتسلط عليهم الشيطان، فيزدادون انحرافا على انحرافهم وضلالا على ضلالهم كما

---

(١) سورة فاطر من الآية ٨ .

(٢) سورة الصف من الآية ٥ .

حدث في الماضي لأصحاب الملل المنحرفة، وكما يحدث اليوم من المبتدعة في الدين والقول فيه بالهوى كتحليل أنواع من الربا ومجاراة الأعداء فيما يقولون وما ينسبونه إلى الدين من الأباطيل واتهامه بالتخلف وعدم مجاراة واقع الزمان ونحو ذلك من الضلالات التي تنشرها بعض وسائل الإعلام بين ظهراني المسلمين. وفيها: أن قرناء السوء يتبرأ بعضهم من بعض، ويتمنى كل منهم مفارقة الآخر كما قال تعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]. وفيها: أن من ضل عن الطريق وأعرض عن ذكر الله رغم ما جاءه من الحق يبقى على ضلاله فلا تنفع فيه المواعظ.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

---

(١) سورة الحشر الآية ١٦ .

(٢) سورة الحشر الآية ١٧ .

بيان الآيات:

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ أي: سوف ننتقم من هؤلاء الذين كذبوك حتى لو أخرجناك إلى مكان آخر بعيدا عنهم شأنهم في ذلك شأن الأمم الذين كذبوا رسلهم فأهلكناهم ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ أو نجعلك ترى غلبتك ونصرك عليهم ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ أي: قادرون على غلبتك عليهم، وقد رأى عليه الصلاة والسلام ما وعده به ربه من النصر عليهم، وذلك حين خر رؤساء المشركين يصرعون على وجوههم يوم بدر، لا يلوون على شيء وما كان لهم من ولي ولا نصير ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أي: تمسك بالقرآن الذي أوحي إليك فإنه النور المبين الذي يستهدي به المؤمنون، ويستضيء به المتقون ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: إنك بالقرآن على الطريق القويم الذي يفضي بمن تمسك به إلى جنات النعيم ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أي: أنه شرف وعزة ورفعة لك في الدارين، كما أنه شرف لقومك، حيث نزل بلغتهم وفي بلادهم، فهم أحرى أن يلتزموا به ويؤمنوا به، ويحكِّموه فيما شجر بينهم ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ أي: سوف تسألون عن عملكم به وما إذا كنتم أخذتم بأحكامه، وائتمرتم باوامره، وانتهيتم عن نواهيه.

﴿وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ

ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ سؤال الرسل متعذر من جهة عدم وجودهم حين نزول القرآن على رسول الله ﷺ والمراد أن عليك يا نبينا محمداً معرفة شرائع الرسل قبلك وأخبارهم لكي يتبيَّن لك أننا ما أمرنا أبدا أن يكون هناك آلهة تعبد من دوننا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التقرير أن من كذب رسل الله ينتقم الله منه، وليس المراد من كذَّبه في حياته فقط بل كل من كذب رسالته وإن أتى بعده بأجيال. وفيها: أن الله صدق وعده في نصر عبده ورسوله محمد ﷺ، فقد هزم أعداءه رغم قوتهم وتحالفاتهم ومكايدهم. وفيها: وجوب التمسك بكتاب الله فإن المتمسك به لن يضل كما قال عزوجل ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1]. وقوله ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾[2]. ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾[3]. وفيها: أن إنزال القرآن بلغة العرب شرف لهم إذا تمسكوا به، فهو ذكر وعز لهم كما قال تعالى ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[4]. وفيها:

(١) سورة الإسراء الآية ٩ .

(٢) سورة الكهف من الآية ٢ .

(٣) سورة الكهف الآية ٣ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠ .

أن هذه الأمة سوف تسأل يوم القيامة عما إذا كانت قد التزمت بهذا الكتاب في أحكامه. وفيها: أن كل الكتب السماوية جاءت بتوحيد الله وتحريم عبادة غيره كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (٥٠)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما زالت آيات القرآن تذكّر قريشا حال من سبقها من الأمم وما حل بهم من الهلاك بسبب تكذيبهم لرسلهم، ومنهم فرعون وقومه فقد أرسل الله موسى إليه بالآيات البينات كالعصا التي تحولت إلى حية، وقد دعاهم إلى عبادة الله وحده والبراءة من عبادة غيره، وأن يتركوا شأن بني إسرائيل ويرسلوهم معه حيث يريد فلم يستجب فرعون وقومه، بل كانوا يستهزئون بموسى ويسخرون

(١) سورة النحل من الآية ٣٦ .

من دعوته كما قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ أي: ما جاءت فرعون وقومه من آية إلا هي أكثر بينة على صدق موسى في دعوته ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ وهو ما ذكره الله تعالى بقوله ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ الآية[1]. قوله ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ كان فرعون وقومه يعتقدون أن موسى ليس إلا مجرد ساحر وأن الآيات التي جاء بها سحر، فطلبوا منه أن يطلب ربه أن يكشف عنهم العذاب الذي حل بهم وهو الجراد والقمل وفي كل مرة يعدون موسى بالإيمان ثم ينكثون، وينقضون ما عاهدوه عليه كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الناس قد لا يؤمنون بالآيات التي تأتيهم كما فعل فرعون وقومه مع موسى، وفعل كفار قريش مع رسول الله ﷺ فيما جاء به من القرآن بآياته البينات، وقد أخبر الله عن ذلك بقوله ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2]. وفيها: أن الله يُنْظِر

(١) سورة الأعراف من الآية ١٣٣ .
(٢) سورة يوسف الآية ١٠٣ .

العباد، لكي يتوبوا إليه إذا أذنبوا كما قال تعالى ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[1]. فإذا استمروا على ذنوبهم وعصيانهم رغم إمهالهم، عاجلهم الله بالعقوبة في الدنيا، أو أنظرهم إلى الآخرة. وفيها: تحريم النكث بالعهد كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2].

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ﴾ لما نكث فرعون وقومه عهدهم مع موسى أراد فرعون أن يشدد قوته على قومه ويمتحنهم في ولائهم

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧ .

له فجمعهم وخطب فيهم وقال لهم ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ﴾ أي: ألا ترون أني ملك مصر المتصرف فيها وهذه الأنهار كما ترون تجري في ملكي وشاهده أيضا قوله ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾[1]. ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[2]. قوله ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ أي: ألا ترون ما أنا فيه من القوة ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾ أي: أنا أفضل وأعز من هذا الفقير الحقير المراد به موسى عليه السلام ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي: لا يقدر أن يتكلم كلاما واضحا ويقصد بذلك اللثغة التي في لسان موسى ﴿فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ﴾ أي: إذا كان صادقا فيما يقول لم لا ينزل عليه من السماء أسورة من ذهب؛ ليضعها في يده كما يفعل الملوك ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ﴾ أي: جاءت الملائكة يشهدون له بما يقول ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ لما تكلم فرعون ونسب إلى نفسه القوة والعظمة واستفز قومه بما قاله أطاعوه؛ بسبب خفة عقولهم وعدم إدراكهم ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ أي: عاصين الله مما جعلهم يستجيبون لفرعون فيما قال ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ أي: لما أغضبوا الله عز وجل بنكثهم العهود وكفرهم انتقم منهم ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ أي: أغرق

---

(١) سورة النازعات الآية ٢٣ .

(٢) سورة النازعات الآية ٢٤ .

فرعون وقومه ولم ينج منهم إلا الذين آمنوا بموسى ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ أي: جعلنا إغراق فرعون وقومه سلفا أي: متقدمين على غيرهم ولمن يعمل مثل عملهم وعبرة وموعظة لمن بعدهم ليرى كيف يهلك الله المكذبين لرسلهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم الاستعلاء على عباد الله المؤمنين كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[٢]. ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[٣]. وفيها: التنديد بالذين يصدقون كل داع لهم، دون أن يفكروا فيما يدعوهم إليه فلا يفعل هذا إلا خفاف العقول الذين يسيطر عليهم الفسق والمعاصي، فلا يقدرون على تمييز الحق من الباطل وهذا هو ما يفعله اليوم قلة من المسلمين الذين لا يفكرون فيما يدعوهم إليه أعداؤهم من دعوات تبدو في ظاهرها سليمة، بينما هي في حقيقتها دعوات إلى التحلل من الدين والقيم ونشر الفساد في الأرض. وفيها: أن الأمم إذا استمرت على الفسق والكفر يشتد غضب الله عليها فينتقم منها لتكون عبرة لمن يأتي بعدها.

---

(١) سورة النساء من الآية ٣٦ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٧ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٣٨ .

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ لما نزل قول الله تعالى ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[1]. جادل المشركون رسول الله ﷺ وقالوا ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾ أي: قال أحد المشركين مجادلا وهو عبد الله بن الزِّبعرى: أنت تقر كما نحن نقر بأن عيسى من المقربين عند الله إلا أنك قد سويت بينه وبين آلِهَتِنا وقلت إنهم جميعا يَرِدُون حصب جهنم، فهذا مما يدل على تناقضك في قولك ولما سمع المشركون هذه المقولة أعجبوا بها وظنوا أنهم غلبوا رسول الله بحجتهم[2] وهو معنى قوله تعالى ﴿يَصِدُّونَ﴾ قوله ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ أي: ما كان هدفهم من قولهم

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١٦ ص١٠٣ .

هذا إلا اللجاجة والخصام، وإلا فإنهم يعرفون أن هذه الآية لا تشمل الأنبياء والرسل والصالحين والأولياء، وأنها لم تنزل إلا فيهم؛ لأنهم هم المخاطبون بها؛ لكونهم يعبدون الأصنام والأوثان ولم يكونوا يعبدون عيسى إضافة إلى أنه نزل بعد هذه الآية قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾[1]. فدل هذا على أن قصدهم من مقولتهم الخصام والمجادلة بالباطل ثم قال تعالى عن نبيه عيسى ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: ليس عيسى إلا عبدا من عباد الله أنعم الله عليه بالنبوة وجعله مثلا لبني إسرائيل أي: برهانا ودليلا على قدرة الله لعلهم يهتدون ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾ أي: لو نشاء لأهلكناهم ولجعلنا لكم ملائكة يخلفونكم في الأرض ويكونون أفضل منكم ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: أن نزوله لَدليل على قيام الساعة ﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: لا تشكون في مجيئها ﴿وَٱتَّبِعُونِۚ﴾ أي: قل يا محمد لقومك اتبعوني فيما جئتكم به وهو الإسلام الذي يوجب عليكم توحيد الله وطاعته والبراءة من الشرك به ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ أي: إن هذا الدين هو الطريق القويم الذي يوصل إلى مرضاة الله ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ﴾ أي: لا يصدنكم

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠١.

عن اتباع الحق فتضلوا وتتعرضوا لغضب الله وعقابه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: يريد أن يغويكم ويضلكم لتكونوا معه وجنده يوم القيامة في العذاب السعير.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم الجدال والخصام بالباطل كما قال تعالى ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[(١)]. كما أن الجدال والخصام في غير الحق هو من أوامر الشيطان كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[(٢)]. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**)[(٣)]. وفيها: التقرير أن عيسى عبد من عباد الله، أنعم الله عليه بالنبوة وأن نزوله في آخر الزمان دليل على قرب قيام الساعة. وفيها: تحريم الشك في قيام الساعة كما قال تعالى ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[(٤)]. وقوله ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾[(٥)].

---

(١) سورة غافر من الآية ٥ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٢١ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٤٤) من سورة الزخرف برقم (٣٢٥٣)، سنن الترمذي ج٥ ص٣٥٣، وابن ماجة في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، برقم (٤٨)، سنن ابن ماجة ج١ ص١٩ .

(٤) سورة الفرقان من الآية ١١ .

(٥) سورة الشورى من الآية ١٨ .

وفيها: تحريم اتباع الشيطان كما قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]. وقوله ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانًا مُّبِينًا﴾[2]. والآيات في التحذير من اتباع الشيطان كثيرة.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ لما دحض الله حجة مشركي مكة وزعمهم الباطل في تناقض ما جاء به الرسول ذكر الله رسالة عيسى عليه السلام ونبوته، وأنه أرسل إلى بني إسرائيل ليبين لهم ما اختلفوا فيه من التوراة كما قال تعالى ﴿قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ أي: اتقوه وأخشوه فيما أمركم به وأطيعوني فيما جئتكم به من كتاب ربكم

(١) سورة البقرة من الآية ١٦٨ .

(٢) سورة النساء من الآية ١١٩ .

الإنجيل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ أي: أنا عبد من عبيد الله مثلكم فاعبدوا الله وحده ولا تشركوا معه غيره ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: أن ما جئتكم به هو الطريق القويم الذي يجب أن تكونوا عليه. وفيما قاله عيسى عليه السلام تذكير لكفار قريش أن ما جاء به محمد ﷺ إليهم هو ما سبق أن جاء به النبيون والرسل من قبله من الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أي: اختلف بنو إسرائيل لما جاءهم عيسى فصاروا فرقا منهم من صدق نبوته ورسالته وقال: إنه عبد من عبيد الله، ومنهم من جعله ابنا لله -تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا- ومنهم من كذبه واتهم أمه بارتكاب الفاحشة ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ وفي هذا تهديد ووعيد للذين كذبوه بأنهم سيلاقون العذاب الأليم يوم القيامة ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: هل ينتظر هؤلاء الذين كذبوه من اليهود والنصارى أن تأتيهم الساعة فجأة وهم سادرون في غيهم وضلالهم وتكذيبهم لما جاءهم به عيسى من البينات.

ومنها: وجوب الإيمان برسالة رسول الله محمد ﷺ.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن عيسى أرسل إلى بني إسرائيل بالبينات؛

لكي يعودوا إلى رشدهم ويهتدوا بما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل، ويبين لهم ما كانوا يختلفون فيه من أحكام دينهم. وفيها: تحريم الاختلاف في الدين كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

وفيها: وعيد الله بأليم العقاب لليهود والنصارى الذين جحدوا ما في التوراة والإنجيل من البشارة برسالة رسول الله محمد ﷺ فكذبوه ولا يزالون يكذبونه ويستهزئون برسالته.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: يوم تأتي الساعة فجأة يكون الذين تصادقوا وتحابوا من أجل الدنيا أعداء فيما بينهم

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٥.

﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أما الذين تحابوا في الله وتصادقوا من أجل هذه المحبة فمحبتهم وصداقتهم تبقى ثابتة يوم القيامة ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي: ينادي الله المتقين يوم القيامة ألا يخافوا من هول ذلك اليوم ولا يحزنوا على ما فاتهم من متع الحياة الدنيا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هذا وصف لهم بأنهم الذين آمنوا بآيات الله ﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ أي: أسلموا أنفسهم لله رب العالمين ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ أي: ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم المؤمنات تفرحون فيها خالدين مخلدين ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ أي: يطاف عليهم بآنية الطعام التي تتكون من ذهب ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ والمراد بها آنية الشراب المكونة من الذهب ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: ما تتطلع إليه الأنفس من أطايب الطعام والشراب وغيره ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ أي: فيها ما تلتذ له الأعين من النظر إليه ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: مخلدون لا يخرجون منها ثم يقول الله لهم على سبيل الامتنان عليهم ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: أن أعمالكم الصالحة هي التي وفقكم الله بسببها إلى دخول هذه الجنة ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ أي: متنوعة الأنواع والأصناف ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: تطعمون مما تختارونه منها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن المحبة في الدنيا إذا كانت مبنية على المنافع والأغراض الدنيوية سرعان ما تنتهي فلا يبقى إلا المحبة في الله، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (**أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله**)[١]. وهذا يقتضي أن تكون المحبة بكل صفاتها وأنواعها في الله، وأن يكون البغض فيه قولا وعملا ظاهرا وباطنا وفي السراء والضراء. وفيها: فضل التقوى كما قال عزوجل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢]. وفيها: الحكم بأن الله يجمع بين المؤمن وبين زوجته أو زوجاته في الجنة إذا كن مؤمنات. وفيها: أن الأعمال الصالحة سبب في دخول الجنة، ولكنها ليست حكما لازما لدخولها لقول رسول الله ﷺ: (**لا يدخل أحد الجنة بعمله**) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة**)[٣].

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، برقم (٤٥٩٩)، سنن أبي داود ج٤ ص٢٠٣، والإمام أحمد في مسنده ج٥ ص١٤٦ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٢٧ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل برقم (٦٤٦٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٣٠٠ .

أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ لما ذكر الله ما أعده للمتقين من النعيم ذكر حال المجرمين وهم أهل الشرك والكفر بأنهم يخلدون في النار ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ أي: لا يخفف عنهم العذاب ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: حزينون ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: أن الله لم يظلمهم، وحاشا أن يفعل، ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم بإصرارهم على الشرك والمعاصي وعدم التوبة اليه، مع أنه قد أمهلهم ووعدهم بالتوبة عليهم إذا تابوا ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي: نادوا مالكا خازن النار يطلبون أن يقضي الله عليهم فيموتوا إلى الأبد؛ لكي يستريحوا مما هم فيه من العذاب ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ أي: أجابهم مالك بأنهم مخلدون في النار ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: أن سبب عدم خروجكم من النار هو تكذيبكم للحق الذي جاءكم واستهزاؤكم به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ أي: كنتم تكرهون الحق وتصدون عنه وتكرهون أهله وتحبون الباطل وتدعون إليه وتحبون أهله، ولما انتهت مهلتكم في الدنيا وصرتم إلى ما صرتم إليه الآن من العذاب فليس لكم إلا ما أنتم فيه ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾

لما كان المشركون يكيدون المكايد لرسول الله ﷺ ويدبرون الشرور ويعملون للصد عن دين الله، توعدهم الله عز وجل إن هم فعلوا ذلك بأنه سوف يبرم أمرا يبطل فيه كيدهم وشرورهم ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾ أي: أيظنون أننا لا نسمع ما يسرون وما يعلنون وما يدبرونه ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: نعلم ما هم عليه والملائكة الحفظة يكتبون أعمالهم فلا يخفى منها شيء.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن أهل الشرك والكفر يخلدون في العذاب إذا لم يتوبوا في الدنيا، وأن خلودهم فيه ليس بسبب ظلم الله لهم، فحاشاه أن يفعل لأنه كما قال عزوجل ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[١]. وإنما السبب في خلودهم استمرارهم على المعاصي وفيها: أنهم يطلبون أن يقضي الله عليهم فيموتوا موتا أبديا حتى يستريحوا من العذاب، فلا يقبل طلبهم، بل يبقون كما ذكر الله عنهم بقوله ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[٢]. وقوله ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾[٣]. ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾[٤]. ﴿ثُمَّ

(١) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

(٢) سورة فاطر من الآية ٣٦ .

(٣) سورة الأعلى الآية ١١ .

(٤) سورة الأعلى الآية ١٢ .

لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾[١]. وفيها: أن أهم سبب للعذاب والخلود فيه هو إنكار الحق وتكذيب أهله وتعظيم الباطل وتقدير أهله. وفيها: الحكم بأن الله يعلم بعلمه المطلق ما يخفيه العباد وما يعلنونه كما قال عز وجل ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[٢].

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ في هذا أمر من الله لرسوله أن يقول للمشركين لو فرض أن لله ولدا -وحاشاه أن يكون له ولد - فأنا أول العابدين له على ذلك ولكني أتبرأ من الشرك به وأنفي أن يكون له ولد فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ هذا تنزيه من الله لذاته العلية من أن يكون له ولد فهو رب السموات ورب الأرض ومن فيهما ورب العرش فتعالى وتقدس عما يصفه الكافرون ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ أي: اتركهم يتكلموا بباطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في

(١) سورة الأعلى الآية ١٣ .

(٢) سورة غافر الآية ١٩ .

دنياهم ويمرحوا فيها ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي: يوم القيامة، وسيجدون فيه جزاء خوضهم ولعبهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أهمية إقناع المدعو إلى الله بما يقيم الحجة عليه ولو كان في هذا الإقناع ما هو مستحيل أصلا كما قال تعالى ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ﴾ وقد أريد به التوكيد على عبادة الله والبراءة من الشرك به في جميع الأحوال. وفيها: الحكم بتنزيه الله عن الولد كما قال تعالى ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾[1]. وفيها: تهديد للمشركين بسوء العذاب يوم القيامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾ أي: هو الذي يعبده أهل السماء ويعبده أهل الأرض، فهو معبودهم وهو معهم

(١) سورة الزمر الآية ٤ .

بعلمه وقدرته يعلم مايفعلون ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: الحكيم في تدبيره، العليم بأمور خلقه ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: تقدس وتعالى الذي فطر السموات والأرض وأبدعهما وخلق فيهما الخلق وأحكم خلقهم ورزقهم ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: لا يعلم قيامها إلا هو ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يرجع إليه جميع الخلق فيجازيهم بأعمالهم ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي: لا تقدر هذه الأصنام والأوثان ولا الملائكة التي يعبدها المشركون أن تشفع لهم يوم القيامة لما يلاقون العذاب وهذا رد على زعمهم أن الذين يعبدونهم من الملائكة وغيرهم سوف يشفعون لهم ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا استثناء من الحكم والمراد أن من شهد ألا إلَه إلا الله وآمن بالإسلام وأدى ما فرض الله عليه من الفرائض، فالملائكة والأنبياء قد يشفعون له إذا أذن الله لهم لقوله تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله إلَه في السماء يعبده أهلها، وإلَه في الأرض يعبده أهلها وهو معهم (بعلمه) كما قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[2]

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٣ .

وهذا يبطل قول ابن عربي وأتباعه من الملحدين الذين قالوا بوحدة الوجود، وأنه لا انفصال بين الخالق والمخلوق وأن وجود الكائنات هو عين الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا). وفيها: الحكم بأنه الذي يعلم وحده علم الساعة كما قال ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1]. وفيها: أن كل معبود غير الله لا يقدر أن يشفع يوم القيامة لمن عبده، وأن الشفاعة لا تكون إلا لمن عبد الله وحده وأخلص في عبادته، فهذا قد تشفع له الملائكة والأنبياء إذا أذن الله لهم في الشفاعة كما قال تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[2].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي: إن سألت يا محمد هؤلاء المشركين عن الذي خلقهم سيقولون لك: إن الله هو الذي خلقهم ورزقهم، ومع ذلك يعبدون معه غيره مما يدل على سفاهتهم وجهلهم فما دام أنهم يعترفون بربوبية الله ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون أنفسهم عن الحق فينكرون توحيد الله في عبادته ﴿وَقِيلِهِۦ

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٢٨ .

﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: يعلم الله قيل محمد ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ أي: قوله شاكيا إلى ربه بأن قومه لا يؤمنون، رغم ما جاءهم به من البينات فأمره عز وجل أن يصفح عنهم وألا يجاريهم في مخاطبتهم له بالبذاءة ولكن يتألفهم كما قال تعالى ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَـٰمٌ﴾ ثم قال عز وجل ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ هذا تهديد ووعيد لهم إن لم يتوبوا وقد أنجز الله ما وعد، فمن استمر منهم على كفره وعناده أخذه الله كما حدث في معركة بدر وغيرها مما سبق ذكره.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وينكرون توحيد الألوهية مما يدل على جهلهم؛ لأن العقل يقتضي أن الذي خلق الخلق ورزقهم ويدبِّر أمرهم هو المستحق وحده للعبادة وليست الاحجار التي لا تنفع ولا تضر. وفيها: وجوب الصبر على الأعداء عند العجز عن مقاومتهم وعدم مجاراتهم في سفههم، مع وجوب الاستعداد لمجاهدتهم وعدم الاستكانة لهم كما قال عز وجل ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1]. وقوله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾[2]. ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٦٠ .

(٢) سورة الحج الآية ٣٩ .

(٣) سورة الحج من الآية ٤٠ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الدخان

مكية وآياتها تسع وخمسون آية

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ أي: ليلة القدر من شهر رمضان وقد وصفها الله بالبركة؛ لما فيها من تنزيل الرحمة وقبول دعاء العباد ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: مرسلين إلى الناس رسلا ينذرونهم ويعلمونهم ما يجب عليهم حتى تقوم الحجة عليهم إذا لم يستجيبوا لما دعوهم إليه ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: يفصل من اللوح المحفوظ مافي تلك السنة من آجال العباد وأرزاقهم وما يحدث في الكون من أحداث مما قدره الله من كل أمر حكيم أي: محكم لا يتبدل ولا يتغير

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ أي: جميع ما يقدره الله في تلك الليلة أو في غيرها هو بأمر الله وإرادته ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أي: أرسلنا الرسل ومنهم محمد لإبلاغ العباد ما يجب عليهم من الإيمان بالله وطاعته، فإرسالهم رحمة للعباد؛ لأنهم يدلونهم على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم كما قال تعالى ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لما يقولون، العليم بما يسرون ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي: فاطر السموات والأرض ومبدعهما وما بينهما ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: متحققين من ذلك علم يقين ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: هو المعبود الذي لا معبود بحق سواه وهو القادر على إحياء الخلق وإماتتهم وهو رب المخلوقين من أولهم إلى آخرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وأنها في شهر رمضان كما قال تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1]. وهذا يقتضي نفي قول من قال: إن الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان. وفيها: أن هذه الليلة أفضل الليالي على الإطلاق كما قال تعالى ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[2]. ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا

(١) سورة القدر الآية ١ .
(٢) سورة القدر الآية ٣ .

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ﴾[١]. ﴿سَلَٰمٌ﴾[٢]. وفيها: أن الله يفصل من اللوح المحفوظ أحداث تلك السنة من الآجال والأرزاق، وما يحدث في الكون من أحداث. وفيها: أن إرسال الرسل إلى العباد إنما هو رحمة لهم؛ لأنهم يدلونهم على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكٍّ يَلۡعَبُونَ ٩ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مُّبِينٌ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجۡنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾.

بيان الآيات:

﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكٍّ يَلۡعَبُونَ﴾ لما بيَّن تعالى للمشركين آياته على لسان رسوله ودعاهم إلى توحيده والبراءة من الشرك به وقالوا إنهم يؤمنون بأن الله هو الذي خلقهم، وأنهم يقرون بربوبيته، ثم ظلوا على عبادة أوثانهم، دلّ على أنهم غير موقنين بما جاءهم من الآيات، وأن ما يقولونه مجرد لعب وشكوك، فتوعدهم الله تعالى بقوله ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: انتظر يا محمد ما سيحل بهم؛

(١) سورة القدر الآية ٤ .

(٢) سورة القدر من الآية ٥ .

ذلك أن رسول الله ﷺ دعا على قريش لما آذوه قائلا: (**اللهم أجعلها عليهم سنين كسني يوسف**)[١] فاستجاب الله دعوته فأصاب قريشا من الجهد والبلاء ما أصابهم حتى هلكت مواشيهم وأصابهم من الجوع ما أصابهم مما لم يكونوا يتصورونه، فكان الواحد منهم يرفع رأسه إلى السماء فلا يرى إلا دخانا يغشاه من شدة الجهد كما قال تعالى ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقد بعثوا إلى رسول الله يطلبون منه أن يدعو الله؛ ليكشف عنهم ماهم فيه من الضر والبلوى وهو معنى قولهم ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ثم قال تعالى ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ أي: كيف أنهم يتذكرون اليوم وقد جاءهم رسول يبين لهم الحق ويدلهم على ما ينفعهم فآذوه وسبّوه واتهموه بالجنون. ولما قيل لرسول الله ﷺ: استق لمضر فإنها قد هلكت استسقى الله لهم فسقوا، فنزل قول الله تعالى ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾[٢] وبقدرته وحكمته كشف عنهم ما كانوا يعانونه من القحط والجوع، ولكنهم لم يستمروا على ما كانوا يزعمونه من إيمانهم، بل ظلوا على شركهم ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، برقم (٤٥٩٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١١٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص١٣١ .

﴿ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ أي: انتظر يامحمد يوم نأخذ هؤلاء المشركين بقوتنا، وكان ذلك هو ما حدث لهم بالفعل يوم بدر حين قتل صناديدهم ورؤساؤهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله قد صدق في وعده أن ينتقم من المشركين حيث أصابهم القحط سبع سنوات إلى أن دعا رسول الله ربه أن ينقذهم مما أصابهم من الجهد بعد أن وعدوا أنهم سيؤمنون بالله، وقد استجاب الله دعاءه فنزل عليهم المطر، إلا أنهم عادوا إلى كفرهم. وفيها: أن الكفار يلجؤون إلى الله في الضراء وينسون عبادته في السراء كما قال تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1].

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٥ .

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: سبق أن بلونا قبل هؤلاء المشركين من قومك قوم فرعون وهم القبط ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ هو موسى بن عمران عليه السلام قائلا لهم ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ أي: سلموا لي بني إسرائيل ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: مأمون على ما بلغتكم به من عند ربي ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: لا تستكبروا وتستنكفوا عن اتباع آياته التي جئتكم بها ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: أتيتكم بآيات بينات واضحة فآمنوا بها ولا تعلوا عليها ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ أي: استجرت بالله من أن ترموني بسوء ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ أي: إذا لم تصدقوا ما جئتكم به، فاتركوني حتى يقضي الله بيني وبينكم. وقد استمر موسى عليه السلام في دعوته لهم بالحسنى والمسالمة، إلا أنهم لم يستجيبوا له فاضطر إلى الدعاء عليهم كما قال تعالى ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ كما أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[١]. ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾[٢].

---

(١) سورة يونس من الآية ٨٨ .

(٢) سورة يونس من الآية ٨٩ .

وقد أمره الله أن يخرج بقومه ليلا، وأن فرعون سوف يتبعه فلا يخشاه كما قال تعالى ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ وقوله ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[1].

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: اترك البحر ساكنا؛ ذلك أن البحر لما انفلق إلى فلقتين بعد أن ضربه موسى بعصاه ودخل قوم موسى البحر فسلكوه أراد أن يضربه مرة أخرى، ليعود إلى حالته الأولى، فأمره الله أن يتركه على طبيعته حتى إذا دخله فرعون وجنده انطبق عليهم، وهذا ما حدث تنفيذا لحكم الله بقوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الذين ينكرون آيات الله ويكذبون رسله يتشابهون في سلوكهم رغم فوارق الزمان والمكان؛ لأن الكفر ملة واحدة. وفيها: تحريم العلو والاستكبار عن التصديق بآيات الله كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2]. وقوله ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا

---

(١) سورة طه الآية ٧٧ .

(٢) سورة غافر من الآية ٦٠ .

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1]. وفيها: وجوب الاستعاذة بالله والاستغاثة به عند الشدائد والمحن، اذ لا معيذ ولا مغيث إلا هو. وفيها: مشروعية طلب المسالمة من العدو إذا كان قادرا على الغلبة والقهر. وفيها: الحكم بأن كل من علا في الأرض واستكبر فيها سيكون مصيره إلى الهلاك.

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ المراد فرعون وقومه، فقد تركوا بهلاكهم الكثير من البساتين والجنان بما فيها من الأنهار والمياه والمساكن الجميلة والنعم التي كانوا يتفكهون منها من أطايب الطعام والشراب كما قال تعالى ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا

---

(١) سورة الزمر الآية ٧٢ .

فَٰكِهِينَ ﴾ ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴾ قيل: إن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون، ولعل الصواب في تأويل الآية أن بني إسرائيل ورثوا مثل هذه الجنان لما ذهبوا إلى مكان آخر؛ ذلك أنه ليس ثمة ما يدل على أنهم عادوا إلى أرض مصر بعد ما خرج بهم موسى فيكون المراد بـ ﴿قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴾ من جاء بعد فرعون وقومه. قوله ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ أي: بهلاكهم لم تبك عليهم السموات؛ لأنه لم يكن لهم عمل صالح يصعد إلى السماء حتى تبكيهم، ولم يكن لهم عمل صالح في الأرض تبكيهم عليه فهي لا تبكي إلا على الذي كان يركع فيها ويسجد فيها ويذكر اسم الله فيها ﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾ أي: لم يمهلوا بل عاجلتهم العقوبة جزاء وعدهم لموسى بالإيمان ونكثهم لهذا الوعد ﴿وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴾ أي: نجيناهم من إهانة فرعون لهم بقتل أبنائهم وترك بناتهم للخدمة ﴿مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ أي: كان متكبرا عليهم ومسرفا في تعديه وظلمه ﴿ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ المراد بهم بنو إسرائيل واختيارهم كان على أهل زمانهم؛ لأنهم كانوا موحدين وأهل زمانهم كانوا مشركين ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ﴾ أي: أعطوا من البراهين ما فيه اختبار لهم؛ لكي يهتدوا ويشكروا نعم

الله عليهم، ولكنهم لم يفعلوا فغضب الله عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن النعم لا تدوم إلا إذا أطاع العباد ربهم فإذا عصوه سلبها منهم وأورثها قوما غيرهم لقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]. ومن طاعة الله: شكره على نعمه، فإذا كفر بها العباد فقد عصوه واستحقوا سلب نعمه منهم كما قال تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[2]. وفيها: عظمة العبادة وكيف أن السماء تبكي على العبد إذا مات وانقطع رفع عمله إليها، وكيف أن الأرض تبكي على من كان يركع ويسجد فيها. وقد سأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما قائلا: أرأيت قول الله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد منه عمله وينزل منه رزقه ففقده بكى عليه، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله عز وجل فيها بكت عليه. وإن قوم فرعون لم تكن لهم

(١) سورة الأنفال من الآية ٥٣ .

(٢) سورة إبراهيم من الآية ٧ .

في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير فلم تبك عليهم السماء والأرض[١]. وفيها: تحريم الاستعلاء والكبر، وقد مر ذكر الشواهد فيه. وفيها: أن المراد من اختيار بني إسرائيل على العالمين اختيارهم على أهل زمانهم، فهم كانوا أفضل منهم؛ لأنهم كانوا موحدين، وأهل زمانهم مشركون كما قيل إن لكل زمان عالما، فلما عصى بنو إسرائيل لم يكونوا أفضل من غيرهم، فالأصل هو الدين ولا عبرة بغيره. وفيها: أن الله يبتلي العباد بأنواع من المصائب ليرى أيصبرون ويشكرون أم يكفرون فيترتب عندئذ جزاؤهم حسب عملهم.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ﴾ هذا بيان من الله بأن المشركين يقولون في إنكارهم للبعث ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أي: ماهي إلا موتة واحدة، وليس بعدها بعث ولا نشور، فإن كان

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص١٢٤، وأخرجه الترمذي مختصراً ومرفوعاً في كتاب التفسير، باب (٤٥) من سورة الدخان برقم (٣٢٥٥)، سنن الترمذي ج٥ ص٣٥٤ .

البعث حقاً وصدقا كما تقولون ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: أعيدوا لنا آباءنا وأجدادنا الذي مضوا، وفي قولهم هذا تلبيس وحجة باطلة، فالأموات لا يعودون إلى الحياة الدنيا وإنما يبعثون ليمضوا إلى يوم القيامة. وقد توعد الله المشركين بأن بأسه لا يرد عنهم وأنه قادر على إهلاكهم كما أهلك من كان قبلهم من الأمم التي كذبت بالبعث ومنهم التبابعة قوم سبأ وغيرهم كما قال تعالى ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التوكيد على بعث الأموات للحساب والجزاء يوم القيامة. وفيها: فساد حجج المنكرين للبعث حين يطلبون إعادة الأموات إلى الدنيا بينما أن البعث خاص بيوم القيامة. وفيها: التذكير للمشركين أنهم لن يكونوا أكثر قوة ولا أفضل ممن أهلكهم الله من الأمم قبلهم كقوم سبأ وغيرهم.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٤٢)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل ينزه فيه ذاته العلية عن اللعب في خلق السموات والأرض، وأنه إنما خلقهما بالحق حيث جعلهما مكانا لعبادته وشكره وتعظيمه، فمن فعل ذلك فقد استحق جزاءه وهو المقام المحمود عنده في الآخرة، وقد أكد الله جل وعلا هذه الحقيقة في قوله تعالى ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن هؤلاء المنكرين للبعث جهلة في فهمهم وضعاف في عقولهم حين ينكرونه، لو كانوا يعلمون حق العلم لعرفوا أن الله ما أوجد الخلق إلا لحكمة، وأنه ما خلقهم وأماتهم إلا ليعيدهم إليه ليجزي كلا بما عمل في الدنيا.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: يوم القيامة حيث يحكم الله بين خلقه، فيجزي المؤمن على إيمانه ويجزي الكافر على كفره ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: في ذلك اليوم لا ينفع قريب قريبه، ولا خليل خليله وإنما هي الأعمال تحصى ويجزى كل بما عمل ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ أي: وفي ذلك اليوم لا تغني نفس عن نفس شيئا، وإنما هي رحمة الله يرحم بها عباده يوم يقفون عنده كما خلقهم أول مرة. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾

أي: يرحم برحمته عباده المتقين وينتقم بعدله من الكافرين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله جل وعلا منزه عن العبث كما قال عزوجل ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1]. وقال أيضاً: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[2]. وفيها: الحكم بأن يوم القيامة هو اليوم الذي يفصل الله فيه بين خلقه حيث يحصي أعمالهم ويجزي كلا منهم بما عمل، وحينئذ لا ينفع ولي وليه ولا قريب قريبه وإنما هي رحمة الله لخلقه فيتجاوز عن سيئات الذين عملوا الصالحات ويرضى أن يشفع الملائكة والأنبياء لمن يشاء من عباده ويخرج من النار من كان في قلبه ذرة من إيمان ممن آمن به ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

---

(١) سورة ص الآية ٢٧ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٥ .

بيان الآيات:

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ لما ذكر الله يوم القيامة ومافيه من الحساب والجزاء، بيَّن ما يناله الكافر فيه من العذاب ومن ذلك: أن طعامه من شجرة الزقوم وهي من أخبث الأشجار وأشدها مرارة ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ أي: كالمعدن المذاب يغلي في البطون من شدة حرارته ﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: يغلي كما يغلي الماء الشديد في حرارته ﴿خُذُوهُ﴾ أي: يقال للزبانية: سوقوا الكافر ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ أي: ادفعوه بشدة ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: إلى وسطها ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: صبوا فوق رأسه من الماء الشديد في حرارته ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ أي: تقول له الزبانية على وجه السخرية به: ذق هذا العذاب فأنت اليوم لست بعزيز ولا كريم ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ أي: هذا هو العذاب الذي كنت تجادل فيه وتكذب به.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وصف طعام الكفرة يوم القيامة ومنهم أبو جهل فقد ذكر أنه المقصود بكلمة ﴿ٱلْأَثِيمِ﴾ وهي تشمله كما تشمل كل كافر، وهذ الطعام هو ثمر شجرة الزقوم وكان أبو جهل يجمع أولاده ويضع بين أيديهم الزبد والتمر ويقول لهم: تزقموا هذا هو الزقوم

الذي يتوعدنا به محمد. وفيها: تقرير شدة عذاب الكفرة، وما يلاقونه من الإهانة والذل والخزي يوم القيامة، لقاء ما كانوا يهينون المؤمنين في الدنيا ويسخرون منهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ (٥٩)﴾.

بيان الآيات:

لما ذكر الله شقاوة الكفار يوم القيامة ذكر سعادة المتقين فقال عز ذكره ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ والمراد بهم المؤمنون الذين اتقوا الله في السر والعلن فأعدَّ لهم المقام الكريم وهو مقرهم ﴿فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي: جنات تجري فيها العيون بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ أي: يلبسون من السندس وهو رقيق الحرير كما يلبسون الاستبرق وهو غليظه ويتقابلون في الجنة

أي: تتقابل وجوههم على سررهم ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: يتزوجون من الحور المخلوقات في الجنة ومن صفاتهن أنهن واسعات الأعين وحسانها ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ أي: يطلبون ما يشاؤون من أنواع الفواكه التي لا تنقطع عنهم ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: هم مخلدون في الجنة لا يموتون إلا الموتة التي حدثت لهم في الدنيا ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: حفظهم الله ونجاهم من عذاب النار بفضل رحمته لهم وامتنانه عليهم بقبول أعمالهم الصالحة في الدنيا وهذا هو معنى قوله عز وجل ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: هذا هو الفوز الذي نجاهم الله به من العذاب وأدخلهم به الجنة.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه أنزل هذا القرآن سهلا وبينا في ألفاظه ومعانيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: لعل الذين أنزل عليهم يفهمونه ويعملون به ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد انتظر ماذا سيحدث للمكذبين به؟ ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ أي: سيعلمون أن العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة إنما هي لك وللمؤمنين معك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن التقوى هي أساس الفوز في الدنيا والآخرة، وأن المتقين هم أهل السيادة في الأرض كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[١]. كما أن المتقين هم الذين يرثون الجنة كما قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢]. وفيها: بيان أحوال أهل الجنة ومالهم من النعيم المقيم فيها. وفيها: أنه في الآخرة لا موت إلا موتة واحدة هي التي ذاقوها في الدنيا لما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**)[٣]. وفيها: أن القرآن نزل بلغة العرب وهي أفصح اللغات وأبينها ليكون أيسر لفهمه وأجلى لمعانيه كما قال تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[٤]. وفيها: الأمر لرسول الله ﷺ وهو يدعو قومه أن يصبر ويرتقب ما يقدره الله فيتوب على من تاب منهم وآمن به ويجازي من كذب به.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

(٢) سورة الزخرف الآية ٧٢.

(٣) أخرجه البخاري مطولاً في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، برقم (٤٧٣٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٨٢.

(٤) سورة الشعراء الآية ١٩٥.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الجاثية

مكية وآياتها سبع وثلاثون آية

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ هذا بيان من الله أن القرآن قد نزل من عند الله العزيز في ملكوته وسلطانه، الحكيم في تدبيره وتصريف خلقه ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: إن في خلق السموات وما فيها من الملائكة والشمس والقمر، والأفلاك العظيمة وما في الأرض من الإنس والجن، والدواب، والجبال، والبحار، والأنهار، والأشجار، دلالات وعبراً عظيمة للذين يؤمنون بربهم ويوحدونه ويطيعونه فيعرفون أنه الخالق الذي لا خالق إلا هو، وأنه لا معبود بحق إلا هو ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: وفي خلقكم ومراحل هذا الخلق من نطفة صغيرة إلى كائن

حي متكامل القوى وفي بث الدواب في الأرض صغيرها وكبيرها وبريها وبحريها ومختلف أنواعها ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوۡمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: دلالات وعبر للذين يوقنون بربوبية ربهم وألوهيته وعظمته وتفرده في أسمائه وصفاته ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: في تعاقبهما في نظام دائم لا يتغير ولا يتبدل ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ أي: بعدما كانت ميتة عديمة الحياة ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ من غربية إلى شرقية، ومن جنوبية إلى شمالية، ومن رياح تسوق السحاب إلى رياح تسوق العذاب ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ أي: دلالات للذين يتفكرون في عظمة الله ويعلمون أنه الحق الذي يدبر خلقه ويتصرف فيهم بحكمته وإرادته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن نزل من عند الله نزولا لا مراء ولا شك فيه لقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[2]. والآيات في هذا كثيرة، وهي تفنيد ورد لدعاوى المشركين والكافرين الذين تماروا في القرآن بعد أن أعماهم الجهل وطبع الله على قلوبهم بسبب كفرهم فلم يعودوا يفرقون بين الحق والباطل. وفيها: وجوب التفكر

(١) سورة الحجر الآية ٩.
(٢) سورة غافر الآية ٢.

في آيات الله العظيمة الظاهرة والمتمثلة في خلق الكون وما يمثله هذا الوجود من عوالم ظاهرة للخلق وباطنة لا يعلمها إلا الذي خلقها.

وفيها: أن المخاطبين بهذا التفكر هم العقلاء الذين ترشدهم عقولهم إلى الإيمان بالله، واليقين بآياته العظام.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ لما بيَّن عز وجل آياته الكونية الدالة على عظمته وقدرته، بيَّن تعالى أنها آيات كلها حق يعرفها البر والفاجر، ولا يماري فيها إلا من انطبع قلبه بالكفر وصار على قلبه غشاوة، فإذا لم يؤمن كفار قريش بالله وبآياته التي يبصرونها بأعينهم وما يتلى عليهم من القرآن ومعانيه من البراهين القاطعة فبأي

شيء يؤمنون؟ وبأي برهان يصدقون؟ وهو معنى قوله تعالى ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ ثم توعد عز وجل من يجحد آياته بقوله ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ أي: ويل -وهو واد في جهنم- لكل كذاب كافر بآيات الله أثيم في قلبه ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: تقرأ عليه ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي: على كفره وكبره ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي: كأنها لم تتل عليه ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أبلغه يا محمد أن العذاب الأليم ينتظره يوم القيامة وأنه ملاقيه.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أي: إذا عرف هذا الأفاك الأثيم المتكبر شيئا من القرآن استهزأ به وسخر منه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: سوف يجزون العذاب والخزي والذلة يوم القيامة؛ لقاء استهزائهم واستكبارهم. ثم فسر عز وجل هذا العذاب بأنه جهنم التي سيساق إليها المشركون المكذبون فلا ينفعهم حينئذ ولي ولا شفيع ولا مال ولا ولد، ولا تنفعهم الأصنام والأوثان وكل ما كانوا يعبدونه من دون الله كما قال تعالى ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ ثم أكد على عظم العذاب الذي سيلاقونه بقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ أي: إن هذا الهدى المنزل عليك يا محمد هدى للناس إن آمنوا به فقد اهتدوا في دنياهم ونجوا في أخراهم. أما الذين يكفرون به وبآيات الله الدالة على

وحدانيته فسوف يلقون عذابا من رجز أليم وهو أشد العذاب وأغلظه كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من لم يهتد بالقرآن وما فيه من الآيات الدالة على عظمة الله فلن يهتدي أبدا. وفيها: تقرير الوعيد الشديد للذي يتلى عليه القرآن ثم يتعامى عنه مستكبرا ومعرضا عنه ومكذبا له كما قال تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾[(١)]. وفيها: تقرير الوعيد الشديد للذي يستهزئ بالقرآن أو يسخر منه. وفي هذا روى ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو[(٢)].

قلت: وقد كثر في هذا الزمان الذي استحكم فيه الأعداء بقوتهم على المسلمين الاستهانة بكتاب الله وتدنيسه تارة، وتكذيبه تارة أخرى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(٣)].

وفيها: تقرير أن العمل الصالح هو الذي يغني العبد يوم القيامة وأن ما

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٥٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم، برقم (١٨٦٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥١٨٩ .

(٣) سورة الصف الآية ٨ .

عداه من المال والولد وغيره لا يغني عنه شيئا كما قال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[1]. ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2].

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه الذي سخر البحر وذلله لخلقه حتى تجري السفن فيه بأمره آمنة مطمئنة، وهي تنقلهم من مكان إلى مكان ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: لتطلبوا أرزاقكم من التجارة وغيرها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لعلكم تشكرون الله على ما سخره لكم ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سخر لكم ما فيهما من الكواكب والبحار والأنهار والجبال والأشجار ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: كل ذلك من عنده ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: إن في هذا التسخير عبراً وعظات للذين يتفكرون فيعلمون أنه ما كان هذا ليكون لهم إلا بتقدير الله.

---

(١) سورة الشعراء الآية ٨٨ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٨٩ .

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين تقرير نعم الله على خلقه، وأنها كلها من عند الله كما قال عز وجل ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾[١]. وفيهما أن نعم الله على خلقه تقتضي منهم الشكر عليها، وعدم الكفر بها كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[٢].

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ الآية الأولى نزلت أيام ضعف المسلمين في مكة وتسلط المشركين عليهم، وفيها: أمر الله رسوله بإبلاغ المؤمنين أن يصبروا على أذى المشركين ويتحملوا إساءتهم تأليفاً لهم ورغبة في هدايتهم، فلما أصروا على كفرهم أذن الله لرسوله والمؤمنين بقتالهم ﴿ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ أي: سوف يجزي بالعذاب القوم الذين لم يؤمنوا منهم

---

(١) سورة النحل الآية ٥٣ .

(٢) سورة إبراهيم الآية ٧ .

بسبب إصرارهم على الكفر ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ أي: إن من عمل عملا صالحا فإن نفع عمله يعود إليه ومن أساء فإن إثم إساءته يعود إليه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: سوف تعودون إليه أيها الخلق يوم القيامة فيجزي كلا بما عمل إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين تقرير تسامح المسلمين مع الكفار إذا كان المسلمون في حال من الضعف والكفار في حال من القوة، ولكن هذا التسامح لا يعني التنازل عن الثوابت من الدين، وإنما المراد المهادنة والصلح إلى أن يكون المسلمون في حال من القوة. وفيهما الحكم بأن عمل المرء يعود إليه في نفعه أو ضره كما قال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1]. وقوله ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[2].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾.

---

(١) سورة فاطر من الآية ١٨ .

(٢) سورة المدثر الآية ٣٨ .

بيان الآيتين:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ هذا بيان من الله يذكر فيه امتنانه على بني إسرائيل حيث أنزل عليهم الكتب، وجعل منهم الأنبياء والرسل ورزقهم من طيبات الدنيا من المطاعم والمشارب وفضلهم على أهل زمانهم كما قال تعالى ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وذلك لأنهم كانوا -كما ذكر من قبل- على التوحيد وأهل زمانهم كانوا على الشرك ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: مما جاءت به كتبهم كالتوراة والإنجيل لما كانوا مستقيمين على الدين ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي: بعدما جاءتهم رسالة رسول الله ﷺ اختلفوا فيها ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: حسدا له كما قال تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[1]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: يحكم بينهم فيتبين الحق من الباطل.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن تفضيل بني إسرائيل -كما ذكر من قبل- لم يكن أبدا لجنسهم ولا لمحبة الله لهم كجنس كما يعتقده الغلاة والمتعصبون

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٠٩ .

منهم والمتعصبون من النصارى، وإنما كان تفضيلهم على أهل زمانهم لما كانوا مستقيمين على الدين، فلما فسقوا وقتلوا الأنبياء مقتهم الله بقوله ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[١]. وفيهما أن بني إسرائيل لما علموا بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ كما وردت في التوراة حسدوه وحسدوا العرب، لكونه منهم فناصبوه العداء وكادوا له المكايد.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ لما ذكر الله أن اليهود سلكوا مسلك البغي والحسد لرسول الله ﷺ بيّن الله لنبيه ورسوله أنه جعله على شريعة من الدين الذي ارتضاه له

---

(١) سورة البقرة من الآية ٦١ .

ولأمته وهو دين الإسلام وأمره باتباع هذه الشريعة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تتبع أهواء الذين لا يعلمون شيئا من الدين كحال كفار قريش ومن كان مثلهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ﴾ أي: إن اتبعت أهواءهم فلن ينفعوك مما يضرك من جراء اتباع أهوائهم ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ﴾ أي: إنهم يتناصرون في الدنيا على الباطل فيدفعون الحق بأقوالهم وأفعالهم، وأما في الآخرة فلا يستطيعون نصرا لأنفسهم ولا لغيرهم، بل يكفر بعضهم ببعض ويتبرأ منه ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: يتولاهم يوم القيامة برحمته ولطفه فينجيهم من عذابه ﴿هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المراد به: القرآن فهو نور يبصر به المؤمنون مسالكهم وهو هدى وحماية لهم من الضلال وهو رحمة لهم في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله جعل لرسوله محمد ﷺ وأمته دين الإسلام شريعة لهم وأمرهم باتباعه والالتزام بأحكامه كما قال تعالى ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٦ .

وفيها: التحذير من اتباع أهل الأهواء الذين يعارضون الحق ويدعون إلى الباطل كما قال تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2]. وفيها: أن الظالمين يوالي في الدنيا بعضهم بعضاً كما قال تعالى ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾[3]. أما في الآخرة فيتبرأ كل منهم من وليه في الدنيا. وفيها: أن الله يتولى المؤمنين يوم القيامة بولايته. وفيها: أن القرآن نور يبصر به المؤمنون في الدنيا والآخرة وهو هدى ورحمة لهم في الدنيا والآخرة.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

(١) سورة الكهف من الآية ٢٨ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٧٧ .

(٣) سورة التوبة من الآية ٦٧ .

بيان الآيتين:

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ هذا استفهام إنكاري والمراد هل يظن الذين يرتكبون المعاصي فيحلون ما حرم الله ويدفعون الحق وينصرون الباطل، ويضلون عن سبيل الله ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ أي: يتساوون مع الذين آمنوا بالله، واحلوا حلاله وحرموا حرامه وأقاموا الصلاة وأدوا زكاة أموالهم ونصروا الحق وجاهدوا الباطل، هذا من المستحيل فهولاء لا يتساوون في محياهم ومماتهم، بل هم فريقان، فالمؤمنون لهم حسن المآب والكافرون لهم سوء العذاب ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساء ظنهم في تساوي أصحاب السيئات مع أصحاب الحسنات؛ لأن هذا يتنافى مع العدل ويتنافى مع الحق الذي خلق الله به السموات والأرض وخلق به الخلق كما قال عز ذكره ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ وقوله ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: ومن أسس هذا الحق والعدل أن يجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: ومن أسس هذا الحق والعدل أن الله لا يظلم أحدا من خلقه، فحاشاه ذلك، بل هو الرحمن الرحيم، ولكن حكمته اقتضت أن يكون العدل هو الميزان بين خلقه فيجزي كل واحد منهم بما عمل.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بعدم التساوي مطلقا بين البر والفاجر والمؤمن والفاسق كما يزعم الكافرون لقوله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ﴾[١]. ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢]. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٣]. وفيهما أن من العدل والحق الذي خلق الله السموات والأرض به أن يجزي الله كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر كما قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٤].

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)﴾.

بيان الآية:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: أن من العجب أن يطيع

---

(١) سورة السجدة الآية ١٨ .
(٢) سورة السجدة الآية ١٩ .
(٣) سورة السجدة الآية ٢٠ .
(٤) سورة المدثر الآية ٣٨ .

المرء هواه فيكون معبوده يأتمر بأمره وينتهي عن نهيه معرضا عما جاءه من الحق ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: أضله الله لما علم أنه يستحق الضلالة بعدما جاءته البراهين فأعرض عنها واتبع هواه ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ أي: لم يعد سمعه يسمع الحق ولا قلبه ينتفع به ولم يعد بصره يبصره لما أصابه من غشاوة الضلالة ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعد هذا الذي أصابه بسبب ذنوبه لن يهديه أحد بسبب عدم هداية الله له ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تعتبرون أيها الخلق فتلجؤون إلى الله بعمل الصالحات وترك السيئات حتى يكتب الله لكم الهداية ويجنبكم الضلالة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية الحكم بأن الهوى أعظم خطر يتعرض له المرء؛ ذلك أنه إذا اجتنب أوامر الله وأحكامه وأعرض عن ذكره أصبح هواه يتحكم في سلوكه فيكون بمثابة معبوده يأتمر بما يأمره به، وينتهي عما ينهاه عنه فيرى الحسن سيئا والسيئ حسنا كما قال عز وجل ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[1]. وفيها: أن الهوى يورث الضلال؛ ذلك أن الله عز وجل يضل بعلمه من يعرض عن ذكره ويتبع هواه بعدما

---

(١) سورة فاطر من الآية ٨.

يأتيه من البراهين فلا يهديه بعدئذ أحد كما قال تعالى ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1].

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ هذا بيان من الله عن أقوال الدهريين الكفار من مشركي العرب في إنكار البعث والحساب والجزاء ومرادهم أنه مامن حياة إلا حياة واحدة يولد فيها أناس ويموت فيها أناس فلا بعث ولا نشور ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي: لا يحيينا ويميتنا إلا الزمان ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم فيما يقولونه علم عقلي أو نقلي ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: يتخرصون ويزعمون، وسيعلمون عاقبة ظنهم يوم يبعثون ويرجعون إلى الله ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ أي:

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٦ .

إذا تليت عليهم الآيات الدالة على وجود الله وعظمته وقدرته على إحياء الموتى لم يكن لهم من حجة أو برهان إلا أن قالوا: أعيدوا لنا آباءنا الأولين إن كنتم صادقين فيما تقولون، كما أخبر الله بذلك عنهم بقوله ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الدهريين الكفرة: إن الله هو الذي أحياكم، حيث كنتم عدما بلا وجود فأوجدكم، ثم يميتكم رغما عنكم فهو القادر إذن على أن يجمعكم إلى يوم القيامة جمعا لا شك فيه كما قال تعالى ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: بسبب جهلهم وضعف عقولهم ينكرون البعث.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بإبطال دعوى الدهريين الملاحدة بإنكار وجود الخالق وزعمهم أن الذي يحييهم ويميتهم هو تكرر الزمان. وفيها: تقرير أن دعواهم ليس لها سند عقلي أو نقلي، وإنما هي مجرد ظن، نتيجة فساد عقولهم وضلالهم. وفيها: أنه ليس للدهريين من حجة إلا طلب إحياء آبائهم وأجدادهم، وهذا يتنافى مع سنة الله في خلقه التي اقتضت أن الأموات يبعثون عند قيام الساعة للعودة إلى الله للحساب والجزاء. وفيها: تقرير أن كثيرا من الناس لا يعلمون

الحق من الباطل بسبب تحكيمهم لأهوائهم وبعدهم عن الله، وما جاء في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: الحاكم لهما المدبر لهما والمتصرف فيهما، وخلقهما أعظم من خلق الناس وإحيائهم بعد مماتهم كما قال تعالى ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾[1]. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: يوم يبعث الله الناس من قبورهم سوف يخسر المكذبون بالبعث

---

(١) سورة غافر من الآية ٥٧ .

رحمة ربهم ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أي: سوف ترى يا محمد أن كل أمة يوم القيامة جاثية أي: باركة على ركبها خوفا من هول ذلك اليوم ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي: إلى صحائف أعمالها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: تجزون في هذا اليوم على أعمالكم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: هذا كتابنا المدونة فيه أعمالكم يتكلم بالحق من غير زيادة على ما عملتم ولا نقصان لما عملتم ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة الحفظة أن يكتبوا جميع أعمالكم لتجدوها ماثلة أمامكم فيرى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أعمالهم، ويسرون بها فيشملهم ربهم برحمته ويفوزون فوزا عظيما بما منّ الله عليهم كما أخبر الله عن ذلك بقوله ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ وأما الذين كفروا فيلاقون التوبيخ على إجرامهم واستكبارهم عن سماع آيات الله عندما تتلى عليهم فيقول الله ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ولم يكن هذا فعل هؤلاء المجرمين من الاستكبار عن سماع آيات الله فحسب، بل إذا ذكر لهم قيام الساعة والبعث تجاهلوه وقالوا: ما ندري ما هو، وإنما نظنه مجرد ظن ولسنا بمتحققين منه. كما قال تعالى عنهم ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ

حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير بعض ما يحدث يوم القيامة للكافرين من خسرانهم لأنفسهم بسبب كفرهم. وفيها: أن الأمم تجثو يوم القيامة على ركبها من شدة ما ترى من هول ذلك اليوم فتدعى كل واحدة منها؛ لتقرأ كتاب أعمالها، وهنا ينقسم الناس إلى فريقين: فريق المؤمنين وهؤلاء تشملهم رحمة ربهم؛ بسبب أعمالهم الصالحة، وفريق الكافرين فيؤخذون للعذاب؛ بسبب استكبارهم عن سماع آيات الله التي كانت تتلى عليهم في الدنيا وبسبب إجرامهم وعدم يقينهم بالبعث.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٣) وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٣٤) ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٦) وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: ظهر للمجرمين من كتابهم أعمالهم السيئة التي ارتكبوها ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا لا يصدقون به، وإنما كانوا يستهزئون عند ذكره لهم ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾ أي: تعاملون اليوم بنسيانكم لتمكثوا في العذاب ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: كما كنتم تنسون هذا اليوم فلم تعملوا له ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ أي: مقركم اليوم النار، وليس لكم من ناصر ينصركم ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أي: أن ما تلاقونه من العذاب اليوم إنما كان جزاء استهزائكم وتكذيبكم بما جاءكم من الآيات والبراهين ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: وكان هذا العذاب بسبب اغتراركم بمتع الحياة الدنيا وزينتها ونسيانكم للجنة ونعيمها ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يخرجون في ذلك اليوم من النار ولا يطلب منهم توبة عما فعلوا لانتهاء وقتها في الدنيا. ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: له كامل الحمد فهو مالك الكون ومدبره ومصرفه ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: العظمة والعلو في ملكوت السموات

والأرض ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ القاهر الغالب ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تدبيره لملكوته، فتقدست أسماؤه وصفاته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الإنسان يجزى بما عمل فمن نسي الله في الدنيا نسيه الله في الآخرة كما قال تعالى ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾(١). وفيها: الحكم بأن من يستهزئ بالله أو آياته أو أحد من رسله يعد كافراً، سواء كان جادا أو هازلا كما قال عز وجل في حق المنافقين الذين كانوا يستهزئون بالله ورسوله ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾(٢). ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾(٣). وفيها: وجوب الحمد والشكر لله عندما ينتهي المرء من عمل صالح عمله أو طعام طعمه أو شراب شربه؛ لأن المخلوق لا يقدر على عمل شيء إلا إذا كان الله قد يسَّره له وأعانه عليه فاقتضى ذلك وجوب حمد المُنْعَمِ عليه لمن أنعم عليه وهو الله جل جلاله.

---

(١) سورة التوبة من الآية ٦٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٦٥ .

(٣) سورة التوبة من الآية ٦٦ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحقاف

مكية وآياتها خمس وثلاثون آية

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾.

بيان الآيات:

﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أي: أن القرآن قد نزل على رسول الله محمد ﷺ وقد أنزله الله العزيز في ملكوته، الحكيم في تدبيره لخلقه ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: ما خلق الله السموات بكل ما فيها من الملائكة والأفلاك، وما خلق الأرض وما فيها من الجن والإنس والدواب وغيرها، وما خلق بينهما من الملكوت إلا بالحق فتقدس وتنزه عن العبث، فما من شيء أراده الله فهو حق أحقه وقدر قدَّره، وحكمة أرادها ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: أنه جل وعلا خلقهما لمدة معلومة لا يعلمها إلا هو ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ أي: غافلون عما أنذروا به من العذاب إذا لم يوحدوا الله ويطيعوه ويتبرؤوا من الشرك به.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله قد أنزل القرآن من اللوح المحفوظ على نبيه ورسوله محمد ﷺ مبينا لآيات الله وأحكامه في خلقه فيما يبصرهم في دينهم ودنياهم كما قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١). وفيها: الحكم بأن خلق السموات والأرض وما بينهما كان بالحق إلى أجل معلوم، وهذا يقتضي حكما تقديس الله وتنزيهه عن العبث. وفيها: أن الكفار إنما يجزون؛ بسبب إعراضهم عن البينات التي تنذرهم وتحذرهم من ارتكاب المعاصي.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ (٦)﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد للمشركين الذين يعبدون الأصنام ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أفيدوني

(١) سورة النحل من الآية ٤٤ .

عما إذا كانوا قد خلقوا شيئاً من الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أي: هل لهم شرك في السموات بأي صفة ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أي: هاتوا كتابا منزلا من عند الله على الأنبياء السابقين يأمركم بعبادتهم ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ أو هاتوا أثرا صحيحا يأمركم بعبادتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم أن هذه الأصنام آلهة تستحق العبادة ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ هذا بيان من الله وبيانه الحق أنه لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله أوثانا، ويبتغي منها جلب النفع له ودفع الضر عنه بينما هي لا تقدر على تحقيق مطلبه لأنها حجارة صماء لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر كما قال تعالى ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ قوله ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي: إذا حشر الناس يوم القيامة كانت هذه الأصنام عدوا لمن عبدها وخصما له وتتبرأ منه ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أي: يكفرون بدعائهم ونذورهم وعبادتهم لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بعجز المخلوق عن الخلق كما قال تعالى ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾[1]. وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا

(١) سورة النحل من الآية ١٧ .

ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[1]. وفيها: تقرير أنه لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله من لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر؛ ذلك أن العقل ومسلمات الحقائق تقتضي أن العاجز في ذاته لا يقدر على نصر غيره، فمن كان في قبره وقد تحول إلى رميم هل ينفع من يدعوه؟ هذا في عالم البشر، أما في عالم الجمادات فهل يقدر صنم مكون من حجر أن ينفع من يدعوه ؟ والجواب بداهة بالنفي.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ هذا بيان من الله بأنه إذا تليت آياته البينات الدالة على وجوب توحيده ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أي: قال المكذبون بآيات الله لما جاءتهم بينة في القرآن ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: سحر جلي ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ يقصدون محمدا

(١) سورة الحج من الآية ٧٣ .

ﷺ ﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ﴾ أي: قل لهم: إن كنت كذبت وزعمت أن الله أرسلني إليكم وهو لم يرسلني ﴿فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ﴾ أي: لن تقدروا أنتم ولا غيركم على إنقاذي من العذاب الذي سوف يحيق بي لقاء كذبي ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ أي: أن الله هو الذي يعلم ما تتحدثون به طعنا في أمانتي وتكذيبا لي ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ﴾ أي: كفى به شاهدا ورقيبا عليّ فيما أقول لكم وما تقولونه لي ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: يغفر ويرحم لمن يتوب إليه فتوبوا إليه لعله يغفر لكم ويرحمكم ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: لست أول الرسل الذين دعوا إلى عبادة الله وتوحيده فكل الرسل قبلي قد دعوا قومهم وأنذروهم ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ أي: لا أدري ماذا يقدره الله لي ولكم، فأنا بشر يوحى إلي فهو المدبر لي ولكم والمتصرف فينا كما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي: ما أتبع ولا أقبل إلا ما يوحيه الله لي فلست متقولا ولا مبتغيا دنيا ولا جاها ولا ملكا ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ أي: أنذركم ما أمرت به بأن تعبدوا الله وحده وتجتنبوا الشرك وتؤمنوا بما أنزل الله إليكم في كتابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: إبطال الله لطعن المشركين في القرآن وتنزيه رسوله

محمد ﷺ عن الكذب والإتيان بالقرآن من عنده كما زعم المشركون فيما أخبر الله عنهم بقوله ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[١]. ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢]. وفيها: أن رسالة محمد ﷺ لم تكن أول الرسالات، بل كانت متممة ومصدقة لها. وفيها: أن قول الله عز وجل ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى﴾ المراد به في الدنيا من المصائب أما في الآخرة فإن رسول الله ﷺ في الرفيق الأعلى؛ لأن الله عز وجل قال ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٣]. فقال المؤمنون في حينها: هنيئا لك يارسول الله فما لنا ؟ فأنزل الله عز وجل قوله ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾[٤].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآية:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ أي: قل يا محمد

(١) سورة الفرقان الآية ٥ .
(٢) سورة الفرقان الآية ٦ .
(٣) سورة الفتح من الآية ٢ .
(٤) سورة الفتح من الآية ٥ .

للمشركين الذين يكفرون بالقرآن أخبروني إن كان القرآن منزل من عند الله وكذبتم به ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ المراد به: عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي: شهد على مثل ما جئتكم به ﴿فَـَٔامَنَ﴾ أي: هذا الشاهد بالقرآن ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي: عن الإيمان بالقرآن ألم تكونوا باستكباركم أشد الناس كفرا وظلما؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا يهدي الذين يصرون على الكفر والاستكبار عن آيات الله.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية تقرير أن الشهادة أداة لإثبات الحق على شرط أن يكون الشاهد ممن تتوافر فيه شروط الشهادة وأولها: الإيمان المقتضي للعدالة كما قال تعالى ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾[1]. وفيها: تحريم الاستكبار عن اتباع الحق واستحقاق صاحبه أشد العذاب كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2]. وفيها: أن الإصرار على المعاصي وعدم التوبة منها يؤدي إلى عدم هداية الله لصاحبها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ

---

(١) سورة الطلاق من الآية ٢ .

(٢) سورة غافر من الآية ٦٠ .

لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ أي: قال المشركون عن المؤمنين بالقرآن لو كان في هذا القرآن الذي جاءنا به محمد خير لما سبقنا إليه هؤلاء الضعفاء والعبيد والإماء ويقصدون بذلك بلالا وعمارا وخبابا وصهيبا رضي الله عنهم وأرضاهم ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ﴾ أي: لما لم يهتدوا به ويعتبروا بآياته وينعموا ببشارته بعد أن أعماهم الضلال فقد كذبوه كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي: إنه مجرد كذب أخذ من كلام الأولين وأساطيرهم ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ أي: من قبل القرآن الذي أنزل على محمد أنزلنا التوراة على موسى قدوة ورحمة ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ أي: هذا القرآن ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ لما سبقه من الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: أنزل بلسان عربي ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ينذر الذين ظلموا بأنهم سيلاقون العذاب إذا لم يتوبوا إلى الله ويستغفرونه من ذنوبهم، وهو بشرى للمحسنين

الذين عملوا فأحسنوا في عملهم فاستحقوا بذلك حسن العاقبة.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من ضل عن الهدى، واتبع هواه يتهم من اتبع الهدى بالجهل كما أن من جهل العلم يعاديه بالجهل، ومن فقد الإيمان يعاديه بعدمه كما هو حال المشركين والكفرة الذين لم يهتدوا بكتاب الله فاتهموه تارة بالسحر، وتارة بأنه من أساطير الأولين. وفيهما أن الكتب المنزلة من عند الله يصدق بعضها بعضا، فالتوراة والإنجيل صدقا القرآن، والقرآن يصدقهما كما أ نزلا، وقبل أن يتعرضا للتحريف وهكذا. وفيهما: أن نزول القرآن بلغة العرب تشريف لها، وهذا يقتضي الاهتمام باللغة العربية والدفاع عنها خاصة ضد المنحرفين الذين يحاولون تحويلها إلى لهجات حسب كل مكان تكون فيه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٤﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ المراد بهم: الذين كانوا يقولون في الدنيا إن الله ربهم لا يعبدون إلا إياه، ولا يخشون إلا

إياه، ولايرجون إلا إياه، فلم يعبدوا صنما، ولم يتعلقوا إلا بربهم وقد استقاموا على ذلك، وأقاموا عليه في حياتهم إلى مماتهم.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: لا خوف عليهم من هول يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما تركوه في الدنيا ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إن هؤلاء الذين استقاموا هم الذين يرثون الجنة برحمة الله جزاء لما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب استقامة المسلم على طاعة الله غير مبدل ولا مغير وفي حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك؟ قال: (**قل آمنت بالله ثم فاستقم**)[1].

وفيهما أن المستقيمين على طاعة الله لا يخافون من الفزع الأكبر يوم القيامة، ولا يحزنون على ما تركوه في الدنيا وأنهم هم الذين يرثون الجنة بفضل رحمة ربهم لهم جزاء استقامتهم على طاعته كما قال تعالى ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، برقم (٣٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٢٠٦.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٣.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ لما أوجب الله عز وجل على عباده في الآية السابقة توحيده وطاعته والاستقامة على ذلك أمرهم ببر والديهم والإحسان إليهم والعطف والشفقة عليهم ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ أي: عانت المشقة والتعب؛ بسبب الحمل ومضاعفاته ومخاطره ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: عانت من وضعه بما يصيبها من الآلام والمخاطر حين الطلق ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مكثت الأم تحمله وترضعه وتربيه ثلاثين شهرا بكل ما فيها من المشقة فاقتضى هذا وجوب برّها وبرّ أبيه، فإن كانت الأم تعاني خلال هذه المدة من حملها وإرضاعها، فإن الأب يعاني من القيام عليها وعليه بما يجب من النفقة وغيرها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أي: قوي ونشط ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: اكتمل عقله وإدراكه فلم يعد

معرضا للتقلب في سلوكه ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ أي: وفقني وألهمني وأرشدني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ قيل إن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد أسلم أبواه جميعا ولم يحصل لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره فأرضاه الله بهما[1]. وهذه الآية وإن كان نزولها في أبي بكر فهي عامة لكل مسلم أن يشكر الله على نعمة الإسلام والإيمان وأن جعل أبويه وذريته وزوجه على هذا الدين، فإن ذلك من نعم الله التي يجب أن تقابل بالشكر للمنعم والثناء عليه بما هو أهله. قوله ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ هذا ما قاله أبو بكر داعيا ربه أن يعمل من الأعمال ما يرضاه عنه ربه فاستجاب الله له فأعتق تسعة من المؤمنين ممن كان المشركون يعذبونهم ومنهم بلال بن رباح وعامر بن فهيرة ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ أي: وفق ذريتي لصلاحهم واستقامتهم وقد استجاب الله دعاءه فآمن أولاده جميعا ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وقد دعا أبو بكر بهذا الدعاء متوسلا إلى ربه أن يتوب عليه مقرا بأنه من المسلمين المستسلمين لله بطاعته والانقياد له والبراءة من الشرك به.

---

(١) ووالده هو أبو قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد وأم أبيه أبي قحافة اسمها (قيلة) وامرأة أبي بكر الصديق اسمها (قتيلة) بنت عبدالعزى. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٦ ص١٩٤ .

قلت: ودعاء أبي بكر رضي الله عنه وإنابته هما مثال للمسلم الصادق بأن يدعو ربه أن يوفقه للأعمال الصالحة وأن يتوب وينيب إليه وأن يثبته على دينه دين الإسلام الذي منّ الله به عليه فهداه له.

قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ أي: أن هؤلاء الذين شكروا نعمة الله وأنابوا وتابوا إليه هم الذين يتقبل الله منهم حسن أعمالهم ويتجاوز عن سيئاتهم فهم من أهل الجنة ونزلائها ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ أي: هذا ما وعدهم الله به وهو وعد صدق لاشك فيه.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب بر الوالدين وما يقتضيه ذلك من طاعتهما والإحسان إليهما والدعاء لهما أحياءً وأمواتاً وعدم الإساءة إليهما بأي صفة من صفات الإساءة كما قال الله عز وجل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾[١]. ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[٢]. والأمر بالبر للوالدين يقتضي العموم، سواء كانا مسلمين

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

أم كافرين لقول الله تعالى ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1].

ومنها: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر فأكثر؛ لأن الله تعالى قال ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[2] منها: حولان كاملان للرضاعة أي: أربعة وعشرون شهرا فما بقي من المدة وهو ستة أشهر كاف لأقل مدة الحمل، وقد فطن لهذا عليٌّ رضي الله عنه في قصة المرأة التي شكاها زوجها إلى عثمان؛ لكونها ولدت له ولدا في ستة أشهر فأمر عثمان برجمها فذكر له عليٌّ أن لا شيء عليها فكانت تقول لأختها لما بكت عليها: «وما يبكيك فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط فيقضي الله في ما شاء» فجاء الغلام مثل أبيه وعاقب الله زوجها بالآكلة حتى مات. وفيهما وجوب التوسل إلى الله والإنابة إليه بالتوبة والاقرار بالثبات على الدين الحق الذي ارتضاه الله وهو دين الإسلام. وفيهما: ثناء الله على أبي بكر الصديق حيث كان هو وأسرته من أوائل المسلمين.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ

---

(١) سورة لقمان من الآية ١٥ .

(٢) قضى به علي رضي الله عنه انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٦٠، والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص١٩٣ .

مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ قيل إن هذه الآية نزلت في أحد ابني بكر رضي الله عنهما قبل إسلامهما[1] ولعل الصواب -والله أعلم- أنها عامة؛ ذلك أن الله عز وجل لما ذكر وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما ذكر الحالة المنافية لهذا البر وهي حالة الولد العاق الملحد الكافر الذي قال لوالديه متأففا منهما ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ أي: تقولان لي بأني سوف أبعث من القبر بعد موتي ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ أي: قد مضت الأمم من قبلي فلم يبعث منهم أحد ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ وحينما يسمع والداه هذا منه يستغيثان الله ويسألانه الهداية له ويقولان لولدهما ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ أي: آمن بالله وبالبعث والنشور ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ أي: لا مراء ولا شك فيه فيصر الولد على إلحاده وكفره وعناده فيقول ما أخبر الله عنه بقوله ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: ما هذا إلا حكاياتهم وأباطيلهم المسطرة في كتبهم، وقد أخبر الله عن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص١٦٧ .

هذا الملحد والعاق وأمثاله بقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ فدل قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أن المراد به ليس إنساناً بعينه بل كل من قال هذا القول في أي: زمان أو مكان ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ أي: لكل جزاء عمله ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي: سوف يوفى كل عامل عمله، فإن كان قد عمل خيرا وجد جزاء عمله أمامه يوم القيامة، وإن كان قد عمل شرا وجد جزاء عمله كذلك يوم القيامة ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي: لن يظلمهم الله من أعمالهم شيئا ولو كان مثقال حبة من خردل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم عقوق الوالدين كما سبقت الإشارة إليه، وفي ذلك مفارقة كبيرة بين علاقة الوالدين بولدهما وعلاقتهما به؛ أما علاقتهما به فهي قائمة على التلطف به منذ كينونته حملا في بطن أمه إلى أن يبلغ أشده وحتى بلوغه هذا الحد من عمره، فهما يشفقان عليه من المخاطر، ويعملان جهدهما لإرضائه ولم تكن هذه طبيعة الوالدين من البشر فحسب بل هي غريزة فطر الله عليها خلقه من الحيوانات والدواب والطيور، حتى إن الوالد من هذه الخلائق يفضل ولده على نفسه. ففي ذلك روت عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني

مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: (**إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار**)[١].

وأما علاقة الولد بوالديه، فقد تكون على العكس من علاقتهما به فهو قد يتأفَّف منهما في كبرهما وقد يعقهما إلا من رحم الله. ولعلم الله بما يكون عليه الولد من هذا السلوك حرم عليه عقوقهما أيا كانت درجته فقال عز من قائل ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[٢]. وقال ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[٣]. وفي حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا؟**) قلنا: بلى يا رسول الله. قال: (**الإشراك بالله وعقوق الوالدين..**) الحديث[٤]. وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات، برقم (٢٦٣٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٧١ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٢٣ .

(٣) سورة الرعد الآية ٢٥ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، برقم (٥٩٧٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤١٩ .

الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**من الكبائر شتم الرجل والديه**) قالوا: يا رسول الله هل يشتم الرجل والديه؟ قال: (**نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**)[1]. وفيها: أن عذاب الله حق على الملحدين والكفرة والعاقين. وفيها: أن الله يوفي كل عامل بعمله كاملاً غير منقوص.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: أبلغ يا محمد المشركين المكذبين لك أنهم يوم يعرضون على النار فيقال لهم في تقريع وإهانة لقد ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ أي: كنتم متلذذين بالشهوات وأفنيتم شبابكم وأنتم في غفلة عن الآخرة ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: تلاقون الذلة والهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: كنتم تستكبرون عن عبادة الله وطاعته، وتستهزئون بآياته ورسوله كما كنتم تستكبرون وتستعلون على عباده

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٩٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٢٤ .

المؤمنين ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ أي: وذوقوا عذاب الهوان؛ بسبب فسقكم وخروجكم عن طاعة الله وطاعة رسوله.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: التحذير من التلذُّذ بالشهوات في الدنيا والانغماس في ملذاتها؛ فروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو شئت كنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكن أستبقي طيباتي للآخرة[١]. وكما روي أنه دخل على النبي ﷺ وهو في مشربته (أي غرفته) حين هجر نساءه قال: فالتفتُّ فلم أر شيئا يرد البصر إلا أُهُباً (أي جلودا) معطونة قد سطع ريحها فقلت: يا رسول الله أنت رسول الله وخيرته، وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحرير؟ قال: فاستوى جالسا وقال: **(أفي شك أنت يابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا)** فقلت: استغفر لي فقال: **(اللهم اغفر له)**[٢].

وفي هذه الآية: تحريم الكبر والفسق والتحذير منهما؛ لأن الذل والخزي والصغار سيكون عاقبتهما يوم القيامة.

﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص٢١، والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٠١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، وقوله تعالى ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾، برقم (١٤٧٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٤٠١-٤٠٢.

عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ أي: اذكر يا نبينا محمداً للمشركين المكذبين لك هودا عليه السلام ﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ وهؤلاء قوم من أقوام اليمن كانوا يسكنون بالشحر[1]. أنذرهم هود من العذاب الذي حاق بهم إذ لم يوحدوا الله ولم يتوبوا من شركهم ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ أي: سبق أن كان قبله رسلٌ أنذروا أممهم وحذروهم من العذاب قائلين لهم ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: اجتنبوا عبادة الأصنام وغيرها واعبدوا الله وحده ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ هذا قول هود لقومه وهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ أي: هل جئتنا يا هود لتصرفنا عن آلهتنا التي نعبدها وكان آباؤنا يعبدونها فإن كان

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص٢٣، وتفسير البغوي ص١١٨٨ .

كذلك ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: إن كنت صادقا فأرنا ما تقول، وهذا استعجال منهم للعذاب؛ لأنهم غير مصدقين به ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا علم لي بعذابكم، وإنما علمه عند الله فهو أعلم بي وبكم وإنما أنا مبلغ لكم رسالته كما قال تعالى عنه ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ أي: أرى أنكم بقولكم هذا لا تعقلون ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ أي: لما رأوا العذاب يجللهم من فوق رؤوسهم وقد اتجه إلى أوديتهم ومزارعهم ومساكنهم ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي: هذا سحاب سوف يمطرنا ففرحوا واستبشروا به؛ لكونهم كانوا في حاجة ماسة للمطر ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: هذا هو العذاب الذي كنتم تستعجلونه استهزاء وتكذيبا ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: تخرب هذا الريح بإذن الله كل ما أمرت بتدميره ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ أي: أهلكتهم الرياح فلم تبق لهم باقية إلا مساكنهم لتكون عبرة لغيرهم ممن يكذبون بآيات الله ورسله ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: هذه هي سنة الله التي مضت وحكمه وقضاؤه فيمن كذب آياته ورسله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان سنة الله في خلقه بأنه يرسل لهم الرسل

يبشرون من يؤمن منهم بالعاقبة الحسنى في الدارين وينذرون العصاة منهم ويحذرونهم من العذاب الذي سوف يحيق بهم إن لم يتوبوا إلى الله من عصيانهم. وفيها: البيان عن جهل بعض الأمم أو الأفراد في استعجالهم العذاب كما قال تعالى ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾[1]. وفيها: التوكيد على أن مهمة الرسل هي إبلاغ رسالات ربهم إلى أممهم. أما عذابهم بالعقاب العاجل أو الآجل فعلمه عند الله. وفيها: ما يجب أن يكون عليه المؤمن من الوجل من عقاب الله فقد يكون المطر عذابا، وقد تكون الريح كذلك. وفي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يبتسم. وقالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك في وجهه قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عُرِف في وجهك الكراهية؟ فقال رسول الله ﷺ: (**يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا**)[2].

---

(١) سورة الشورى الآية ١٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾، برقم (٤٨٢٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٤١.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ هذا بيان من الله عزوجل يقول فيه: لقد مكنا الأمم السابقة في الدنيا وأعطيناهم من الأموال والأولاد والقوة أكثر مما أعطيناكم منه أيها المشركون ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: إن هؤلاء الذين أعطيناهم من القوة في أنفسهم وأموالهم لم يغنهم شيئا ولم يمنع عنهم العذاب وما ذاك إلا لأنهم ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: ينكرون آياته البينات ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستهزئون بمن ينذرهم به.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ المخاطب هنا: كفار قريش والمراد لقد أهلكنا الأمم المكذبة برسلها كعاد وثمود وقوم لوط

وهي قرى قريبة من الحجاز يراها أهل مكة حين يذهبون إلى الشام فناسب تذكيرهم بها لعلهم يتوبون ويرجعون عن شركهم وضلالهم ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: بيَّناها وجعلناها واضحة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يتركون شركهم وكفرهم ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً﴾ أي: فهلا نصرتهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله عند حاجتهم إليها والجواب بالنفي ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ فلم ينفعوهم بشيء ولو كان من قطمير ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي: تخلوا عنهم وعن افترائهم عندما عبدوهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن ما يعطيه الله الأمم من قوة مادية مختلفة لا يغني عنها شيئا إذا كفرت بآيات الله، فما أصاب الأمم السابقة الهلاك إلا بسبب ذنوبها فلم تنفعها قوتها؛ لأن القوة التي يعطيها الله أحداً من خلقه أمما أو أفرادا إنما هي فتنة ليرى أيشكرون أم يكفرون. وفيها: أن الله يبقي آثاراً من آثار الأمم الهالكة ليكون عبرة وعظة لغيرها. وفيها: أن من يعبد غير الله لا ينفعه هذا المعبود يوم القيامة؛ لأن كلا يتبرأ من غيره كما قال تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٦ .

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾

ومقدمة هذه القصة: أن رسول الله ﷺ ذهب إلى ثقيف علّه يجد عندهم نصرا بعد أن وجد من قومه في مكة الهوان، فقصد رؤساءهم وهم عبدياليل ومسعود وحبيب إخوة بني عمر بن عمير فدعاهم إلى الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به فقال أحدهم: يمرط (أي ينزع) ثياب الكعبة إن كان الله قد أرسلك. وقال الآخر: ما وجد الله أحدا يرسله غيرك. وقال الثالث: والله لا أكلمك كلمة أبدا إن كان الله قد أرسلك كما تقول، فأنت أعظم خطرا من أن أكلمك. وإن كنت تكذب فيما تقول فما ينبغي لي أن أكلمك. ثم أرسلوا سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويسخرون منه حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني

ربيعة، ثم اتجه إلى ربه متوسلا وهو يقول: (**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي. لمن تكلني؟ إلى عبد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك**).

فلما سمع ابنا ربيعة قوله، أشفقا عليه وقالا لغلام لهما نصراني يقال له (عداس): خذ قِطْفا من العنب وضعه في هذا الطبق ثم ضعه بين يدي هذا الرجل ليأكل منه. فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ قال عليه الصلاة والسلام: (**بسم الله**) ثم أكل، فنظر (عداس) إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال رسول الله ﷺ: (**من أي: البلاد أنت يا عداس وما دينك؟**) فقال عداس: أنا نصراني من أهل نينوى. فقال عليه الصلاة والسلام: (**أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى**) فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (**ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي**) فانكبّ عداس يقبّل رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه. فقال له ابنا ربيعة: لم فعلت هذا؟ فقال: يا سيداي ما في الأرض خير من هذا، أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي.

ولما يئس رسول الله ﷺ من ثقيف، قفل راجعا حتى إذا كان ببطن

نخلة قام من الليل يصلي، فمر به نفر من جن أهل نصيبين وقيل في سبب مرورهم: (إنه لما حيل بين الشياطين وخبر السماء رجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون معرفة الذي حال بينهم وبين خبر السماء. فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو ببطن نخلة وهو يصلي صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فلما رجعوا إلى قومهم ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا﴾[1]. ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[2]).

فقوله تعالى ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ أي: قل لقومك يا محمد من كفار مكة إن الجن قد آمنوا وهم لم يؤمنوا حيث جاءك نفر من جن أهل نصيبين ﴿يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ﴾ أي: اسمعوا ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ أي: فرغ الرسول من القراءة ﴿وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ أي: رجعوا إلى قومهم وأهلهم في نصيبين ونينوى ينذرونهم من عذاب الله ويأمرونهم بعبادته وحده لا شريك له

---

(١) سورة الجن من الآية ١ .

(٢) سورة الجن الآية ٢، والقصة في الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢١٠-٢١٣، والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٦٩-٧٣، والجزء الأخير من القصة (داخل قوسين) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (قل أوحي إلي)، برقم (٤٩٢١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٣٧ .

﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ أي: سمعنا هذا الكتاب الذي أنزل من بعد موسى وهذا الكتاب ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: مصدقا للكتب السابقة المنزلة على الأنبياء ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ أي: يرشد إلى الهدى ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: يرشد إلى الطريق القويم الذي لا عوج فيه ثم بدؤوا يدعونهم إلى الإسلام بقولهم ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ أي: أسلموا واتبعوا هذا الدين دين محمد ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: يغفر لكم الذنوب التي بينه وبينكم ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: ينجيكم من العذاب الشديد ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من استكبر وعتا فإنه لا يعجز الله، بل يأخذه أخذ عزيز مقتدر ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ أي: لن ينجيه من عذابه أحد فلا ولي يواليه ولا ناصر ينصره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: أن من لا يجيب داعي الله ضالٌّ ضلالا مبينا، وهذا ترهيب منهم لقومهم؛ لكي يسلموا ويتبعوا رسول الله ﷺ.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: توكيد وجود عالم الجن، وأن الله خلقهم أمة قائمة كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦ .

فمن أنكر وجودهم فقد أنكر القرآن، وإنكار القرآن كفر. وفيها: الحكم بأن رسالة رسول الله ﷺ تشمل الجن كما ورد ذكره في قصة جن أهل نصيبين في قوله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وذلك أن الله أرسلهم ليتعلموا الدين بسماعهم لقراءة رسول الله ﷺ. وفيها: أن الله جل وعلا لا يغفر ذنوب العبد كلها، وإنما يغفر ما بينه وبين العبد. أما الذنوب المترتبة من حقوق العباد ففيها القصاص فيؤخذ من حسنات المذنب فتعطى لصاحب الحق أو يؤخذ من سيئات هذا فتوضع على غريمه وهكذا. وفيها: أن من يعرض عن إجابة الدعوة إلى الله معرض للهلاك.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: ألم ير هؤلاء المنكرون للبعث وهم

كفار قريش أن الله هو الذي خلق السموات والأرض وصنعهما بقدرته وعظمته، وأنه لم يتعب من خلقهما بل قال لهما: كونا فكانتا، أفلا يكون قادرا على إحياء الموتى وهو الذي خلقهم أصلا من العدم ؟ ثم أجاب جل جلاله بقوله ﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثم توعد المشركين والكفرة المنكرين للبعث بقوله ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يوم يعرضون على النار فيرونها عيانا فيقول لهم خزنتها: أليس هذا العذاب بالحق ؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ﴾ أي: نقر ونعترف بأنه حق ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: حينئذٍ ذوقوا العذاب جزاء كفركم.

ثم أمر عز وجل رسوله أن يصبر على تكذيب قومه له بقوله ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ المراد بهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام والمخاطب نبينا محمد ﷺ أي: كن مثلهم في صبرهم على تكذيب قومهم لهم ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾ بالعقوبة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ﴾ أي: حينما يرون العذاب كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة رغم طول أعمارهم.

﴿بَلَٰغٌ ۚ﴾ أي: أن هذا القرآن بلاغ للناس عن أمر دينهم ودنياهم، وفيه هدايتهم إذا اهتدوا بما فيه من الآيات البينات ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: لا يهلك الله إلا من فسق وأصر على فسقه وبلغه أجله دون توبة نصوح.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن البعث والنشور كائن لا محالة كما قال تعالى ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾(١). ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٢). ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٣). إلى قوله ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾(٤). ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾(٥). ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾(٦).

وفيها: أن من كذب بوجود الله أو ألحد في أسمائه، أو صفاته أو أنكر البعث أو كذب آيات الله أو أحداً من رسله أو كتبه يعد كافرا مستحقا للعذاب. وفيها: وجوب الصبر على الدعوة إلى الله وعلى طاعته والصبر على النوائب؛ لما في ذلك من الثواب العظيم كما قال جل وعلا ﴿وَالْعَصْرِ﴾(٧). ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾(٨). ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(٩). وفيها: أن الله لا يظلم أحدا من خلقه فلا يهلك إلا الفساق الذين يصرون على فسقهم فيرتكبون المحرمات، ويخرجون على أوامر الله ويموتون دون أن يتوبوا.

---

(١) سورة المطففين الآية ٤ .
(٢) سورة المطففين الآية ٥ .
(٣) سورة المطففين الآية ٦ .
(٤) سورة المطففين الآية ١٠ .
(٥) سورة المطففين الآية ١١ .
(٦) سورة المطففين الآية ١٢ .
(٧) سورة العصر الآية ١ .
(٨) سورة العصر الآية ٢ .
(٩) سورة العصر الآية ٣ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة محمد

مدنية وآياتها ثمان وثلاثون آية

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۝٣﴾.

بيان الآيات:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد بهم مشركو مكة فقد كفروا بآيات الله ولم يصدقوا رسوله ولم يصدقوا بالقرآن رغم نزوله بلغتهم ووضوحه لهم ﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لم يكتفوا بكفرهم أنفسهم بل عملوا جاهدين لصدّ غيرهم عن سبيل الله فعذبوا المؤمنين مثل بلال وخباب ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: بسبب كفرهم وصدهم عن سبيل الله أبطل الله أعمالهم فلا تقبل منهم حسنة ولا عمل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهم الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكف الأذى ونحو ذلك من أفعال الخير ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ وهو

القرآن حيث صدقوه وأحلوا ما أحله، وحرموا ما حرمه وعرفوا أنه منزل من عند الله لهداية عباده وأنه الحق الذي لا مراء فيه كما قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ هؤلاء كفر الله عنهم سيئاتهم جزاء أعمالهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: أصلح أمورهم في دنياهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: أن هؤلاء الكفار الذين أضل الله أعمالهم اتبعوا أوامر الشيطان وما زيَّنه لهم من الكفر، أما المؤمنون الذين كفر الله عنهم سيئاتهم وأصلح أمورهم فهم الذين وصفهم بقوله ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وهو القرآن ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ أي: يبيِّن لهم حال المؤمنين وما يتميزون به من الصلاح ويبين لهم حال الكافرين وما هم عليه من الفساد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أن من يكفر بالله، أو آياته، أو أحد من رسله أو شرائعه ويصد عن سبيله لا يقبل الله منه في الآخرة أي: عمل، بل يجعله في ضلال وخسران. وفيها: أن العبد على مفترق طريقين، فإما أن يكون مؤمنا بالله، وهنا يكون مستحقا لرضاه فيكفر عنه سيئاته ويصلح أموره فيكون دائماً في حرز منه. وإما أن يكون هذا كافرا وصادّاً عن سبيل الله، وهنا يكون محلا لسخط الله وغضبه عليه.

وفيها: أن الله يضرب للناس الأمثال ويبيِّن لهم الحقائق؛ ليكون ذلك عونا لهم على فهم أوامره والاهتداء بهديه والبعد عن غضبه.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ هذا توجيه من الله في حالة الحرب التي يكون فيها المسلمون مع العدو وهي وجوب الشدة في القتال؛ لأن المراد هو الانتصار عليه ولا يكون هذا الانتصار إلا بالقوة في قتاله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أي: أوسعتموهم قتلا ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ المراد به الأسارى في الحرب والمعنى: أحكموا أسرهم حتى لا يفروا منكم وحينئذ أنتم وقائدكم في الحرب مخيَّرون إما أن تمنوا عليهم بإطلاقهم أو تأخذوا منهم الفداء، لقاء إطلاقهم كما قال تعالى في ذلك ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ﴾ أي: ليكن ذلك شأنكم مع العدو من قتل وأسر إلى أن تنتهي الحرب بينكم وبينه ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: لو شاء الله لأهلك

أعداءكم دون قتال منكم، ولكن اقتضت حكمته اختباركم كما قال تعالى ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ﴾ أي: ليختبركم ويعرف مدى تحملكم وصبركم على الجهاد في سبيله وشاهده قوله عز وجل ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: لن يذهب أعمال هؤلاء الذين ضحوا في سبيله وجاهدوا من أجل نصرة دينه بل سوف ينمِّي أعمالهم ويدخرها لهم ليجدوا الجزاء عليها ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ أي: يدلهم على طريق الجنة ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ أي: أحوالهم وأمورهم ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أي: يدخلهم الجنة التي بيّنها لهم في كتابه وعلى لسان رسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الجهاد من فرائض الله على المسلمين كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[2]. وقوله ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[3]. وهذه الفريضة من فرائض الله قائمة إلى قيام الساعة لا يحل لأحد أن يبطلها أو يؤولها

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .

(٢) سورة التوبة من الآية ٧٣ .

(٣) سورة الحج من الآية ٧٨ .

أو يقلل منها فهذا هو حكم الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١]. وفيها: أن قائد الحرب أو إمام الأمة مخير في حال الحرب بين المن على الأسارى بإطلاقهم، أو تقرير الفداء وذلك بعد أن يكون قد أظهر قوة الجيش في القتال كما قال تعالى مستنكرا المبادرة إلى الأسر قبل الإثخان بالقتل يوم بدر ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢]. ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣]. وفيها: البشارة العظمى للذين قتلوا في سبيل الله أن الله لن يضيع أعمالهم، بل ينمِّيها لهم وسوف يهديهم إلى الجنة التي عرَّفها لهم في كتابه وعلى لسان رسوله كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٤]. وفيها: أن الله قادر على إهلاك الكافرين ولكن شرع الجهاد ابتلاء للأمة؛ ليرى مدى صبرها وقوتها وتضحيتها في سبيله كما قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ الآية[٥].

---

(١) سورة المائدة من الآية ٥٠ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٧ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٨ .

(٤) سورة يونس الآية ٩ .

(٥) سورة البقرة من الآية ٢١٤ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩)﴾.

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن ينصروه بالعمل من أجل إظهار دينه ونشره في الأرض بالدعوة إليه، ومجاهدة الأعداء الذين يصدون عنه، ونصرة دين الله تقتضي نصرة رسوله باتباع أوامره، والالتزام بسنته والدفاع عنها والوقوف ضد من يتقول عليه أو يستهزئ به، أو يكذب بنبوته ورسالته ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ أي: إذا نصرتم دين الله ورسوله ربط الله على قلوبكم وثبتكم عند لقاء العدو ونصركم عليه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: ليس لهم إلا العثار والشقاوة والهلاك وضلال أعمالهم بعدم قبولها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: ما حصل لهم هذا الشقاء والهلاك إلا بسبب كرههم لكتاب الله وعدم التصديق به، فاقتضى عملهم هذا إحباط كل عمل من أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من نصر دين الله نصره على أعدائه

فهذا وعد من الله ووعده الحق كما قال تعالى ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[١]. ونصر دين الله يقتضي حكما نصرة نبيه والدفاع عن سنته ومحاربة من يتقول عليه أو يستهزئ به أو يكذب بنبوته.

وفيها: تقرير أن التعاسة والشقاوة من نصيب الذين يكرهون كتاب الله ويكذبون به.

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ المراد بهم المشركون بالله المصرون على شركهم رغم ما جاءهم من البينات ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ألم يتفكروا فيمن تعرضوا للهلاك من الأمم السابقة المكذبة لرسلها كقوم هود وصالح ولوط وشعيب حيث دمر الله بلادهم وحصونهم ومزارعهم بالصيحة والرجفة والريح العاتية ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ أي: أمثال ما حل بتلك الأمم وهذا تهديد لمشركي مكة أن يتفكروا فيمن قبلهم حتى لا يحل بهم ما حل بهم من العذاب ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: إن الله يتولى المؤمنين

(١) سورة الحج من الآية ٤٠ .

بولايته فينصرهم على أعدائهم. أما الكافرون الذين كذبوا بآيات الله فليس لهم مولى يواليهم؛ لأنهم خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الاعتبار بما يصيب الآخرين في أنفسهم وأموالهم كما قال عزوجل ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾(١). وقوله ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٢). وفيهما أن ولاية الله خاصة لأهل الإيمان؛ بسبب صلاحهم كما قال تعالى ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(٣). وأما الكفرة فلا ولاية لهم؛ لأنهم خسروا هذه الولاية بسبب كفرهم وإصرارهم عليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم (١٤)﴾.

(١) سورة الحشر من الآية ٢ .

(٢) سورة ق الآية ٣٧ .

(٣) سورة المائدة الآية ٥٦ .

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ هذا بيان من الله ووعد لعباده الذين آمنوا به وبرسله وكتبه أن يدخلهم الجنة بكل ما فيها من النعيم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ أي: يتلذذون بمتع الحياة الدنيا وشهواتها ﴿وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أي: مثلهم في أكلهم وشربهم مثل الأنعام التي لا تعرف إلا الأكل ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ﴾ أي: مقرّ ومقام لهم، وفي هذا وعيد شديد للذين يلهون في حياتهم الدنيا ويتمتعون فيها بالملذات وينسون الآخرة ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال: (**أنت أحب بلاد الله إلي ولولا أن المشركين أخرجوني لم أخرج منك**)(١). والمراد أن كثيرا من القرى كان أهلها أكثر عددا وأموالا وحصونا من أهل مكة الذين أخرجوك ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ أي: أخذناهم بالعذاب فلم يجدوا ناصرا ينصرهم منه، وفي هذا تهديد ووعيد شديد للمشركين الذين أخرجوا رسول الله ﷺ من بلده الذي كان يحبه.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: من كان على بصيرة وبرهان

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٣٥، وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٧٨، وأخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب المناسك، باب فضل مكة، ج٢ ص١٠٣٧، برقم (٣١٠٨).

وإيمان بالله وبرسوله وكتابه. والمراد بهم: المؤمنون الذين آمنوا بالله وكتابه ورسوله يرجون ما عند ربهم ويخافون من عقابه ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ أي: أن أولئك المؤمنين ليسوا مثل أهل الشرك والمعاصي الذين زينت لهم أنفسهم سوء أعمالهم فاتبعوا أهواءهم فلم يصدقوا ما جاءهم من عند الله على لسان رسوله فهم كالأنعام أو أضل سبيلا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان حال المؤمنين ونقيضهم، فالمؤمنون يدركون أنهم على طريق الآخرة فيعملون لها والمكذبون بآيات الله يتنعمون في الدنيا ويكفرون بالآخرة، فهم مثل الأنعام السائبة التي لا تفكر إلا فيما تأكل وتشرب. وفيها: تسلية رسول الله ﷺ عن الظلم الذي تعرض له من قومه حين آذوه واضطروه إلى ترك بلده الذي يحبه. وفيها: تقرير التضاد بين المؤمنين الذين يعملون وهم على يقين من ربهم وأولئك الذين يعملون تبعا لأهوائهم.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ أي: صفتها التي وعد الله بها عباده وأولياءه المتقين الذين وضعوا أنفسهم في الدنيا على طريق الآخرة ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ أي: غير متغير ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ أي: لم يتطرق إليه فساد يغير طعمه ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ أي: وفيها أنهار من خمر فيه لذة لشاربيه على عكس الخمر في الدنيا التي تسكر أصحابها وتغير أمزجتهم ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ أي: في غاية الصفاء وعدم الكدر ﴿وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: ولهم في الجنة ما يرغبون فيه من كافة أنواع الثمار من الفواكه وغيرها ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ أي: مع هذه المزايا يغفر الله لهم سائر ذنوبهم فهل هؤلاء الذين أكرمهم الله وصدق فيهم وعده مثل المشركين المخلدين في النار الذين يسقون فيها الحميم الذي يقطع أمعاءهم كما قال عز وجل ﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ الجواب: أن هؤلاء ليسوا كهؤلاء، فهل يدرك الذين يبارزون الله بالعداوة ولا يتوبون إليه ماذا سيكون مصيرهم يوم القيامة ؟

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن تقوى الله وطاعته هي السبب الموجب لرحمته كما قال

تعالى ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]. وقوله ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[2]. وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3]. والآيات في هذا كثيرة. وفيها: البيان عن أنواع النعيم التي أعدها الله للمتقين. وفيها: الحكم بعدم التماثل بين أهل الإيمان وأهل الشرك والكفر.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ المراد بهم: المنافقون في المدينة، فقد كانوا يستمعون إلى رسول الله ﷺ وهو يتلو آيات الله ليس لقصد الانتفاع من السماع، ولكن ليشعروه بإيمانهم مع عدم صدقهم في بواطنهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ من الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أي: ماذا قال سابقاً ؟ وذلك لأنهم لم

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٥ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٩٨ .

(٣) سورة النحل الآية ١٢٨ .

يفهموا ما قاله عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم أصلا لم يقصدوا الرغبة في السماع وقد وصفهم الله بقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: ختم عليها بسبب ماران عليها من الضلال ومجانبة الحق فتحولوا إلى منافقين ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ أي: لم يتبعوا في نفاقهم سلطانا أو برهانا بل اتبعوا أهواءهم فضلوا.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ أما الذين يبتغون الهدى من ربهم ويتبعون ما أنزل على رسوله فقد زادهم الله هدى وثبتهم ووفقهم لدوام هدايتهم ﴿وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ أي: أرشدهم إلى الأعمال التي توصلهم إلى هذه التقوى ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ﴾ المراد بهم كفار قريش أي: هل يستمرون على شركهم إلى أن تفاجئهم الساعة ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ أي: ظهرت علاماتها وأولها: بعثة رسول الله ﷺ ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ﴾ أي: من أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة بغتة وهم عنها غافلون ؟

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بذم المنافقين والتنديد بهم وأن الله يطبع على قلوبهم، وقد بين الله عذابهم يوم القيامة بقوله عز ذكره ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾[1]. ﴿إِلَّا

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٥ .

ﵟٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِﵞ الآية[١]. وقوله جل ثناؤه ﵟوَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞﵞ[٢]. وفيها: تقرير أن للساعة علامات منها: بعثة رسول الله ﷺ، ففي حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**بعثت أنا والساعة كهاتين**) وضم السبابة والوسطى[٣]. ومنها: انشقاق القمر كما قال تعالى ﵟٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُﵞ[٤].

ﵟفَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ﵞ.

بيان الآية:

ﵟفَٱعۡلَمۡﵞ المخاطب هنا هو الإنسان في عمومه والمعنى: اعلم علم جزم ويقين ﵟأَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُﵞ هذا هو توحيد الألوهية بكل أحكامه. ﵟوَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَﵞ أي: اطلب من ربك المغفرة. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقول: (**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي**

---

(١) سورة النساء من الآية ١٤٦ .

(٢) سورة التوبة الآية ٦٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، من سورة النازعات، باب (١)، برقم (٤٩٣٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٦٠ .

(٤) سورة القمر الآية ١ .

وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي)[١]. وكان عليه الصلاة والسلام يقول: **(والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)**[٢].

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: استغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ لأنهم لما آمنوا بالله حق الاستغفار لهم من ذنوبهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ أي: يعلم أحوالكم في ليلكم ونهاركم كما قال عز وجل ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

أحكام ومسائل الآية:

وجوب العلم بأنه لا إله إلا الله وحده، وهذا العلم يقتضي عدة أحكام: منها: العلم بأن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن. ومنها: العلم بأنه الذي فطر السموات والأرض وأبدعهما وأنشأهما من العدم. ومنها: العلم بأنه الذي خلق الخلق كلهم وهم: الملائكة والإنس والجن وسائر الكائنات الأخرى من الحيوانات والدواب وما في البر والبحر من المخلوقات المختلفة؛ والعلم بأنه المتفرد بهذا الخلق

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين برقم (٦٣٩٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٢٠٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، برقم (٦٣٠٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص١٠٤ .

(٣) سورة هود الآية ٦ .

فلا يشاركه فيه أحد. ومنها: العلم بأن الله يعلم كل ما في السموات والأرض وما بينهما فلا يغيب عن علمه أي: شيء مهما كان حجمه واسمه. ومنها: أنه المتفرد بهذا العلم ولا يشاركه فيه أحد من خلقه، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل. ومنها: أنه المتفرد بعلم الساعة، فلا يعلم قيامها إلا هو. ومن هذه الأحكام: أنه هو المدبر والمتصرف في الكون علوه وسفله وما يحدث فيه من حادث وما ينزل فيه من نازلة إلا وهو يعلمها. ومنها: أنه متفرد عن خلقه بذاته العلية وأسمائه وصفاته، فليس له من ندّ ولا مثيل ولا نظير. ومن هذه الأحكام: أنه المستحق وحده للعبادة قولا وعملا، وأن أي: عبادة لما سواه تعد عبادة باطلة عاقبتها العذاب والخسران.

ومن أحكام الآية: وجوب استغفار العبد من ذنوبه وأن يستغفر كذلك للمؤمنين والمؤمنات لأنهم إخوته وأولياؤه كما قال تعالى ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[1].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ

---

(١) سورة التوبة من الآية ٧١ .

عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ هذه من الآيات التي نزلت في المدينة حيث إن قتال المشركين لم يفرض إلا فيها والمراد أن الناس كانوا يقولون بينهم: هلا أنزلت سورة تأمر بالجهاد وتشرعه حتى نجاهد في سبيل الله، ولما فرض الجهاد تخلى عنه بعض الناس وقد أخبر الله عن ذلك بقوله ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أي: أنزلت سورة غير منسوخة تحث على الجهاد وتبيِّن فضله ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: المنافقين ينظرون إليك ﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: تراهم وكأن الموت يتغشاهم من شدة فزعهم وجبنهم عن القتال وخوفهم من الموت ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: كان الأحق بهم ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: امتثال ما أمروا به سواء في الأفعال أو الأقوال ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أي: لو أنهم صدقوا الله في طلبهم الجهاد ومعاهدتهم لرسول الله على القيام به لكان ذلك أفضل لهم من النكول عنه ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: يتوقع منكم أنكم

إذا توليتم الإمارة ونكلتم عن الجهاد وتخليتم عنه ﴿أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تعودوا إلى سابق عهدكم من الاقتتال والفساد في الأرض وقطيعة الأرحام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ أي: أن أولئك الذين يفعلون هذه الأفعال الفاسدة قد لعنهم الله فأصم آذانهم عن سماع الحق، وأعمى عيونهم من النظر إليه، فهم مطرودون من رحمة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: عدم جواز التمني على الله، فقد أمر الله عباده أن يسألوه حاجاتهم كما قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[(١)]. وهذا يقتضي عدم جواز التمني عليه كما قال عليه الصلاة والسلام: (**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله**)[(٢)]. وفيها: التنديد بالجبن والخور كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (٢٥)، برقم (٢٤٥٩)، سنن الترمذي ج٤ ص٥٥٠، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، برقم (٤٢٦٠).

ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[1].

وفيها: تحريم الفساد في الأرض وتوعد أصحابه بأشد العقوبات، سواء كانوا ولاة أمر أو أفراداً، والأحكام في هذا كثيرة، منها: قوله ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[2].

وفيها: تحريم قطيعة الرحم، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن عز وجل فقال لها: مه قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب، قال: فذاك**) قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾[3].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ (٢٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ (٢٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ

---

(١) سورة النساء الآية ٧٧ .

(٢) سورة الرعد الآية ٢٥ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾، برقم (٤٨٣٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٤٣ .

ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ لما ذكر الله حال المنافقين وسلوكهم قال عز ذكره في سياق الاستفهام الإنكاري لهم: أفلا يتدبرون القرآن؛ لكي يعلموا مافيه من الهدى فيهتدوا به؟ ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ أي: هل طبع الله على قلوبهم؛ بسبب نفاقهم فانغلقت فأصبحوا لا يعرفون الحق من الباطل والهدى من الضلال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ أي: إن رجعوا إلى النفاق بعد أن تبين لهم الحق وهو نبوة رسول الله ﷺ ورسالته ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: إن الذي دفعهم إلى النفاق هو تزيين الشيطان لهم سوء أعمالهم، ووعده لهم الأماني الكاذبة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: قال هؤلاء المنافقون للمشركين الذين كذبوا بالقرآن: سوف نطيعكم سرّاً في بعض الأمور فنكون على صلة

بكم ومودة لكم، وعدم الخروج لقتالكم وسنتواطأ معكم في كل ما يصرف الناس عنكم. وقد كشف الله زيف هؤلاء المنافقين وتوعدهم بالعذاب بقوله ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾ أي: ما كانوا يخفونه في صدورهم خلافا لما كانوا يظهرونه للمؤمنين من المودة ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: كيف تكون حالهم إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ أي: لإخراج أرواحهم من أجسادهم بالقوة والعنف ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ أي: أن هذا العذاب الذي نزل بهم هو بسبب اتباعهم للشيطان وأهوائهم فاسخطوا الله وابتعدوا عن كل ما يرضيه من الأعمال الصالحة ومنها الجهاد ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي: أبطلها وجعلها هباء منثورا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب تدبر القرآن وجوب عين على كل مسلم؛ لما فيه من الهداية كما قال تعالى ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[(١)]. وفيها: أن سبب النفاق هو سيطرة الشيطان على النفس وتزيينه أعمال السوء لها ووعدها الوعود الكاذبة وانخداعها بهذه الوعود. وفيها:

(١) سورة البقرة من الآية ٢ .

أن المنافق إذا رجع عن طاعة الله إلى معصيته واتفق مع الأعداء على عدم الجهاد في سبيل الله ومالأ الأعداء على المؤمنين يعد مرتدا. وفيها: بيان ما يلاقيه المنافق ومن هو في حكمه من الكفرة عند الاحتضار، وفي القبر. وفيها: أن الله لا يتقبل أعمال المنافقين بل يحبطها ويجعلها هباء منثورا.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ استفهام إنكاري والمراد أيظن المنافقون أن الله لن يكشف حقدهم وضغينتهم لرسوله وعباده المؤمنين حتى يكونوا على علم بهم؟ بلى سوف يفضحهم الله ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: لو أردنا لكشفناهم لك لتعرفهم بأسمائهم، ولكن أردنا الستر عليهم لعلهم يتوبون من نفاقهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ أي: سوف تعرفهم من أقوالهم ومقاصدهم إذا تكلموا عندك؛ لأن ما يخفيه

الإنسان في قلبه يظهر على قسمات وجهه ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ أي: يعلم ما تعملون من سر وجهر، وسوف يجازيكم عليه ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ أي: سوف نفتنكم بالجهاد ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: حتى نعرف من هو المجاهد منكم بقلبه وجسمه ومن هو الصابر عليه والمحتسب فيه الذي يبتغي وجه الله وإعزاز دينه ونصرة رسوله ﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ أي: نمتحن ونعرف مدى صدقكم فيما تقولون وتتحدثون عن أنفسكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله بيَّن أسرار المنافقين وخفاياهم في سورة التوبة كما قال تعالى ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾[1]. وقد أخفى أسماء بعض المنافقين سترا لهم، علهم يتوبون من نفاقهم. وفيها: تقرير حقيقة عضوية، وهي أن ما يخفيه المرء في صدره من النفاق أو الكذب أو الفرح أو الغضب يظهر على قسمات وجهه كما يظهر من خلال حديثه، فيدل الظاهر على الباطن منه. وفيها: أن الله يبتلي عباده إما بما يوجب الجهاد عليهم، أو بما يصيبهم به من النوازل ليعرف مدى صبرهم وقوة إيمانهم، وفي هذا قال الإمام ابن كثير: وليس في

(١) سورة التوبة من الآية ٦٤.

تقدم علم الله بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب، فالمراد حتى نعلم وقوعه، ولهذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما في مثل هذا: إلا لنعلم أي: لنرى[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: الذين كذبوا بآيات الله ورسوله ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أنكروا الإسلام وصدوا عنه بالكذب وقول الباطل وآذوا المؤمنين به ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: كذبوه وعاندوه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: بعد ماجاءهم بالبينات وتبين لهم صدق نبوته ورسالته ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ لأنه القاهر لهم والقادر عليهم، وإنما يضرون أنفسهم؛ لأنه يحبط أعمالهم فلا يثيبهم على أي: عمل قدموه كما قال تعالى ﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الكافر لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله؛ لأنه أعظم من أن يضره كفر أحد من خلقه. وفيها: الحكم بأن أعمال المشركين

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٩٤ .

والكفرة من بر أو صدقة أو نحو ذلك مردودة عليهم؛ لأن الله لا يقبل منهم عدلا ولا صرفا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) ﴾.

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ لما ذكر الله حال المنافقين وكفرهم بالله ومشاقتهم لرسوله أمر المؤمنين أن يطيعوه كما أمرهم أن يطيعوا رسوله، وطاعة الله وطاعة رسوله تقتضي الاستجابة لأمرهما والانتهاء عن نهيهما ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: لا تبطلوها بارتكاب الكبائر والمعاصي ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ المراد بهم الذين يكفرون بالله قولا أو فعلا ويصدون خلقه عن الإيمان به فيزينون لهم الباطل ويكرهون لهم الحق ويغرونهم بالمعاصي ويموتون وهم على تلك الحال دون توبة فهؤلاء لن يغفر الله لهم ذنوبهم قوله ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي: لا تضعفوا وتتركوا منازلة الأعداء وتستسلموا

لهم وأنتم أقوياء بإيمانكم، وفوق ذلك أن الله معكم بنصره إذا عرف صدقكم وجهادكم في سبيله ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: لن ينقصكم ثواب أعمالكم بل يضاعفه لكم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب طاعة الله وطاعة رسوله كما قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الآية[1]. وقوله عز ذكره ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[2]. وفيها: النهي عن إبطال الأعمال بعد عملها، ويشمل ذلك ما يعمله المسلم من صلاة وزكاة وصيام وحج وغير ذلك؛ فإبطال الصلاة يكون بالرياء فيها، وإبطال الزكاة يكون بالمباهاة فيها، وإبطال الصيام بالغيبة والنميمة، وإبطال الحج بالرفث والفسوق فيه، وذلك لأن تمام كل عمل وقبوله من الله مبني على النية فيه وعلى تجريده من مبطلاته. وفيها: وجوب التوبة من الأعمال الفاسدة قبل الممات. والآيات والأحكام في وجوب التوبة كثيرة كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٤٦ .

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٧١ .

(٣) سورة النساء الآية ١٧ .

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]. وفيها: النهي عن الاستكانة للأعداء ومسالمتهم وترك قتالهم إذا كان المسلمون في حال من القوة، أما إذا كان المسلمون في حال من الضعف والكافرون أشد منهم قوة وجبت مهادنتهم والصلح معهم مع وجوب الاستعداد بالقوة لمنازلتهم إذا استمروا على عداوتهم.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ هذا هو واقع الحياة ونتيجتها إلا ما كان منها لله عز وجل من الأعمال الصالحة ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ أي: إن تؤمنوا بالله وتطيعوه بما أوجبه عليكم

---

(١) سورة النساء الآية ١٨ .

وتتقوه باجتناب نواهيه، فإنه سوف يؤتكم ثواب هذا الإيمان وهذه التقوى ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ لأنه غني عنكم، وإنما أراد منكم الإنفاق في سبيله كالجهاد ومساعدة إخوانكم المحتاجين ليكون ذلك عونا لهم وثوابا لكم في الآخرة ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾ أي: لو سألكم كل أموالكم لكان في ذلك إحفاء لكم أي: إجهاد لكم يجعلكم تبخلون بها ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ أي: أحقادكم فتكرهون الدين وتنفرون منه ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ أي: أنتم تدعون لتبذلوا جزءا من أموالكم في الجهاد أو في دفع الزكاة لأصحابها أو الصدقة للمحتاجين من المسلمين ومع ذلك منكم من يبخل أي: يكره أن يفعل ذلك ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: إنما حرم نفسه من الأجر والثواب فيعود إثم ذلك عليه، أما الله فهو الغني بذاته العلية وقدرته العظيمة عن خلقه وهم فقراء إليه في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ قوله ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ أي: تعرضوا عن طاعته وطاعة رسوله مما أمركم به من الأقوال والأفعال في المعتقدات والعبادات ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بأقوام آخرين يطيعونه ولا يعصونه ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ أي: لا يكونوا مثلكم في المعصية.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التحذير من غرور الدنيا واللهو واللعب فيها وترك العمل للآخرة كما قال تعالى ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[(١)]. وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[(٢)]. وفيها: الحكم بذم البخل والإعراض عن الإنفاق في سبيل الله وتقرير أن من يبخل إنما يبخل عن نفسه فيحرمها ثواب البذل والعطاء؛ أما الله فهو غني بذاته العلية عن خلقه كما قال تعالى ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾[(٣)]. وقوله ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[(٤)]. وفيها: أن من يتول عن طاعة الله ويعرض عن أوامره يأت الله بأفضل منه كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ الآية[(٥)].

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٨٥ .

(٢) سورة فاطر الآية ٥ .

(٣) سورة الأنفال من الآية ٦٠ .

(٤) سورة المزمل من الآية ٢٠ .

(٥) سورة المائدة من الآية ٥٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الفتح

مدنية وآياتها تسع وعشرون آية

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾.

بيان الآيات:

نزلت هذه السورة بعدما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة النبوية بعدما صده المشركون عن المسجد الحرام الذي جاء إليه هو وأصحابه للاعتمار ثم مالوا بعد ذلك إلى الصلح وأن يرجع عليه الصلاة والسلام عنهم ذلك العام، ثم يأتي العام القابل فوافقهم على ذلك، فلما نحر الهدي الذي أحضره معه ورجع أنزل الله هذه السورة(١) بقوله عزوجل ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فالفتح المراد هنا يوم الحديبية؛ لأن فيه ما بعده من الخير الكثير، ومن ذلك اطمئنان الناس بالأمن والتواصل، وما حدث من فتوحات ونصر للإسلام ومن ذلك فتح مكة وخيبر وغيرهما.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص١٨٥ .

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ أي: ليغفر لك؛ بسبب جهادك وصبرك وتحملك المشاق في سبيل الدعوة إلى الله وفي حديث أنس: أن رسول الله ﷺ قال: لما نزلت عليه هذه الآية بعد رجوعه من الحديبية: (**لقد أنزلت علي الليلة آية أحب إلي مما على الأرض**) ثم قرأها عليهم فقالوا: هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بيّن الله عزوجل ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله قوله ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[1]. ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ أي: في الدنيا بالنصر والفوز، وفي الآخرة بما اختصه الله به من الفضائل الكبرى كالشفاعة العظمى ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: بما ينزله عليك من أحكام الدين وشرائعه وهدايته للناس ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ أي: سوف ينصرك على أعدائك نصرا مؤزرا تفرح به وتقر به عينك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الفتح المراد هو يوم صلح الحديبية وفي هذا: روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٠٨، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٣ ص١٢٢ .

فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبّه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا[1].

وفيها: أن المراد بالذي غفر الله لرسوله ﷺ ليس ذنبا بسبب كبيرة من الكبائر فحاشاه عليه الصلاة والسلام، وإنما المراد ذنوب المتقين الأبرار. وفيها: أن الله عز وجل أتم نعمته على رسوله بالفتوحات العظيمة ونصره على أعدائه وهداه إلى الصراط المستقيم بما أوحى إليه من الآيات والأحكام العظيمة التي أنزلها رحمة لعباده.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية وقول الله ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، برقم (٤١٤٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٧ ص٥٠٥ .

بيان الآيات:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أن الله هو الذي أنزل الطمأنينة على أصحاب رسول الله ﷺ يوم الحديبية، وكانوا ألفا وأربعمائة بعد أن أصابهم نوع من القلق والشدة لما علموا بالصلح، وعدم تمكنهم من الاعتمار الذي جاؤوا من أجله، وقد تبيَّن ذلك من قول عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنهما: أليس محمد رسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين ؟ قال: بلى، فقال عمر: لماذا نعطي الدنيَّة في ديننا ؟ فقال أبو بكر لعمر: الزم الأمر فلن نفارقه فإني أشهد أنه رسول الله. فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله وكما قال عمر هذا القول لأبي بكر قاله لرسول الله ﷺ: فأجابه عليه الصلاة والسلام قائلا: **(أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني)**[1].

قوله ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ أي: يزداد إيمانهم بأنهم على الحق وأن الله ناصرهم على عدوهم ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له القوة، فلو شاء لأرسل ملائكته فأهلك من يعادي دينه، ولكن حكمته اقتضت أمر العباد بالجهاد ليكون في ذلك خير لهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: كان لا يزال عليما بأحوال خلقه حكيما

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص١٣٢ .

في تدبيره لهم وتصرفه فيهم ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ هذا وعد منه عز وجل ووعده الحق أنه سيدخل عباده المؤمنين والمؤمنات جناته بما فيها من النعيم ويخلدهم فيها ويكفر عنهم خطيئاتهم فلا يحاسبهم عليها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أي: هذا الذي يحصل لهم هو الفوز العظيم من ربهم.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: يحاسب ويعاقب هؤلاء على نفاقهم وشركهم وظنهم السيئ بأن الله لن ينصر رسوله وأن أصحابه الذين صدقوه سيقتلون، ولن يكون لهم نصر فمقت الله هؤلاء على ظنهم وقال ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ أي: سوف تدور عليهم دائرة السوء وعليهم الغضب من الله والطرد من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: هيأ لهم جهنم ليعذبوا فيها وبئس المصير الذي يصيرون إليه فيها ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له الملائكة في السموات وفي الأرض ينتقم بها من أعداء دينه ورسوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ أي: غالبا في مراده ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله أنزل السكينة على صحابة رسول

الله ﷺ لما علموا من صلح الحديبية أنهم لن يتمكنوا من الاعتمار في ذلك اليوم. وفيها: تقرير وعد الله لعباده المؤمنين بإدخالهم الجنة وتخليدهم فيها، وتكفير سيئاتهم. وفيها: الوعيد بالعذاب للمنافقين والمشركين لقاء نفاقهم وشركهم وظنونهم السيئة بأن الله لن ينصر رسوله وأصحابه. وفيها: الحكم بأن الله إذا شاء أرسل جنوده في السموات والأرض للانتقام من أعداء دينه إلا أنه شرع الجهاد لعباده ليكون في ذلك خير لهم.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ هذا من نعم الله على عبده ورسوله محمد ﷺ وامتنانه عليه بأنه أرسله لأمته شاهدا لله تعالى بأنه الرب الخالق الذي لا خالق غيره، وأنه الإلَه الواحد الذي لا إلَه غيره وشاهدا على الخلق يوم القيامة بما بلغهم به من رسالة الله إليهم ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ للمؤمنين بأن لهم الفوز في الدنيا والآخرة ﴿وَنَذِيرٗا﴾ أي: منذرا للمشركين والمنافقين بأن لهم العذاب إذا لم يتوبوا إلى الله ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: أرسلنا نبينا ورسولنا محمدا إليكم لتؤمنوا بالله أنه الإلَه الحق، وتؤمنوا بأن رسوله مرسل من عنده

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: تنصروه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تقدروه وتبجلوه، وهذا التعزير والتوقير واجب على العباد لله ورسوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: تنزهوا الله في الغداة والعشي، وذلك ذكره وهذا خاص به وحده.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير: نبوة رسول الله ﷺ وأن الله أرسله إلى الثقلين الإنس والجن كما قال تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1]. وفيهما الثناء على رسول الله ﷺ من ربه بأنه شاهد ومبشر للمؤمنين ونذير للكافرين. وفيهما: وجوب الإيمان بالله ورسوله وتوقيره ووجوب تسبيح الله في الصباح والمساء بما يقتضي ذكره وتقديسه وتعظيمه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٨ .

هذا بيان من الله لرسوله بأن الذين يبايعونه على قتال المشركين إنما يبايعون الله؛ لأنه الذي أمر بقتالهم حتى يسلموا فلهذا قال ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وذلك لائتمارهم بما أمرهم به وهذه البيعة هي بيعة الرضوان[١].

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ أي: نقض ما عاهد عليه ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي: إثم نكثه على نفسه، أما الله فغني عنه ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ أي: استمر على عهده، فجاهد مع الرسول صابرا محتسبا ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: يعطيه الأجر العظيم وهو الجنة والخلود فيها.

---

(١) قال ابن اسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا رسول الله ﷺ الناس الى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفر.

فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا الجد بن قيس، أخو بني سلمة، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته. قد ضبأ إليها، يستتر بها من الناس. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل. السيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص١٣١ .

قال ابن هشام فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي: أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي.

قال ابن هشام: «وحدثني من أثق به عمن حدثه بإسناد له عن ابن أبي مليكة عن ابن أبي عمر: أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى». السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٤٣٨-٤٣٩ .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب الوفاء بالعهد، وهذا يشمل عهد العبد مع ربه بما يجب عليه من توحيده وطاعته وترك معاصيه وهو العهد الأول كما قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[١]. الثاني: عهد العبد مع الخلق كما هو الحال في الأمانة والدَّين وغير ذلك من أنواع التعامل. والأصل في وجوب الوفاء بالعهد قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[٢]، وقوله ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[٣]. والوفاء بالعهد يقتضي تحريم نقضه كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[٤].

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

(٢) سورة المائدة من الآية ١ .

(٣) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

(٤) سورة الرعد الآية ٢٥ .

خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ المراد بهم أعداد من القبائل التي كانت تسكن حول المدينة مثل: غفار ومزينة وجهينة وغيرهم استنفرهم رسول الله ﷺ للخروج معه إلى مكة للعمرة فاختاروا عدم الخروج بعد أن ظنوا أن قريشا سوف تنتصر على رسول الله وعلى المؤمنين، فلما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية أنزل الله عليه هذه الآية بأن هؤلاء الأعراب سوف يعتذرون إليك ويقولون ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ فاضطررنا إلى التخلف عنك من أجل القيام عليها ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: اطلب من الله أن يتجاوز عن خطئنا بعدم الخروج معك، ولأنهم لم يكونوا صادقين في قولهم أنزل الله قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لم يكونوا صادقين بأن أموالهم وأهليهم سبب تخلفهم، بل كان السبب خوفهم وظنهم السيئ ولهذا أمر الله رسوله أن يقول لهم ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ أي: قل لهؤلاء المتخلفين: هل يرد عنكم ما يريد الله بكم من الضر أو

يرد عنكم ما يريد الله لكم من الخير إذا أنتم عصيتم أمر الله وأمر رسوله؟ والجواب أنه لا أحد ينفعهم قطعا. ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: خبيرا بنواياكم وظنونكم السيئة في الله ورسوله كما قال تعالى ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أي: داخلكم الظن بأن قريشا سوف تقتل محمدا وأصحابه فلن تبقى لهم باقية فأردتم أن تجعلوا معها يدا ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: زينه الشيطان لكم ليصدكم عن سبيل الله وليحرمكم مما حصل من الأجر العظيم للذين استجابوا لرسول الله فخرجوا معه وبايعوه ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: أن الرسول ومن معه لن يرجعوا إلى المدينة ولا إلى أهليهم ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ أي: فاسدين في عقيدتكم. ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ أي: أن من لم يؤمن بالله حقا وصدقا وإخلاصا فإن الله أعد له ولكل الكافرين عذاب السعير.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: كشف الله ستر المتخلفين عن العمرة مع رسول الله ﷺ وكذبهم في الاعتذار وإظهار أن سبب تخلفهم الخوف والظن في الله ظن السوء واعتقادهم أن الرسول ومن معه لن يرجعوا إلى المدينة؛ لأن قريشا سوف تقتلهم. وفيها: الحكم بأنه لا أحد في الوجود يقدر على

نفع أحد أو ضره، بل إن الله هو القادر وحده على ذلك. وفيها: تحريم ظن السوء بالله أو رسوله لقول رسول الله ﷺ: (**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**)[1]. وفيها: أن عدم الإيمان بالله ورسوله موجب لأشد العذاب يوم القيامة.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ لما ذكر الله عز وجل حال المتخلفين وما كانوا عليه من الظن السيئ وكذبهم في اعتذارهم، بيَّن أن ملك السموات والأرض كله له وأنه يغفر لمن يشاء من عباده، بسبب توبته ويعذب من يشاء بسبب إصراره على الكفر. وفي هذا إشارة إلى أن الله غفر لمن تاب منهم وعفا عن سيئاته، وهو المراد من قوله عز وجل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فيغفر للتائب ويكفر عنه سيئاته.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم أن ملك السموات والأرض وما فيهما لله وحده؛ فهو المالك المطلق لهما والمتصرف فيهما بما يشاء. الحكم أن المغفرة والعذاب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر. برقم (٦٠٦٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٩٦ .

بمشيئته؛ فيغفر لمن تاب وأناب إليه من عباده ويعذب من أصرَّ منهم على الكفر. الحكم أن الله رحيم بعباده، يتجاوز عن سيئاتهم وخطيئاتهم كما قال عز وجل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾.

بيان الآية:

لقد وعد الله المؤمنين الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى الحديبية أن تكون لهم مغانم كثيرة بعد رجوعهم -كما سنرى- ومن ذلك فتح خيبر ومافيها من المغانم الكثيرة فأخبر الله رسوله أن الأعراب الذين تخلفوا عنه سيطلبون الذهاب معه إلى الغزو كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ أي: نخرج معكم للغزو وهدفهم من الخروج الحصول على المغانم، وليس الجهاد في سبيل الله فمنعهم الله من ذلك بقوله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ والمراد به ما أعده لأهل الحديبية بالمغانم بعد رجوعهم، وهؤلاء ليسوا منهم فأمر الله رسوله

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٦ .

أن يقول لهم ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: وعد الله أهل الحديبية ولستم منهم ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: سيقولون لكم: إن عدم خروجنا معكم لغزوة خيبر ما هو إلا حسد وحرمان لنا من المغانم ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: ليس هذا هو السبب كما زعموا، بل السبب عدم استجابتهم للخروج مع رسول الله ولكنهم لا يفهمون.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن الله وعد المؤمنين العائدين من الحديبية بالمغانم في غزوة خيبر، وقد صدق وعده فغزا رسول الله ﷺ وصحابته خيبر ففتحوها وغنموا المغانم الكثيرة منها. وفيها: أن التخلف عن دعوة الحق يورث أصحابه الحسرة والندامة، وذلك بسبب ما يفوتهم من خيري الدنيا والآخرة. وفيها: سوء الوصف بالجهل وما يجب من الإعراض عن أصحابه كما قال تعالى ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1]. وقوله عز ذكره في وصف المؤمنين ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[2].

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ

(١) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

(٢) سورة الفرقان من الآية ٦٣ .

تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦﴾ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ أي: قل يا محمد للذين تخلفوا عن صحبة الرسول يوم الحديبية: ستدعون في يوم من الأيام لقتال أناسٍ لهم بأس شديد، وقد اختلف المفسرون في تحديد هؤلاء على وجه اليقين فقيل: إنهم بنو حنيفة كما قال رافع بن خديج: كنا نقرأ هذه الآية ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ فلا نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة فقلنا: إنهم هم. وقيل: المراد بهم فارس، وقيل: الروم، وقيل: هوازن أو ثقيف[1] ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾ أي: تقاتلونهم أو هم يبادرون إلى الإسلام فلا يحتاجون إلى قتال منكم ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ أي: إن تطيعوا الأمر الذي يأمركم بالجهاد ولا تتخلفوا عنه كما فعلتم من قبل ﴿يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾ أي: يثيبكم الله على عملكم بالأجر الحسن ﴿وَإِن

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص١٣٢٠ .

﴿تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: إن تعرضوا كما فعلتم يوم دعيتم إلى السفر مع رسول الله ﷺ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: شديدا.

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ لما نزل قول الله تعالى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم﴾ الآية. قال أهل الاعذار: كيف حالنا يا رسول الله وماذا علينا ؟ فأنزل الله هذه الآية[1] التي بيَّن فيها أن لا إثم على المتخلفين عن الغزو إذا كانوا من أهل الأعذار وهم من كان فاقد البصر، ومن به عرج في رجله، ومن كان به مرض ملازم؛ ذلك لأن هؤلاء لا يقدرون على القتال قوله ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: يطيعهما فيما يأمرانه به من الأوامر كالجهاد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: من ينكل عن الجهاد يعذبه الله بالعذاب الشديد.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين دليل على صحة خلافة أبي بكر وعمر؛ فأبو بكر دعا هولاء المتخلفين إلى قتال بني حنيفة وعمر دعاهم إلى قتال فارس، ومن المعلوم أن الداعي للمتخلفين لن يكون الرسول؛ لأن الله قال عنه ﴿لَن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾[2]. وقد دعاهم أبو بكر وعمر في خلافتهما.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٣ .

(٢) سورة التوبة من الآية ٨٣ .

وفيهما: أن الله رفع الحرج عن أهل الزمانة وهم الأعمى والأعرج والمريض، فليس عليهم إثم إذا لم يخرجوا للجهاد؛ بسبب أحوالهم.

وفيهما: أن الله وعد ووعده الحق بأن من أطاع الله واستجاب لأمره في الجهاد وغيره سيجزيه بإدخاله الجنات بما فيها من النعيم وذلك على خلاف المعرض عن أمره، فهذا يستحق العذاب الشديد.

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ هذا بيان من الله عن رضاه عن الذين بايعوا رسوله تحت الشجرة على الموت أو أن لا يفروا عنه وهي (بيعة الرضوان) كما سبق بيانها.

﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: علم ما فيها من الإخلاص والصدق والاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ وهي الطمأنينة وتعزيز الإيمان في نفوسهم ﴿وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ أي: ما حصل من الصلح مع المشركين وما تلا ذلك من فتح خيبر وحصول المغانم الكثيرة وما تبع ذلك أيضا من فتح مكة وكثير من البلاد

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ وهي غنائم خيبر كما ذكر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ بقوته ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره لخلقه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: بيان ما لأهل بيعة الرضوان من الفضل العظيم؛ لما رواه جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**)[1]. وفيها: أن الله إذا علم صدق عباده وإخلاصهم أنزل السكينة عليهم فتعززت في نفوسهم قوة الإيمان فلم يعودوا يشعرون بالقلق أو الخوف من أعدائهم، ناهيك بما يحققه لهم من النصر المبين عليهم والحصول على الغنائم منهم.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب في فضل من بايع تحت الشجرة (٣٨٦٠)، سنن الترمذي ج٥ ص٦٥٢، وأبو داود في كتاب السنة، باب في الخلفاء، برقم (٤٦٥٣)، سنن أبي داود ج٤ ص٢١٩.

بيان الآيات:

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾

هذا بيان من الله عن امتنانه على عباده المؤمنين ووعده لهم بالمغانم الكثيرة إلى يوم القيامة إذا أخلصوا في دينهم واستجابوا لأمر ربهم بنشر دينه وإعلاء كلمته، وقد عجل لهم مغانم خيبر لوفرتها ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ ﴾ قيل المراد منه أن المؤمنين لما كانوا في الغزو تمالأ اليهود في المدينة مع يهود خيبر وبعض المنافقين من العرب على أن يغيروا على بيوت الأنصار والمهاجرين في المدينة فيقتلوهم فكفهم الله[1]. وقيل إن عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النضري ومعهما آخرون جاؤوا لينصروا أهل خيبر حين كان النبي ﷺ يحاصرهم فألقى الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين[2]. قوله ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: دفع الله الأذى عن المؤمنين ورد كيد الذين كانوا يكيدون لهم وهم أثناء حصار خيبر ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ أي: ويدلكم على الطريق المستقيم الذي يتحقق لكم به الفوز في الدنيا والآخرة.

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾ أي: وعدكم فتوحات أخرى لم تقدروا عليها في وقتها، ولكن الله أحاط بها أي: أعدها لكم

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص١٣٢٢ .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج٣ ص٢٥١ .

فتكون باقية لكم إلى يوم القيامة ما دمتم متمسكين بصراط الله الذي هداكم إليه. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: هو قادر على كل شيء ومن ذلك: نصر عباده وأوليائه المؤمنين وتوريثهم الأرض ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ في هذا بشارة للمؤمنين أن النصر سيكون لهم إذا قاتلهم الكافرون، وحينئذ لن يجد الكافرون وليا يواليهم أو ناصرا ينصرهم ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ أي: أن من سننه الكونية العظيمة أن الإيمان ينتصر على الكفر والحق على الباطل ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: وهذه السنة لن تتغير ولن تتحول.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ المراد هنا يوم الحديبية، وقد ورد أن ثمانين رجلا من المشركين هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاته يريدون قتله فأخذوا أخذا، فأعتقهم رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية[1] وكان هذا من دواعي صلح الحديبية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ أي: عالما وبصيرا بكل ما كان يحدث للمسلمين مع أعدائهم.

---

(١) تفسير البغوي ص١٢٠٩.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أن الله قد صدق ما وعد به المؤمنين من الحصول على المغانم الكثيرة، وفيها: فضل الله على عباده المؤمنين بأن صد عنهم الذين كانوا يتآمرون على ذرياتهم ومساكنهم في المدينة حين كانوا في حصار خيبر مع رسول الله ﷺ وجعل هذه آية للمؤمنين ليزداد إيمانهم. وفيها: وعد الله لأجيال المؤمنين بأنهم سوف يغنمون مغانم وفتوحات أخرى لم يتمكن أسلافهم منها فحبسها لأجيالهم، وهذا هو ما حدث حين فتح المسلمون بلاد فارس وغيرها وغنموا الأموال الكثيرة، ثم تتابعت بعد ذلك الفتوحات، ولم تتوقف إلا بعد أن ضعف المسلمون واستكانوا، والوعد الذي وعده الله لهم باق إلى يوم القيامة إذا أخلصوا في عقيدتهم وأتمروا بأمر ربهم وانتهوا عما نهاهم عنه. وفيها: أن الله وعد المؤمنين ووعده الحق بأن الكفار لو قاتلوهم سوف يولون الأدبار أمامهم، ولن يجدوا لهم وليا يواليهم أو نصيراً ينصرهم. وفيها: أن سنة الله قد مضت أن الإيمان يعلو على الكفر وأن الحق يعلو على الباطل وآخر الفضائل على عباد الله المؤمنين الذين كانوا مع رسول الله ﷺ أن صرف عنهم كيد المشركين الذين أرادوا مباغتتهم وهم في الحديبية فمكّن الله المؤمنين من أسرهم، ثم امتن عليهم رسول الله فأطلق سراحهم وكان ذلك من أسباب صلح الحديبية كما ذكر آنفاً.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ هذا بيان من الله بأن الذين صدوا رسوله والمؤمنين عن المسجد الحرام هم المشركون الذين كفروا بالله وآياته وكذبوا رسوله ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أي: وبسبب كفرهم صدوا الهدي الذي كان معكوفا أي: محبوسا مع المؤمنين ينتظر أن يحل محله ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي: لولا أن في مكة رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات يخفون إسلامهم خوفا على أنفسهم من المشركين لكنا أذنا لكم في القتال ولكن خشية ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: خوفا من أن تطؤوهم أثناء القتال فتصيبكم معرة أي: إثم بغير علم منكم ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: لم يرض الله لكم بالقتال، وإنما أراد الصلح رحمة بالمؤمنين الذين لا تعلمونهم، ولعل المشركين يتخلون عن شركهم وبغيهم وعدوانهم فتشملهم الرحمة ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴾ أي: لو تميز المشركون عن المؤمنين لأَذِنَّا لكم في القتال فقتلتموهم فأصابهم العذاب الأليم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية التنديد بما فعله المشركون من صد رسول الله ﷺ وأصحابه عن دخول مكة. وفيها: تقرير حكم الإحصار وهو أن من منع من دخول البيت الحرام وهو محرم يريد الحج أو العمرة وأحصر بسبب عدو أو مرض أو نحو ذلك، فعليه أن يتحلل ويذبح هديه في مكانه ويرجع من حيث أتى، والأصل فيه قول الله تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾[1].

وفيها: وجوب الحيطة والحذر من إلحاق الأذى بالمسلمين الذين يكونون في مكان الأعداء.

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ الحمية: الأنفة والكبرياء والمراد أنفتهم من الإقرار بنبوة رسول الله ﷺ

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٩٦ .

ورسالته؛ لأنه لما أراد كتابة صلح الحديبية قال رسول الله ﷺ: (**اكتب يا علي بسم الله الرحمن الرحيم**) فقال سهيل: لا ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم. فقال رسول الله ﷺ: (**اكتب من محمد رسول الله**) فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك. فقال عليه الصلاة والسلام: (**اكتب من محمد بن عبد الله**)[1].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ أي: أنزل الطمأنينة والهدوء ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بل رضوا بما ذهب إليه رسول الله ﷺ من أمر الصلح فلم يأنفوا منه ولم يمتنعوا عن قبوله ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهي لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي: وفقهم الله لها وشرفهم بها؛ لأنها كلمة التوحيد وإفراد العبودية لله والإخلاص له ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: هو أعلم بمن يستحق الإيمان والتوفيق له.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: التنديد بحميَّة الجاهلية المبنية على التعصب والجهل وكراهية دين الله ورسوله وذلك حين رفض المشركون كتابة البسملة في رسالة الصلح والإقرار بنبوة ورسالة رسول الله. وفيها: أن الله

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص١٣٢ .

ينزل سكينته على عباده المؤمنين فيثبتهم وتطمئن قلوبهم بذكره فقد أنزل الله على المؤمنين السكينة حين صعب عليهم الصلح مع المشركين.
وفيها: تقرير كلمة التقوى بأنها (لا إله إلا الله).

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه يدخل مكة وأخبر بذلك أصحابه عندما خرجوا معه من المدينة قاصدين مكة، ففرحوا بذلك وبعدما حدث الصلح مع المشركين وأمر رسول الله أصحابه نحر هديهم وحلق رؤوسهم حدث في نفوس بعضهم شيء، وتساءلوا أين الرؤيا التي ذكرها لنا؟ فنزلت بعد ذلك سورة الفتح وفيها هذه الآية. قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ أي: أن رؤيا رسول الله كانت صادقة، فقد صدقه الله فدخل هو والمؤمنون مكة في نفس الأيام من شهر ذي القعدة من العام القابل، وهم آمنون

وقد حلقوا رؤوسهم أو قصروها لقضاء عمرتهم لا يخافون من أحد حيث أخلت لهم قريش المسجد الحرام، فأتموا نسكهم حيث طافوا وسعوا بين الصفا والمروة قوله ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ أي: علم ما في هذا الصلح من المنافع لكم وهي عدم الإضرار بالمؤمنين المخفين إسلامهم في مكة في حال قتال المشركين وإعطاء المشركين أو بعضهم فرصة لعلهم يهتدون فلا يعذبهم الله؛ لأنه يفرح بتوبة عباده وهذه الأمور لا يعلمها إلا الله؛ أما الخلق فلا يعلمونها. قوله ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أي: حصل بعد هذا الصلح منافع كثيرة منها فتح خيبر وفتح مكة وغيرها من الفتوحات الأخرى التي كانت نصرا وعزا للإسلام والمسلمين.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أي: أن الله الذي يعلم ما لا يعلم عباده من مصالحهم أرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق وهو الإسلام الذي فيه هداية للإنسان ومنع له من الضلال ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي: يعليه على سائر الأديان ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: كفى به شهيدا لنبيه ورسوله محمد ﷺ بالرسالة والنبوة.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن رؤيا الأنبياء حق لابد أن تقع كما

قال الله على لسان يوسف ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾[(١)]. وقد تتأخر سنوات أو شهورا أو أياما، وهذا هو ما حدث لرؤيا رسول الله ﷺ، فقد كان بين رؤياه ووقوعها سنة كاملة. والرؤيا: جزء من أربعين جزءا من النبوة وهي تختلف عن الحلم الذي يُلَبِّس به الشيطان على العبد. وفيها: وجوب التلفظ بالمشيئة عندما يهم المسلم بفعل شيء في المستقبل كما قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا﴾[(٢)]. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[(٣)]. وفيها: وجوب الحلق أو التقصير للتحلل من العمرة أو الحج، والحلق أفضل؛ لأن الله قدَّمه ولأن رسول الله ﷺ قال: **(اللهم أرحم المحلقين)** ثلاثا ودعا للمقصِّرين مرة واحدة. وفيها: الحكم بأن الإسلام هو الدين الحق وأنه لا دين إلا هو وأن الله قد وعد ووعده الحق أنه سيظهره على سائر الأديان. وفيها: أن الله شهد لرسوله بالنبوة والرسالة وهي أعظم شهادة على الإطلاق.

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ

(١) سورة يوسف من الآية ١٠٠ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢٣ .

(٣) سورة الكهف من الآية ٢٤ .

كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ هذا توكيد لنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ بكل ما تحمله من معاني النبوة والرسالة من الفضل العظيم ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ هذا وصف لصحابة رسول الله وصفة من صفاتهم أنهم أشداء على الكفار دفاعا عن دينهم، وتعزيزا لرسالة نبيهم، ناهيك عما يكون فيها للكفار أنفسهم حين يخافون ويهتدون فتكون عاقبة ذلك لهم. ومن صفاتهم التراحم والتحابّ بينهم؛ لأنهم إخوة في دين الله، وهذه الأخوة أعظم من أخوة النسب ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ وهذا أيضا وصف لهم في محافظتهم على الصلاة لكونها أحب الأعمال إلى الله ومداومتهم على العبادة يبتغون من ذلك الفضل من الله ورضاه عنهم ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ أي: ظهر أثر السجود في وجوههم، فجعل فيها نورا يراه الناظر لهم؛ ذلك أن للحسنة أثراً في الوجه، وهو الضياء والبشر، وللمعصية أثرها كذلك وهو القلق والاضطراب والخوف ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾ أي: هذا

هو الوصف الذي وصفهم الله به في التوراة ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ أما مثلهم في الإنجيل فهو ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي: فراخه المتفرعة منه ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي: قوى ذلك الشطء الزرع ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: صار قويا ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: استقام على أصوله وجذوره، فكان يعجب الزارعين عندما ينظرون إليه وهذا هو مثل أصحاب رسول الله ﷺ في موازرتهم وتأييدهم ونصرتهم له ولهذا قال تعالى ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ حيث بارك الله فيهم وكثرهم وألَّف بين قلوبهم فأغاظ بهم الكفار؛ لكي يعلموا أن الله ينصر المؤمنين ويخذل الكافرين قوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ أي: غفرانا لذنوبهم وتكفيرا لسيئاتهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجنة ونعيمها.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ وأنها رسالة أبدية قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وفيها: تقرير صفات صحابة رسول الله، ومنها: أنهم أقوياء على الكفار لإظهار دين الله وإبلاغ رسالته كما أُمِرَ بها نبيهم وأمِروا بها تبعا له مما يقتضي منهم القوة في الدعوة والقتال من أجلها كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[1]. ومن

(١) سورة التوبة من الآية ١٢٣ .

صفات صحابة رسول الله: أنهم كانوا يتراحمون ويتحابون في الله بوصفهم إخوة في دينه واتباع نبيه. ومنها: وصفهم بالصلاة وحب الأعمال التي توصلهم إلى محبة الله ورضوانه. ولهذا قال رسول الله ﷺ: (**أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله**)[١]. وهو معنى الولاء والبراء أي: الولاء لأولياء الله والبراءة من أعدائه. وفيها: وصفهم بالركوع والسجود إشارة إلى كثرة صلاتهم، وهذه من الفرائض على المسلم. وفيها: الإشارة إلى أن أثر الإيمان يظهر على الوجه كما يظهر عليه أثر الكفر والمعاصي.

وفيها: تحريم سب صحابة رسول الله ﷺ، أو الاستهزاء بهم أو التنقص منهم، أو النيل منهم بأي وصف يسيء إليهم، والأصل فيه قول رسول الله ﷺ: (**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه**)[٢]. ولما ذكر لمالك رجل يتنقص أصحاب رسول الله ﷺ قرأ مالك هذه الآية ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ حتى بلغ ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، برقم (٤٥٩٩)، سنن أبي داود ج٤ ص٢٠٣، والإمام أحمد في المسند ج٥ ص١٤٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، برقم (٢٥٤٠) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٢١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٦ ص٢٩٦-٢٩٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجرات

مدنية وآياتها ثماني عشرة آية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين ألا يتقدموا على الله ورسوله بأي قول أو فعل، بل يجب عليهم الاتباع والانقياد لما أمراهم به والانتهاء عما نهياهم عنه من الأقوال والأفعال مما هو مبيَّن في الكتاب والسنة. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: اخشوه وائتمروا بما آمركم به ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: يسمع أقوالكم ويعلم مافي صدوركم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ هذا أدب من الله لعباده المؤمنين بأن يكونوا مع رسول الله ﷺ في غاية الأدب والاحترام والإجلال.

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ هذا توكيد لما سبق من وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ بحيث لا تكون مخاطبته مثل ما يخاطب المرء صاحبه، بل يجب احترامه، وذلك بلين القول والتلطف أثناء الحديث معه؛ لأن ذلك تأدباً مع الله. ومع التوكيد على هذا الأدب، بيَّن الله أنه يُخْشَى عليهم إحباط عملهم إذا لم يوقروا رسوله ويحترموه. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: أن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله ويتأدبون معه في الحديث هم الذين أخلص الله قلوبهم ونقَّاهم لتكون أوسع وأكثر قبولا للتقوى، هؤلاء قد امتن الله عليهم فغفر لهم وأعطاهم الأجر العظيم كما قال تعالى ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه يجب على المسلم وجوب عين أن يتبع ما في كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ فلا يقول قولا يخالفهما، ولا يرى رأيا أو يجتهد اجتهادا يعارضهما، بل يكونان مرجعه فيما يقول ويفعل في أمر دينه ودنياه كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1]. وفيها:

---

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٦ .

وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته فبعد مماته يجب التأدب مع سنته باتباعها والتأدب معه عند ذكره بالصلاة عليه كما قال عليه الصلاة والسلام: (**البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي**)[1]. وفيها: أن من لا يتأدب مع رسول الله ﷺ حري أن يحبط عمله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ وهذا ذم للذين كانوا ينادون رسول الله من الحجرات وهي بيوت نسائه والمراد بهم أجلاف من الأعراب الذين كانوا ينادونه وقت الظهيرة بأصوات عالية: يا محمد يا محمد اخرج علينا، فإن مدحنا زين، وذمنا شين، فأنزل الله فيهم هذه الآية ووصف أكثرهم بعدم العقل؛ لعدم تأدبهم مع رسول الله بقوله ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أي: لو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم بدون مناداتك

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ «رغم أنف رجل»، برقم (٣٥٤٦)، سنن الترمذي ج٥ ص٥١٥، والإمام أحمد في المسند ج١ ص٢٠١ .

لكان ذلك أفضل لهم؛ لما فيه من الأدب ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: أن عليهم ألا يعودوا لمثل قولهم وعدم أدبهم لكي يتوب الله عليهم لأنه غفور لمن يتوب من عباده رحيم به من العقاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الإسلام يحرص على الأدب، واجتناب الغلظة في القول وبذاءة اللسان كما قال تعالى على لسان لقمان وهو ينصح ابنه ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[1]. كما أن الإسلام يأمر بحسن الخلق ويحث عليه، وقد وصف الله رسوله وهو القدوة والمثال لأمته بأنه على خلق عظيم بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]. وفي الحديث: قول رسول الله ﷺ: **(والكلمة الطيبة صدقة)**[3].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

(١) سورة لقمان الآية ١٩.

(٢) سورة القلم الآية ٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب طيب الكلام، برقم (٦٠٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٦٣.

ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ نزلت هذه الآية في بني المصطلق ورئيسهم الحارث بن أبي ضرار الخزاعي والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها، فلما قدم هذا على رسول الله ﷺ وأسلم وأقر بالزكاة قال لرسول الله ﷺ: سوف أجمع الزكاة ممن يستجيب لي من قومي وترسل لي رسولا ليأتيك بما جمعت منها، فلما جمعها انتظر أن يأتيه الرسول فلم يأته فظن أنه قد حدث عليه سخط من الله أو من رسوله فجمع سروات قومه وذهب إلى رسول الله. وكان رسول الله قد بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى الحارث ليقبض منه الزكاة ولكنه خاف فرجع من الطريق فقال: يا رسول الله إن الحارث قد منعني ويريد قتلي وقيل إن رجوعه كان لعداوة بين أسرة الوليد وبني المصطلق منذ الجاهلية فوسوس له الشيطان أنهم يريدون قتله. ولما علم رسول الله بما ذكره الوليد بعث إلى الحارث بعثا فتلاقيا في الطريق فأقسم الحارث أن الوليد لم يأته، ولما دخل على رسول الله وسأله عن منعه الزكاة وما أراده من قتل الرسول قال الحارث: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وأقبلت حين احتبس عليَّ رسولك

خشية أن يكون سخطةً من الله ورسوله، فنزلت الآية وهي وإن كانت خاصة في الحارث الخزاعي فهي عامة(١).

والمراد إن جاءكم أيها المؤمنون ﴿فَاسِقٌۢ﴾ كالكذاب ومن في حكمه ﴿بِنَبَإٍ﴾ أي: خبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ أي: تثبتوا ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾ أي: تصيبوهم بضرر لعدم علمكم بحقيقة الخبر ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ أي: تندموا على فعلكم بهم بسبب عدم تثبتكم عما نقل لكم عنهم قوله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي: يجب أن تعلموا أن رسول الله بين أظهركم، وعليكم أن تصدقوه القول لأن الكذب عليه سيبينه الله له بالوحي كما كان يبين له أحوال المنافقين، ومن ثم يضعكم فعلكم في عنت أي: خطيئة وإثم ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ﴾ المراد أنه لما كان رسول الله بين أظهركم ووجب عليكم أن تصدقوه القول فإن الله يحبب إليكم الإيمان ويزينه في قلوبكم مادمتم تتبعون رسوله ولا تخالفونه وهو كما يحبب إليكم الإيمان يكره إليكم الكفر وسائر أنواع الفسق والمعاصي، وهذا رحمة منه لكم؛ لأن من نعم الله على عبده أن يوفقه لطاعته

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦١٩ .

ويجنبه معاصيه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ أي: أن أصحاب رسول الله هم الراشدون المهديون الذين يصدقونه في أقوالهم وأفعالهم ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ وما كان رشدهم إلا فضلا من الله ونعمة أنعم بها عليهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بأحوال عباده حكيم في تدبيره لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم الكذب ووجوب تثبت المسلم مما ينقل إليه؛ لأن في عدم التثبت منه أضراراً كثيرة، وكم أوذي أناس بما نقل عنهم من أخبار كاذبة، وكم ظن أناس ظن السوء في أقوام؛ بسبب ما نقل عنهم من أخبار كاذبة. وفيها: أن من نعم الله على عبده أن يزين له الإيمان ويحببه له ويكره إليه الكفر والمعاصي والمفاسد.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ لما بيَّن

الله لعباده المؤمنين أنه حبب إليهم الإيمان وكره إليهم الكفر أرشدهم فيما قد يحدث بينهم من خلاف، فأمر بالصلح بين من يقتتل من طوائف المؤمنين بما يقتضي إزالة الخلاف بينهم ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ أي: رفضت حكم المصالحة المبني على أحكام الشرع ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: قاتلوا هذه الطائفة حتى ترجع إلى حكم الشرع ﴿فَإِن فَآءَتۡ﴾ أي: رجعت إلى الحق الذي تم الصلح عليه ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ أي: يجب أن يكون صلحكم مبنيّاً على العدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ أي: يحب الذين يعدلون في أحكامهم ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ هذا بيان من الله أن المؤمنين إخوة في الدين وهذه الأخوة تقتضي عدم الشقاق بينهم لأنه مدعاة إلى الفرقة والعداء وتشتيت شمل الأمة ووحدتها ومدعاة لتسلط الأعداء عليها ولهذا قال عز وجل ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ أي: الطائفتين منكم إذا حدث بينهما نزاع ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم وإياكم والتقاتل بينكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ أي: يرحمكم إذا اجتمعتم وتوحدتم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الأمر للأمة بإصلاح ما يحدث فيها من خلل، ومن ذلك الصلح

بين المتخاصمين والمتقاتلين منها وكان سبب نزول هذه الآية ما حدث بين الأوس والخزرج من عراك بسبب امرأة منعها زوجها من زيارة أهلها[١].

قلت: ولو أن الأمة حققت هذا الأمر كما يجب أن تفعله في كل مراحل تاريخها لما حصل بين بعض طوائفها خصام كان له أبلغ الأثر في تمكن أعدائها منها وتسلطهم عليها، وهو الواقع الذي ما زالت الأمة تعيشه فكان الأجدر بها إنشاء محكمة لها صلاحية البت في المسائل الخلافية وما يقتضيه ذلك من نزع الشقاق وتحكيم شرع الله في أيٍّ خلاف وإحقاق الحق لصاحبه ورد المبطل عن باطله. وفي الآيتين: وجوب العدل بين المتخاصمين كما قال تعالى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٢]. وقوله عز ذكره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[٣]. وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن عزوجل بما أقسطوا في الدنيا**)[٤]. وفيهما: أن الأخوة في الدين هي الأصل في العلاقة بين الأمة، فالقربى في النسب وإن كانت إحدى الروابط بين الأمة إلا أن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٣١٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢١٣ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٨ .

(٣) سورة النحل من الآية ٩٠ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٢ ص١٥٩ .

رابطة الدين هي الأصل، فالمسلمون من أجناس وأصول شتى فلا يجمعهم إلا رابطة الدين الذي كون منهم أمة واحدة زالت فيها الفوارق والأعراق كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ لما نهى الله في الآية السابقة عن التقاتل والتخاصم وأوجب العدل بين الطائفتين المتقاتلتين، نهى عن أحوال قد تكون سببا للتقاتل ومنها: سخرية المسلم بأخيه المسلم أو تحقيره أو الاستهزاء به، أو التنقص منه في دينه أو نسبه أو مظهره، فقد يكون المسخور منه أفضل ممن سَخِرَ منه وذلك معنى قول الله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ فالحكم عام للرجال والنساء، وقد

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٥٢ .

خص الله النساء بالنص لما يحدث بين النساء من التخاصم خاصة منهن الضرائر. قوله ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ المراد باللمز هنا العيب أي: لا يعب بعضكم بعضا لما يؤدي إليه ذلك من التخاصم؛ لأن من يبحث عن عيب أخيه يبحث هذا عن عيب من عابه ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ أي: لا تتنادوا بالألقاب التي تكرهون أن تدعوا بها؛ لما في ذلك من دواعي الشِّقاق ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: بئس أن ينادي المسلم أخاه باسم يفسِّقه به بعد أن أصبح مؤمنا كتسميته كافرا أو مجرما ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: من لم يتب من السخرية بالمؤمنين وعدم لمزهم فهو ظالم لنفسه وسوف يحاسب على ظلمه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأنه يحرم على المسلم أن يسخر من أخيه، أو يستهزئ به أو يتنقص منه كما قال تعالى في الذين كانوا يستهزؤن برسول الله ﷺ وصحابته ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾[1]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٤.

نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[١]. ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[٢]. كما يحرم على المسلم أن يعيب أخاه المسلم أو يلمزه أو يناديه بلقب يكرهه؛ لما يؤدي إليه ذلك من التخاصم و الشقاق، وقد توعد الله من يفعل ذلك بقوله ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾[٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ ما زال السياق في تربية المؤمنين وإرشادهم لما فيه خيرهم، فنهاهم عن الظن وهو أن يوجه المسلم إلى أخيه تهمة دون أن يكون له دليل من علم كالظن به في أمانته أو أخلاقه أو عبادته أو نحو ذلك من الظنون المفضية إلى الطعن في المسلم دون حق ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ المراد به الظن الذي بني على غير علم كما يشاهد اليوم في الظن بأهل الصلاح حيث يتهمون

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٥ .

(٢) سورة التوبة من الآية ٦٦ .

(٣) سورة الهمزة الآية ١ .

من أضدادهم بشتى أنواع التهم التي تنفر الناس منهم كاتهامهم بالتعصب والجهل ونحو ذلك ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ أي: لا تبحثوا عن عورات المسلمين وتتبعوا أحوالهم ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ أي: لا تذكروا إخوانكم في غيبتهم بما يكرهون ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ أي: هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه الميت؟ والجواب بالنفي؛ لأنه ليس من المعقول أن يحب الإنسان أكل لحم أخيه الميت فكما أنه يكره ذلك أشد الكراهية فيجب أن يكره الوقوع في عرض أخيه لأن ذلك محرم سواء كان حياً أو ميتاً ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَۚ﴾ أي: اجتنبوا غيبة بعضكم؛ لما ينشأ عن ذلك من الفساد والخلل بينكم ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يتوب على من يتوب من عباده وهو رحيم بهم فيما يأمرهم به من أعمال الطاعات وما ينهاهم عنه من الأفعال التي تؤدي إلى تخاصمهم كالتجسس عليهم واغتيابهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تحريم الظن المجرد من العلم والدليل وشاهده: حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**)[1]. وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولا تظن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد، برقم (٦٦٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٩٦ .

بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها محملا[١]. وفيها: تحريم تجسس المسلم على أخيه لقول رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة الآنف الذكر: (**ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا**)[٢].

وفيها: تحريم الغيبة وهو أن يتحدث المسلم عن أخيه في غيبته بما يكره؛ لما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**أتدرون ما الغيبة؟**) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (**ذكرك أخاك بما يكره**) قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: (**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته**)[٣]. وما رواه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: (**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**)[٤].

ويستثنى من الغيبة ما إذا كان المغتاب ظالما فيحق للمظلوم ذكر مظلمته كما قال تعالى ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[٥]. كما يستثنى منها مرتكب المنكر فيجوز ذكره لإزالة منكره،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢١٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر. برقم (٦٠٦٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٩٦ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة برقم (٢٥٨٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٠٨ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، برقم (٢٥٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٧٣ .

(٥) سورة النساء من الآية ١٤٨ .

ويشمل ذلك أيضا ذكر أصحاب الفسوق والمفسدين ونحوهم ممن لا خلاق لهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾.

بيان الآية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ لما أمر الله بالمحبة والتعاون بين المسلم وأخيه، وعدم احتقاره، أو التعرض له بما يكرهه، بيَّن عز وجل أنه خلق الناس من أصل واحد هو آدم وحواء وأن كل إنسان مخلوق من أبوين هما الذكر والأنثى قوله ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ أي: جعلكم متشعبين من تجمعات مختلفة في كبرها وصغرها ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ أي: جعل هذا التشعب سببا للتعارف بينكم وما يترتب عليه من التعاون وتحقيق المصالح الدنيوية والأخروية لكم، فمن المصالح الدنيوية التعاون بين الأقارب والتوارث بينهم، ومن المصالح الأخروية: تحقيق ما أمر الله به من البر بين الأقارب والأرحام التي أمر الله بوصلها. ولما بيَّن عز وجل حكمته في تشعب الإنسان في أصوله وفروعه، أكد أن الأساس هو التقوى وحدها كما قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فأكرم الخلق عنده أكثرهم طاعة له، وأبعدهم عن معاصيه وأشدهم قوة في دينه والدفاع عنه وأكرمهم كذلك أنفعهم لخلقه في قضاء حوائجهم قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ أي: عليم بأحوال خلقه في سرهم وعلانيتهم، خبير بما يعملونه في حياتهم من خير أو شر.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله خلق البشر متشعبين من قبائل كبيرة وصغيرة لكي يتعارفوا في أنسابهم؛ لما يترتب على ذلك من المصالح في دنياهم وأخراهم كالتعاون والتراحم وما في ذلك من الأجر لهم. وفيها: الحكم بأن أكرم الخلق عند الله هم الأتقياء، وهذا يقتضي تحريم فخر الإنسان بنسبه أو حسبه أو انتمائه لمذهب أو عقيدة خلاف ما أمر الله به. وفي ذلك قال رسول الله ﷺ في خطبته أيام التشريق: (**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى أبلّغت؟**) قالوا: بلغ رسول الله ﷺ. قال: (**ليبلغ الشاهد الغائب**)[1]. وفيه أيضا قوله ﷺ: (**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**)[2].

وللخليفة الراشد علي رضي الله عنه شعر مشهور في هذا المعنى:

النـــاس من جهة التمثيل أَكْفــاء

أبــوهـــمُ آدمٌ والأم حــــــواءُ

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٥ ص٤١١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، برقم (٢٥٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٧٣ .

نفسٌ كنفس وأرواحٌ مشاكِلة
وأعظُمٌ خلقت فيهم وأعضاءُ

فإن يكن لهم من أصلهم حسبٌ
يفاخرون به، فالطين والماءُ

ما الفضل إلا لأهل العلم، إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلّاءُ

وقدر كل امرئٍ ما كان يحسنه
وللرجال على الأفعال سيماءُ

وضد كل امرئٍ ما كان يجهله
والجاهلون لأهل العلم أعداءُ(١)

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٣٤٢ .

لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ هذه الآية نزلت في أعراب بني أسد من خزيمة حين وفدوا على رسول الله ﷺ في سنة مجدبة وأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون: أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فأعطنا من الصدقة وجعلوا يتحدثون ويمنون عليه بإسلامهم فنزلت فيهم هذه الآية[١]. وقيل: نزلت في أقوام من القبائل الأخرى[٢]. والمعنى: أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لقد آمنا بما قلته من وجوب توحيد الله وطاعته وعدم الشرك به وآمنا بما جئت به من النبوة والرسالة، ولأنهم لم يزالوا في بداية عهدهم أمر الله نبيه أن يربيهم بقوله عز وجل ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ أي: لم تكونوا بعد مؤمنين فقولوا: أسلمنا ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لم يتمكن الإيمان منكم ولم تصلوا بعد إلى حقيقته ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ﴾ أي: أن أطعتم الله ورسوله بما أوجبه عليكم، فلن يلتكم أي: لن ينقصكم من أجوركم شيئا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: غفور للتائبين رحيم بهم ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٢٤، ٦٢٥، وتفسير البغوي ص١٢٢٥ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص١٣٣٦ .

أي: الخالصون هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ أي: هم الذين آمنوا بالله ورسوله حقا وصدقا وإخلاصا ثم لم يشكوا في إيمانهم، بل ثبتوا عليه فلم يبدلوا ولم يغيروا ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: بذلوا أرواحهم من أجل إعلاء كلمة الله والدفاع عن دينه يبتغون مثوبته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم وليسوا أولئك الذين لم يثبت الإيمان بعد في قلوبهم كحال بعض الأعراب ﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الأعراب: أتعلمون الله بما في قلوبكم فليس لله حاجة في ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ فلا يخفى عليه ما في ضمائركم فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ﴾ أي: يمن عليكم هؤلاء الأعراب بأنهم أسلموا فقل لهم: لا تمنوا علي إسلامكم؛ لأن إسلامكم لمصلحتكم ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ أي: أن الله هو الذي يمن عليكم بأن أعتقكم من الكفر وهداكم للإيمان ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: يعلم كل ما غاب في الكون في علوه وسفليه لا يخفى عليه منه مثقال حبة من خردل ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي:

يعلم كل عمل تعملونه من الأعمال الحسنة أو الأعمال السيئة لا يخفى عليه منها صغيرة ولا كبيرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير الفرق بين الإسلام والإيمان؛ فالإيمان أخص من الإسلام، وقيل إن الإيمان والإسلام بمعنى واحد وقيل إنهما متغايران - وهو الأصح - فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا وقد بدأ جبريل بسؤال رسول الله ﷺ عن الإيمان ثم عن الإسلام ثم عن الإحسان[1]. وفيها: أن هؤلاء الأعراب الذين ادعوا الإيمان لم يصلوا إلى مرحلته، ولكنهم كانوا مسلمين. وفيها: الحكم بأن المؤمنين الحقيقيين هم الذين آمنوا بالله ورسوله حقا وصدقا لا تشوب إيمانهم شائبة، فهم عابدون لله متبعون لرسوله مجاهدون في سبيله إعزازا لدينه ودفاعا عنه. وفيها: تحريم المن على الله بعبادته والدخول في دينه؛ لأن نفع عبادة العبد تعود له وحده وليس لله فيها حاجة، والواجب أن يقر المسلم بأن الله هو الذي منَّ عليه ووفقه لدينه وأنقذه به من الضلال. وفيها: الحكم بأن الله يعلم كل ما في مغيبات الكون وكل دقائقه وجلائله وظواهره وبواطنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض لا إلَه إلا هو فله الحمد والمنة أولا وآخرا.

---

(١) أخرجه البخاري بطوله في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان. برقم (٥٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١٤٠.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة ق

مكية وآياتها خمس وأربعون آية

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ (١) بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ (٢) أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ (٣) قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ (٤) بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ (٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿قٓ﴾ هذا من الحروف المقطعة مثل (ص) و(ن) والله أعلم بمراده منها ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ هذا قسم من الله بالقرآن والمراد أن القرآن كتاب عظيم كما قال تعالى ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[1] وقسم الله بالقرآن له جواب هو تقرير نبوة رسول الله بقوله ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ أي: عجب الكفار أن الذي جاءهم بالرسالة بما فيها من النذارة رجل من البشر ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: عجبوا مما جاء به من إنذارهم بالعذاب؛ ذلك أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث أصلا فيما حكاه الله عنهم بقوله عز ذكره ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ أي:

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ .

إذا تحولنا إلى تراب وعظام بالية، فإن إعادة رجعنا إلى الحياة أمر بعيد فردّ الله عليهم بقوله ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: علمنا ما يتحلل من أجسادهم في قبورهم ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ أي: مدون فيه كل شيء عنهم ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أي: وعلاوة على تكذيبهم بالبعث فقد كذبوا وأنكروا نزول القرآن ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي: مشوش ومضطرب لا يعرفون ما يقولون.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بحقيقة القرآن وعظمته وهدايته للبشرية كما قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[١]. وفيها: الحكم بأن البعث حقيقة لا مراء فيها كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[٢]. وفيها: أن الأرض لا تأكل كل أجساد الأموات، فمنهم من يبقى جسمه محرما على الأرض أن تأكله كحال الأنبياء لقول رسول الله ﷺ: **(إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)**[٣]. ومنهم: من تأكله الأرض فيبقى منه عَجْبُ

---

(١) سورة الإسراء الآية ٩ .

(٢) سورة الحج الآية ٧ .

(٣) أخرجه النسائي في كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، برقم (١٣٧٣)، سنن النسائي ج٣ ص١٠٢، وأبو داود في كتاب الوتر، باب في الاستغفار، برقم (١٥٣١)، سنن أبي داود ج١ ص٥٦٧ .

الذَّنَب، فهذا لا يفنى لكي يبدأ منه الخلق يوم البعث. وفيها: الحكم بأن كل أعمال الخلق مدونة ومحفوظة في اللوح المحفوظ. وفيها: أن الكافرين الذين يكذبون بالقرآن هم دائما في قلق واضطراب لفراغ قلوبهم من الإيمان.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ هذا استفهام إنكاري للمكذبين بالبعث، والمراد أليس لهم أعين ينظرون بها إلى السماء التي تظللهم، وكيف صنعناها على غير وجود سابق وكيف زيناها بالأفلاك العظيمة ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: من شقوق. ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي: أليس لهم عقول يفكرون بها كيف وسعنا الأرض وجعلناها آمنة للسكن فيها، ووضعنا فيها الجبال الراسية لتثبيتها ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ أي: أنبتنا فيها من مختلف الأصناف الزوجية التي تسر الناظرين ﴿تَبْصِرَةً

وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ أي: أن في هذا الصنع تبصرة لكل عبد راجع إلى الله بقلبه فيعلم أن الذي صنع هذا الكون بقدرته قادر على إحياء الموتى للحساب والجزاء يوم القيامة.

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ أي: أنزلنا المطر وباركنا فيه ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ أي: أنبتنا به البساتين بكل ما فيها من الثمرات وأنبتنا به البُرَّ لقوتهم ومدخر طعامهم ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ أي: النخيل الطوال ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ أي: متناسق ومتراكم في أوعيته وهي عذوقه أو قنوانه ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ أي: جعلنا في نزول هذا المطر رزقا للعباد في طعامهم وشرابهم ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ المراد الأرض التي كانت خالية من النبات فاهتزت وربت بعد نزول المطر عليها ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ أي: هكذا يكون خروج الأموات ينزل من السماء مطرا فتنبت أجسامهم كما ينبت العشب ويخرجون من قبورهم قياما لرب العالمين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التنديد بالكافرين لعدم إيمانهم بالبعث رغم ما يشاهدونه من قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض وفرش الأرض وإرسائها بالجبال، وإنزال المطر من السماء، وهذا يقتضي من المسلم أن يتفكر في خلق الله وآياته كما قال تعالى ﴿إِنَّ فِي

خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(١). وفيها: الأمر بالإنابة إلى الله وذلك بالعمل في طاعته والبعد عن معاصيه كما قال تعالى ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(٢).

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

ما زالت الآيات تؤكد حقيقة البعث الذي ينكره المشركون فقال عز وجل ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: كذب بالبعث قبل مشركي قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ وهم أول الأمم التي كذبت نبيها نوحا عليه السلام حيث عاش فيهم تسعمائة وخمسين عاما، يدعوهم إلى الله فأصروا على كفرهم فيئس منهم ودعا عليهم فأهلكهم الله بالطوفان كما سبق ذكره ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ المراد بهم الذين أخذوا نبيهم ورَسَوْه أي: دفنوه في بئر كانوا يعبدون حولها الأصنام وقيل: إنها من قرى ثمود قوم صالح قوله ﴿وَثَمُودُ﴾ هم قوم صالح ﴿وَعَادٌ﴾ هم:

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٠ .

(٢) سورة الزمر الآية ٥٤ .

قوم هود ﴿وَفِرۡعَوۡنُ﴾ أي: قومه وهم القبط الذين أرسل الله إليهم موسى ﴿وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ﴾ أي: أصحاب قرية سدوم أهل الفاحشة ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ هم قوم شعيب ﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ﴾ أي: قوم تبَّع الحميري ملك اليمن ﴿كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ أي: أن هذه الأمم كذبت أنبياءها ورسلها وعتت عن أمر ربها ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: وجب عليها الهلاك والعذاب، فمنهم: من هلك بالغرق ومنهم من أخذته الرجفة، ومنهم: من أخذته الصيحة، وفي هذا تهديد ووعيد للمشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ فأنذرهم الله بما سبق لغيرهم من الأمم التي بيَّنها لهم. قوله ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ أي: هل عجزنا عن الخلق الأول الذي خلقناه حتى يكون لدى هؤلاء المنكرين للبعث ريب في عدم قدرتنا على إعادة الخلق والجواب بالنفي؛ لأنهم يرون الخلق ظاهرا في أنفسهم وفي غيرهم فلا يستطيعون إنكاره، وإنما اختلط الأمر عليهم بسبب عدم إيمانهم وضعف عقولهم فأنكروا إعادة الخلق وهو معنى قوله تعالى ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الذين كذبوا رسول الله ﷺ لم يكونوا أول المكذبين برسول يأتي من عند الله، وإنما كان هناك أمم قبلهم

كذبوا رسلهم فأهلكهم الله. وفي ذكر ما حل بهذه الأمم تهديد ووعيد لكل من كذب رسول الله. وفيها: تقرير حقيقة البعث بالدليل العقلي؛ لأن من له عقل يدرك به يقينا أن الذي خلق الخلق ابتداء كان بقدرته وأنه كما يميتهم بقدرته قادر على إعادة بعثهم بقدرته. وفيها: أن الذين يفقدون الإيمان في نفوسهم تضطرب عقولهم فيكونون دائما في شك وريب.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

بيان الآيات:

ما زالت الآيات الكريمة توكد واقعة البعث كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: خلقنا الإنسان من العدم إلى الوجود فصار خلقا سويا، وما خلقناه إلا ونحن نعلم علم اليقين حقيقته وما فيه من الخواطر والهواجس وهو معنى قوله تعالى ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ أي: نحن بعلمنا

وملائكتنا أقرب إليه من عِرْقِ عنقه، لو أردنا أن نأخذه أو نعذبه، وفي هذا دلالة على قدرته عز وجل في تدبيره وتصرفه في خلقه ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: أن أحد الملكين الموكلين به قاعد عن يمينه، والآخر عن شماله، يتلقيان عمله ويكتبانه ليراه في سجله بعد بعثه ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ أي: ما يتكلم الإنسان بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: ملك حاضر يكتب أقواله ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: جاءت غشاوة الموت وسكراته وهو الحق الذي كتبه الله على الخلق لا محالة لهم منه فتقول الملائكة للمكذب بالبعث هذا هو اليوم الذي كنت تفر منه وتهرب ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ أي: نفخ إسرافيل في القرن نفخة الفناء ثم البعث، وذلك هو اليوم الذي وعد الله فيه المؤمنين بالثواب على أعمالهم ووعد فيه الكافرين بالعذاب جزاء كفرهم ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي: يجيئ مع كل نفس ملك يسوقها للحساب وملك يشهد عليها بما عملت، فمن كان غافلا عن أمر ربه ناسيا أو متعمدا يقال له ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ أي: أزلنا عنك حجاب غفلتك ونسيانك لأمر ربك ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: بصرك اليوم نافذ لترى عاقبة عملك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عظمة الله وقدرته وتصرفه في عباده، وأنه أقرب إلى كل واحد منهم من حبل عنقه وهذا القرب قرب علم كما قال تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1] أي: بعلمه وليس بذاته كما يقوله الحلوليون الكفرة. كما أن الملائكة أقرب إلى العبد من حبل عنقه؛ لكونهم يعملون بأمر الله ويكتبون أعمال العباد. وفيها: أن الله يعلم بعلمه المطلق ما توسوس به نفس العبد من الحسن أو السيئ، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: (**إن الله تعالى تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**)[2]. وفيها: تقرير أن لكل عبد ملكين أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله يكتبان كل ما يتلفظ به من قول أو يفعل من فعل كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾[3]. ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[4]. ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[5]. وفي حديث بلال بن الحارث المزني أن رسول الله ﷺ قال: (**إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وأن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب**

---

(١) سورة الحديد من الآية ٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران، برقم (٥٢٦٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٣٠٠ .

(٣) سورة الانفطار الآية ١٠ .

(٤) سورة الانفطار الآية ١١ .

(٥) سورة الانفطار الآية ١٢ .

الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه)[١]. وفيها: تقرير أن للموت غشاوة وسكرات، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: **(لا إله إلا الله إن للموت سكرات)**[٢].

وفيها: أن كل نفس تأتي يوم القيامة ومعها ملك يسوقها للحساب، ومعها ملك يشهد عليها بما عملت فينكشف للكافر غطاؤه، ويرى بعينه جهارا ما كان يكذب به من الحساب والجزاء.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ حينما يجيء الملك الذي يسوق النفس للحساب، والملك الذي يشهد عليها يقول هذا الشاهد ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ أي: حاضر ما كتبت لا زيادة فيه ولا نقص، فعندئذ يحكم

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب في قلة الكلام، برقم (٢٣١٩)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٨٤، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب كفّ اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٦٩)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣١٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، برقم (٦٥١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٣٦٩ .

الله بالعدل فيقول للملكين ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: ألقيا هذا الكافر الذي كان معاندا للحق ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ هذا وصف له أيضا، فبالإضافة إلى معاندته للحق فهو يمنع الخير لخبث نفسه وطويته فلا يبر من يستحق البر، ولا يساعد من يستحق المساعدة بل هو معتد في أقواله وأفعاله لا يرتدع عن الظلم، ولا يتورع عن حقوق الناس ودمائهم وأموالهم وأعراضهم وهو إلى جانب هذا كله يرتاب في كل أمر يدعوه إلى الخير وينهاه عن الشر ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ وهذا وصف آخر لهذا الكافر وهو أشر أوصافه، حيث يجعل مع الله إلَها آخر فينكر بذلك توحيده في ألوهيته ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ وهذا توكيد لما أمر الله به الملكين من إلقائه في نار جهنم.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ المراد به الشيطان وقرينه حين يختصمان أمام الرحمن فيتبرأ القرين من صاحبه ويقول: يارب لم أطغه ولم أضله، ولكنه هو الذي أضل نفسه حين اتبع هواه فيرد الله على ذلك بقوله عز ذكره ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ أي: لا تتخاصموا لدي فقد قدمت لكم بالوعيد أي: أعذرتكم بما أرسلت لكم من الرسل وأنزلت لكم من الكتب، وبينت لكم طريق الخير من الشر ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي:

يقول المولى عز وجل: لقد حكمت بالعدل ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ أي: لست أظلم أحدا فأعاقبه بذنب لم يرتكبه، وإنما أعاقب من ارتكب ذنبا ولم يتب منه رغم ما جاءه من البينات.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان أن الله يأمر الملكين اللذين يأتيان بالكافر للعرض أن يلقياه في العذاب بعد أن ثبت أنه كافر عنيد وأنه مناع للخير، وأنه معتد مريب، وأنه مشرك بالله منكر لتوحيده في ألوهيته. وفيها: أن هذا الكافر وقرينه من الشياطين يختصمان أمام الرحمن فيتبرأ القرين من عمل صاحبه ويتهمه بالضلال، ثم ينهاهما الله عن التخاصم عنده بعد أن بيَّن لهم الآيات والحجج في الدنيا وهذا هو حال الشياطين حين يغوون أتباعهم ثم يتبرؤون منهم كما قال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1]. وفيها: الحكم بعدل الله، ونفي الظلم عنه في أحكامه كما قال تعالى ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٢ .

ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1].

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ لما كان قد سبق في علم الله أنه سيملأ جهنم من الكفرة وشياطينهم كما قال تعالى لإبليس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]. فإنه يسأل جهنم وهو أعلم بما يسألها عنه عما إذا كانت قد امتلأت فتجيب قائلة: هل من مزيد، أي: هل تزيدونني؟ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: قربت في مكان غير بعيد للمتقين الذين آمنوا بالله وآياته، وصدقوا رسوله واتبعوا ما جاء به من عند ربهم ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ أي: هذا ما وعدكم الله به من النعيم المقيم ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ أي: منيبٌ رجاع إلى طاعة الله في كل أمر من أموره وحافظ

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٩ .

(٢) سورة ص الآية ٨٥ .

لحدوده غير مضيع لها ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ هذا وصف للأوَّاب بأنه يخاف الرحمن وهو غائب عنه ولكنه يعرف أنه حفيظ عليه يعلم ما يعلنه وما يخفيه ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: وفد إلى الله بقلب سليم من الآثام والخطايا ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: يقال لهؤلاء المتقين الذين يتصفون بالإنابة وخشية الرحمن: ادخلوا الجنة وأنتم سالمون من العذاب والملائكة تسلم عليكم وتحييكم ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ أي: هذا اليوم الذي تخلدون فيه في الجنة فلا تخرجون منها ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ أي: لهم ما يختارون فيها مما تلذ به نفوسهم ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: وعند الله لهم زيادة وهي لذة النظر إلى وجهه الكريم التي لا يماثلها لذة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن النار تسأل عن المزيد إلى أن يضع رب العزة قدمه عليها فتتوقف عن السؤال. وفي ذلك: روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله عز وجل للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابٌ أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من**

خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا)[(١)]. وفيها: تقرير كرامة المتقين الذين يرجعون دائما إلى ربهم ويحفظون حدوده ويخشونه بالغيب. وفيها: أن أعظم حظ يناله أهل الجنة رضا الله عنهم ونظرهم إلى وجهه الكريم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

لما ذكر الله في أول السورة تعجب المشركين من إنذراهم بالبعث الذي يكذبون به ثم ذكر بعد ذلك واقعة الموت وأهوال يوم القيامة، قال عز وجل إن عذاب هؤلاء المشركين من قريش هَيِّنٌ عليه فقد أهلك أمما قبلهم كانوا أقوى منهم وأشد بأسا كما قال تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ ثم بيَّن أن العذاب لما حاق بهم صاروا يسألون عن ملجا يلجؤون إليه كما قال تعالى ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: هل من مهرب يفرون إليه من الهلاك وأنَّى لهم ذلك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ أي: فيما حدث لتلك الأمم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، برقم (٤٨٥٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٦٠ .

من الهلاك لعبرة وعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: قلب يتعظ ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: سمع ما يقال له من النذارة وقلبه حاضر.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله أهلك أمما كثيرة، بسبب تكذيبها لرسلها، وهذا يقتضي تذكير الناس بهذه الحقائق؛ لكي يعتبروا ويتعظوا ويفيقوا من الغفلة التي يتعرضون لها، بسبب لهو الحياة وغرورها. وفيهما: أن العبد لا ينتفع بالموعظة إلا إذا كان قلبه حاضرا أثناء سماعها وإلا لم ينتفع بما وُعِظ به كحال المنافقين الذين قال الله فيهم ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾[1].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾

(١) سورة محمد الآية ١٦ .

أي: خلقنا السموات في ستة أيام معدودات ابتداء من يوم الأحد وانتهاء بيوم الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أي: ما كان في خلقهما من نصب أو تعب، وفي هذا رد على اليهود الذين قالوا إن الله بدأ خلق السموات والأرض يوم الجمعة واستراح يوم السبت فهم لهذا يجعلون يوم السبت راحة لهم ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اصبر يا نبينا محمداً على المكذبين من المشركين واليهود والمنافقين ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: وكما تصبر على أذى هؤلاء المكذبين استعن على ذلك بالتسبيح ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ والمراد به هنا صلاة الفجر التي تقام قبل طلوع الشمس ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ والمراد هنا صلاة المغرب وصلاة العشاء؛ لكونهما تصليان في الليل، وقوله ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ أي: سبح باسم ربك بعد أداء الصلوات.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عظمة الله وإرادته في خلق السموات والأرض والرد على مزاعم اليهود بأنه استراح يوم السبت كما قال عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. وفيها: وجوب الاستعانة

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٣ .

بالصبر والصلاة عند النوائب كما قال تعالى ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾[١]. وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر صلَّى[٢]. وفيها: تقرير فضل التسبيح في دبر كل صلاة؛ لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدقون، قال ﷺ: **(ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير مَنْ أنتم بين ظهرانيه، إلا من عمل مثله: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين)** فاختلفنا بيننا فقال بعضنا: نسبح ثلاثاً وثلاثين ونحمد ثلاثاً وثلاثين ونكبر أربعاً وثلاثين فرجعت إليه فقال: **(تقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاث وثلاثون)**[٣].

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٥ ص٣٨٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، برقم (٨٤٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص٣٧٨ .

وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: استمع يا محمد يوم ينادي إسرافيل الخلق لفصل القضاء، وذلك من مكان قريب من الناس قيل إنه صخرة بيت المقدس ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ وهي نفخة إسرافيل الثانية للبعث ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ أي: خروج الأموات من قبورهم ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ أي: يقول المولى عز وجل: أنا الذي أبدأ الخلق أول مرة ثم أميته ثم أحييه ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: إلي مرجع جميع الخلائق لحسابهم وجزائهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا إن خيرا فخير وإن شرا فشر ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ﴾ أي: وفي ذلك اليوم ينزل الله مطرا من السماء، فتنبت فيه الأجساد ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، فإذا نفخ خرجت الأرواح بين السماء والأرض فيأمر الله كل روح أن ترجع إلى جسدها فتدب فيه الحياة ثم تنشق الأرض فيقومون مسرعين للحساب ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: أن بعث الخلائق سهل علينا كما قال تعالى

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[١]. ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ هذا تهديد لكفار قريش ووعيد لهم بالعذاب إذا لم يتوبوا، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ بألا يحزن من قولهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: لا تقدر على إجبارهم على الهدى، وإنما أنت مبلغ تذكر بالقرآن المؤمنين الذين يخافون الله ويخشون وعيده كما قال تعالى ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير واقعة البعث والنشور ومناداة إسرافيل للأموات وسماع الصيحة وخروج الأموات من قبورهم مسرعين كما قال تعالى ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[٢]. وفيها: بيان الله لرسوله أنه يعلم ما يقوله المكذبون له وأن عليه الصبر كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[٣]. وفيها: بيان الله لرسوله أنه لا يقدر على هداية من كفر من قومه، وإنما عليه أن يبلغ بالقرآن ويذكر به المؤمنين الصالحين الذين يخشون وعيد الله.

---

(١) سورة لقمان من الآية ٢٨ .

(٢) سورة القمر الآية ٨ .

(٣) سورة الحجر الآية ٩٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الذاريات

مكية وآياتها ستون آية

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ هذا قسم من الله عز وجل بآية من آياته وهي الرياح التي تذرو التراب وغيره وتقسمه أقساما ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ أي: السحب التي تحمل في طياتها المطر حملا ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ المراد بها السفن حين تجري في البحر بسهولة ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ أي: الملائكة تقسم الأرزاق وذلك بأمر ربها ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ أي: أن ما توعدون به أيها الخلق من البعث والحساب والجزاء هو وعد صادق سيقع لا محالة ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ أي: أن الحساب يوم المعاد واقع لا شك فيه.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ هذا قسم بالسماء ذات البهاء والحسن وقيل: إنها طرائق السحاب ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ هذا جواب

القسم، وهو أنكم أيها المكذبون لرسول الله في قول مضطرب فتارة تتهمونه بالكذب، وتارة تتهمونه بالسحر، وتارة تقولون إن القرآن شعر، فأنتم في شك وريب؛ بسبب كفركم ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ أي: يصرف عما جاء به الرسول من الحق من صرفه الله بقضائه بعد أن تبيَّن عناده واستكباره عن الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير قسم الله تعالى على وقوع البعث في أجله المسمى عنده وما يتبع ذلك من الحساب والجزاء. وفيها: تقرير اختلاف المكذبين لرسول الله، فمنهم من يتهمه بالكذب، ومنهم من يتهمه بالسحر، ومنهم من يصف القرآن بالشعر، وما هذا الاختلاف إلا بسبب كفرهم. وفيها: أن الله يصرف عن الحق الذين يستكبرون عنه.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ أي: لعن الذين يقولون الكذب ويتخرصون بالظنون ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ أي: الذين هم في جهالة

غافلون عن الآخرة ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: يتساءلون في سخرية واستهزاء عن قيام الساعة ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي: في ذلك اليوم الذي هم فيه يعذبون ويقال لهم فيه ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: عذابكم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: هذا هو اليوم الذي تستعجلونه استهزاء فأنتم ملاقوه اليوم حقيقة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير لعنة الله للخراصين الذين يكذبون آيات الله ورسالة رسوله، ويستهزئون بيوم القيامة. وفيها: أن هؤلاء يعذبون يوم القيامة؛ بسبب تكذيبهم واستهزائهم ويقال لهم وهم في ذلة وصغار لاقوا العذاب الذي كنتم تستهزئون به.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ لما توعد الله بالعذاب المشركين المكذبين لآياته ورسوله، ذكر حال المتقين وما أعد لهم في الجنة من النعيم ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ﴾ أي: مستمتعين بما أعطاهم ربهم

من الثواب ثم وصفهم الله بقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي: كانوا قبل أن يقدموا إلى ربهم مخلصين في أعمالهم يبتغون رضا ربهم ويرجون ثوابه ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ هذا وصف لقيامهم في الليل، فهم لا ينامون عن ذكر ربهم ولا يغفلون عن عبادته، بل يقومون من الليل فيصلون ويسبحون له ويستغفرونه كما قال تعالى ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ أي: كما هم يصلون، فإنهم لا يبخلون بأموالهم، بل يزكون ما أوجب الله عليهم زكاته ويتصدقون من فضول أموالهم فيعطون من سألهم ويعطون المحروم الذي يتعفف عن سؤالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير جزاء المتقين، وذكر ما يتصفون به من الإحسان وقيام الليل والاستغفار في الأسحار، وبذل المال في سبيل الله، ومساعدة المحتاجين. وفي هذا قال رسول الله ﷺ لما قدم المدينة: **(يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)**[1].

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، برقم (٣٢٥١)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٨٣، والإمام أحمد في المسند ج٢ ص٢٩٥ .

(٢١) وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ (٢٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ أي: فيها من الآيات العظيمة الدالة على قدرته وسلطانه ما جعلها صالحة لسكن الخلق ومقامهم وما أرسى فيها من الجبال وما بث فيها من الحيوان والدواب والطيور وما وضعه فيها من البحار والأنهار والعيون وما فيها من النباتات والأشجار، وكل ذلك لمنفعة خلقه في طعامهم وشرابهم ومقامهم ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ أي: وفي أنفسكم أيها الخلق الدلائل العظيمة المتمثلة في تدرج خلقكم من النطفة الصغيرة إلى استواء خلقكم بما فيه من السمع والبصر والعقل والقوة والمشاعر والحواس، كل ذلك بصنع الله وقدرته، فالعقلاء هم الذين يتبصرون في أنفسهم ويعلمون قدرة الله وعظمته فيخلصون له العبادة.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ المراد به المطر وهو مصدر رزق الخلق في الأرض؛ لأن نزوله من السماء يحيى الأرض، وما يكون فيها من النبات والثمار ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ المراد به ما عند الله في السماء من الجنات للمتقين وما فيها من العذاب للمكذبين ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ هذا قسم من الله بذاته العلية أن ما قاله

عن المتقين والمكذبين وجزاء كل منهم إنه حق لا مراء فيه مثل ما أن الإنسان لا يماري في النطق الذي ينطق به.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن في الأرض آيات بينات للذين ينظرون في الكون ويتفكرون فيه فيعلمون أن خالقه ومبدعه هو المستحق للعبادة، كما أن في أنفس الخلق آيات بينات للذين يتدبرون فيها بعقولهم وبصائرهم، فيعرفون أن هذه الآيات تدل قطعا على قدرة الله وعظمته. وفيها: أن المطر الذي ينزله الله من السماء هو مصدر رزق الخلق في الأرض، حيث يحيي الله به الأرض فتنبت النبات لأرزاق الخلق. وفيها: قسم الله وقسمه حق أن البعث ووعد الله للمتقين بالثواب ووعده للمكذبين بالعذاب حق لا مراء فيه.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ هذه الآيات وما بعدها خلاصة لقصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة حين وفدوا عليه وقد تقدم تفصيلها في سورتي (هود) و(الحجر) والمراد هل أتاك يا محمد ما حدث بين إبراهيم وضيوفه ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ أي: سلموا عليه فرد عليهم السلام ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: أنكر هيئتهم؛ لأنهم كانوا شبانا يكسوهم الجمال والمهابة ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي: تسلل خفية منهم ليقدم لهم ما يقدمه المضيف لضيوفه ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أي: من أفضل ما عنده ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: جعله قريبا منهم خدمة وتلطفا بهم كما يتلطف المضيف بضيوفه، فلما رآهم لا يأكلون استفهم منهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: أحب أن تأكلوا ما قدم إليكم. ولما لم يأكلوا صعب عليه وهو معنى قوله تعالى ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فلما رأوا ذلك على وجهه عليه السلام ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ أي: قالوا له كما في الآية الأخرى ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾[1] ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: بشروه بما سيأتيه من الولد ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ أي: صرخت من المفاجأة كعادة النساء في مثل هذه الحال

---

(١) سورة هود من الآية ٧٠.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: ضربت بيدها على وجهها كما يفعل من فوجئ بأمر ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: كيف ألد غلاما وأنا عجوز أصابها العقم واليأس من الولادة ﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ أي: قال الملائكة لزوجة إبراهيم: هذا هو ما أراده ربك إنه هو الحكيم بما يريد، العليم بما ينفع عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل إبراهيم عليه السلام ومكانته عند الله كما قال عز وجل ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[١]. وفيها: تقرير إرادة الله وقوته وتدبيره في خلقه وحكمته فيهم، فتلد العجوز الولد رغم يأسها منه، ويلد العقيم الولد رغم يأسه، وهكذا لا يعجز الله من الأمر شيء. وفيها: وجوب إكرام الضيف والتلطف به لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**) الحديث[٢].

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ

---

(١) سورة النجم الآية ٣٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم (٦٠١٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٦٠ .

(٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لما عرف إبراهيم أن ضيوفه ملائكة الله سألهم في تلطف عن خبرهم ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ أي: أرسلنا الله إلى قوم كفروا بآيات الله، وتعدوا على حرماته بارتكابهم الفواحش وذلك ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ أي: حجارة من طين مطبوخ ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: معلَّمة من عند الله مكتوب عليها اسم كل واحد من هؤلاء الذين أسرفوا في فعل الفواحش وانتهكوا حرمات الله ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أخرجنا من قرية سدوم لوطا ومن معه من المؤمنين ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهو بيت لوط وابنتيه ومن كان معه من المؤمنين ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ أي: جعلنا هذه القرية بعد هلاك أهلها عبرة وهي تحولها إلى بحيرة سيئة لا تزال تعرف الآن بالبحر الميت أو بحيرة لوط ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي: جعلناها عبرة للذين يخشون الله ويخافون عقابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن سنة الله قد خلت بعقاب المجرمين الذين

يعتدون على حدود الله، وينتهكون حرماته كما قال تعالى ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾[١]. ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٢]. ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٣]. وفيها: أن كل مؤمن مسلم، ولا يتحقق إيمان المسلم إلا إذا تعمقت في نفسه شروط الإيمان، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وفي سياق

---

(١) سورة الأعراف الآية ٩٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٨ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٩٩ .

ذكر آيات الله التي تكون عبرة للمؤمنين، ومنها: إهلاك قوم نوح وعاد وصالح ولوط ذكر الله عز وجل أنه أرسل موسى إلى فرعون ملك القبط بحجج وبينات واضحة هي العصا والجراد والقمل وغير ذلك مما سبق ذكره ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أي: أعرض عن الحق معتمدا على قوته وجنوده ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: قال لموسى: إما أن تكون ساحرا أو مجنونا فيما تقول، ولهذا لن نؤمن لك ولن نصدقك فكان عقابه ما ذكره الله بقوله ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أي: ألقيناهم جميعا في البحر فغرقوا كلهم ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: ذهب وهو ملوم على عناده وإصراره على الكفر وجحود الرسالة.

﴿وَفِى عَادٍ﴾ المراد بهم: قوم هود، فقد أرسله الله إليهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، فكذبوا وعصوا واستكبروا، فأرسل الله عليهم ريحا عاتية فلم يبق لهم باقية كما قال تعالى ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ أي: الريح المهلكة ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ أي: ما مرت عليه من بشر أو شجر أو حجر أو غير ذلك إلا حولته إلى ركام متفتت.

﴿وَفِى ثَمُودَ﴾ المراد بهم: قوم صالح فقد أرسله الله إليهم يدعوهم إلى توحيد الله وطاعته والبراءة من الشرك وذكَّرهم بما أسبغ الله

عليهم من نعمه ومنها: الناقة التي طلبوها، ومع ذلك استكبروا وعقروا الناقة فقيل لهم ﴿تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: أبقوا على ما أنتم عليه حتى يحين الأجل الذي حدده الله لعذابكم بسبب كفركم وهو ما أخبر الله عنه بقوله ﴿فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: استكبروا عنه ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: أخذتهم صاعقة العذاب وهم ينظرونه يحيق بهم من كل جانب ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ﴾ أي: لم يستطيعوا الوقوف على أقدامهم بل هلكوا وهم قعود ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ أي: لم يقدروا أن ينتصروا لأنفسهم بشيء.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ أي: أهلكنا قبل هؤلاء الذين ذكرناهم قوم نوح بسبب فسوقهم وتكذيبهم لنبيهم رغم دعوته لهم دهرا طويلا فأصروا على كفرهم فأغرقهم الله بالطوفان فلم يبق منهم إلا نوح وقلة من المؤمنين معه.

أحكام ومسائل الآيات:

في الآيات السابقة: بيان من الله عن الأمم التي هلكت بسبب تكذيبها لرسلها، وهم فرعون وجنده، وعاد قوم هود، وثمود قوم صالح وقوم نوح، وما كان الله ليهلكهم إلا بعد أن جاءتهم رسلهم بالبراهين والبينات، فأصروا على كفرهم، وفي هلاك هذه الأمم عبرة لغيرهم ودليل على أن الكفر والمعاصي لا تعمر الأرض بل

تدمرها ومن فيها حتى لو تمتعت إلى حين ومن هنا سوف يدرك الذين يفسدون في الأرض ويستعلون على الضعفاء ويستعمرونهم وينتهكون حرماتهم أنهم لن يسلموا من عذاب الله وفيما حدث للأمم السابقة عبرة لأولي الألباب.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ هذا بيان من الله أنه بنى السماء بما فيها من الأفلاك، وذلك بحكم قدرته العظيمة وإرادته المطلقة وقد وسع أرجاءها ورفعها بغير عمد ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ أي: جعلناها فراشا سهلا ويسيرا لسائر مخلوقات الله على الأرض، فنعم المسهِّلون الميسرون للقرار فيها ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: جعلنا جميع المخلوقات في عمومها من الإنس والجن والحيوانات والطيور وغيرها من الكائنات زوجين ذكرا وأنثى ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتفكرون وتعلمون أن الذي خلق هذا الكون في علوه وسفله هو الله الواحد الأحد الذي لا رب غيره ولا إلَه سواه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عظمة الله وقدرته المطلقة في صنع السماء والأرض وإبداعهما كما قال تعالى ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. وفيها: تقرير عظمة الله في جعل المخلوقات زوجية كما قال عز وجل ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]. وهذا هو الأمر الذي بينه الله منذ أنزل القرآن على رسوله قبل معرفة العلم الحديث ظاهرة الزوجية في الكون في الذرة وغيرها، فما من شيء في هذا الوجود إلا زوجي؛ لأن قوله ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يدل على صفة العموم والإطلاق.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هذا أمر من رسول الله لأمته أن يفروا إلى الله، وذلك بالعمل في طاعته واجتناب معاصيه؛ لأنه لا مفر منه إلا إليه، ولا ملجأ منه إلا إليه ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: إني نذير لكم

---

(١) سورة غافر الآية ٥٧ .

(٢) سورة يس الآية ٣٦ .

من عذاب الله، فقد جئتكم بالبينات والبراهين القاطعة بأنه هو ربكم وإلهكم ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ أي: لا تعبدوا معه غيره من ملك أو نبي أو ولي أو صنم بل اعبدوه وحده ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ توكيد لنذارته عليه الصلاة والسلام لأمته.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب اللجوء إلى الله في السراء والضراء، فلا مفر منه إلا إليه ولا ملجأ إلا إليه، والفرار إلى الله يقتضي تحقيق طاعته واجتناب معاصيه. وفيهما تحريم الشرك بالله؛ لأنه تعهد ألا يغفر لمن أشرك به كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[1].

﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ مما أصابه من تكذيب قومه له والمراد

(١) سورة النساء من الآية ١١٦ .

أنه كما كذبك هؤلاء فإنه ما أتى الأمم قبلهم من رسول إلا اتهموه بالسحر أو الجنون ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي: أأوصى بعضهم بعضا بهذا الكذب؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: هم قوم طغاة كذبوا بالحق لما جاءهم ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: لما كان قومك بهذه الصفة من الطغيان فأعرض عنهم فلا تلتفت إلى ما يقولون من الكذب والبهتان، فلن نلومك بشيء لأنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت لهم فلم يستجيبوا، ومع ذلك فإن توليك عنهم لا يعني الإعراض عنهم نهائيا، بل ذكِّرهم وعظهم ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تنفع الذين كتب لهم الإيمان فهم في حاجة إلى تذكيرك لهم بالقرآن.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير التماثل بين الأمم السابقة في تكذيبها لرسلها وإتهامهم بالسحر أو الجنون. وفيها: أن طغيان الإنسان وهواه مصدر شقاوته وتعاسته كما كان حال فرعون وقارون وهامان وغيرهم من الطغاة على مر التاريخ، وما سببه هؤلاء الطغاة لأممهم من الكوارث والهلاك كما هو الحال كذلك للطغاة في كل زمان ومكان. وفيها: وجوب تذكير الناس بأوامر الله ونواهيه، فكما أن هذا واجب الأنبياء والرسل نحو أممهم، فإن هذا الواجب

يترتب على العلماء والدعاة، ومن في حكمهم؛ ذلك أن النفس البشرية في غمرة لهوها تحتاج إلى تذكيرها بما أوجب الله عليها من طاعته واجتناب معاصيه.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ في هذه الآية العظيمة يبيِّن الله أنه ما خلق الخلق من الجن والإنس للعبث واللهو فحاشاه ذلك بل خلقهم لعبادته وطاعته وحده لا شريك له، وهذه العبادة هي لمنافعهم لأن الله غني عنهم، وليس بحاجة إليهم؛ لأنه الذي خلقهم ورزقهم كما قال تعالى ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ أي: هو الرازق خلقه بقوته المطلقة التي لا يصفها وصف ولا يحدها حدود.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله خلق الخلق من الجن والإنس لعبادته وحده فإذا أنكر الخلق هذه العبادة، فقد نفوا حكمة الله في خلقهم، وعند ذلك يكونون قد استحقوا عقابه؛ لأن العقل يقتضي أن المأمور إذا عصى الآمر بنفي أمره فقد استحق غضبه الموجب لعقابه، وإلا لم يكن للأمر

معنى وحاشا أن يكون أمر الله غير ذي معنى؛ فما من أمر منه أو من رسوله إلا له معنى يقتضي طاعته. ومن أحكام الآيات: أن فائدة العبادة هي للخلق أنفسهم؛ لأن الله غني عنهم فلا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ أي: إن للذين ظلموا من قومك نصيبا من العذاب مثل نصيب من سبقهم من الأمم المكذبة لرسلها ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي: لا يستعجلوا العذاب فإنه آتٍ لا محالة ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: ويل -وهو واد في جهنم- للذين كفروا بالبعث وبما جاءهم من البينات ﴿مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي: ويل لهم من العذاب الذي وعدهم الله به يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: التهديد والوعيد للمكذبين لرسول الله، وأنه سوف يصيبهم من العذاب مثل ما أصاب من سبقهم من الأمم إذا لم يتوبوا إلى الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الطور

مكية وآياتها تسع وأربعون آية

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾.

بيان الآيات:

لقد جرت حكمة الله أن يقسم بأحد مخلوقاته أو آياته؛ لتوكيد الأمر المقسَم عليه في أذهانهم ومعارفهم كالقَسَم بالسماء، أو بالليل، أو بالبحر؛ لأنها إما مخلوقات أو آيات مشاهدة ومحسوسة، ولهذا أقسم بالجبل والكتاب والبحر وغيرهم قوله ﴿وَالطُّورِ﴾ المراد به الجبل الذي فيه شجر، ومنه: الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ المراد به اللوح المحفوظ أو الكتب السماوية ومنها القرآن ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ أي: في جلد أو ورق ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ وهو البيت الواقع في السماء الذي تصلي فيه الملائكة ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ المراد به السماء ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ البحر المعروف؛ أما كونه مسجورا فهو لأنه يوقد يوم القيامة نارا.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ أي: إن عذاب ربك يا محمد واقع بالكافرين لا محالة، وليس لهم ملجأ أو مفر منه ﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ أي: لا أحد يستطيع دفعه عنهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن لله أن يقسم بمن يشاء من خلقه أو آياته ليقرب المقسَم عليه في أذهانهم؛ أما الخلق فيحرم عليهم أن يقسموا بغير الله كما يقسم بعض العامة بالنبيِّ أو جاهه أو بولي أو نحوه؛ لأن القسم بالنسبة للمخلوق عبادة والعبادة لا تجوز إلا لله.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦)﴾.

بيان الآيات:

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ أي: تتحرك ويموج بعضها في بعض ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي: تزول فتصير هباء ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: عذاب شديد لهم في ذلك اليوم يوم القيامة ثم

وصفهم الله بأنهم كانوا في الدنيا يخوضون في الباطل ويدفعون الحق ويكذبون رسولهم ويستهزئون بما جاءهم به من البينات كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ وقوله ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ أي: تدفعهم الزبانية إلى النار بعنف وغلظة ويقال لهم في توبيخ وإهانة وذل ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ قوله ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ أي: يقال لهم أيضا في توبيخ: أهذا الذي ترونه سحر كما كنتم تقولون في الدنيا ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا ترونه أو المراد بل أنتم لم تبصروا في الدنيا بعقولكم، بل اتبعتم أهواءكم ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ أي: ادخلوا نار جهنم، وذوقوا حرها وسواء عليكم أصبرتم على عذابها أم لم تصبروا فأنتم فيها ولا مخرج لكم منها ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يقال لهم إن ما تلاقونه اليوم من العذاب هو جزاء كفركم بالله وآياته ورسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أحوال البعث وأهوال يوم القيامة وما يلاقيه الكافرون من التوبيخ والإهانة والعذاب؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم بالبعث كما قال تعالى ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1]. وفيها: الحكم بأن الجزاء من جنس العمل

(١) سورة التغابن الآية ٧.

كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾[1].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ بعد أن بيَّن الله حال المكذبين وأن مآلهم إلى العذاب، بيَّن حال المتقين، وأن مآلهم الجنات بكل نعيمها المقيم ﴿فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: يتفكهون بما أنعم الله عليهم في الجنة فيما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: نجاهم وحفظهم من عذاب جهنم ثم يقال لهم في سلام ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: تمتعوا بما أنتم فيه جزاء أعمالكم الصالحة في الدنيا ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ أي: يجلسون على سرر منسق بعضها مع بعض بحيث تكون متقابلة وجوههم ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: قرنَّاهم بنساء بيض حسان العيون.

---

(١) سورة يونس من الآية ٢٧ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير ما للمتقين عند الله من النعيم المقيم وما يلقونه من السرور والهناء ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ المراد بهم الذين بلغوا مرحلة الكمال في الإيمان ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ إلا أنهم لم يكونوا في درجة إيمان آبائهم فيلحق الله الذرية بالآباء كما قال تعالى ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ وقيل: قد يكون الأبناء أرفع درجة من الآباء، فيُلحق الله الآباء بهم؛ لأنهم يدخلون في معنى الذرية كما قال تعالى ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ

﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[1]. والمراد أن الله عزوجل يقر عيون الآباء بذريتهم؛ لكي تكتمل فرحتهم في الجنة ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ما نقصنا عمل أيٍّ منهم، فلم ينقص عمل الآباء لمَّا ألحق بهم أبناؤهم الصغار، ولم ينقص عمل الأبناء لما أُلْحِقَ بهم الآباء ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: أن كل امرئ مرتهن بعمله فيجازى عليه يوم القيامة جزاء من جنسه إلا أن الله يمن برحمته وفضله على الآباء فيلحق أبناءهم بهم كما يتفضل على الأبناء فيلحق آباءهم بهم.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ المراد بهم الآباء والأبناء ﴿بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ هذا بالنسبة لطعامهم، أما بالنسبة لشرابهم فهو قوله تعالى ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: يشربون في الجنة خمرا ليست كخمر الدنيا، فليس فيها كلام فاحش ولا عمل إثم ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ أي: يطوف عليهم خدمهم ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ أي: كأنهم في حسنهم وجمالهم مثل: اللؤلؤ المستور ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: يتحدث بعضهم إلى بعض عن أحوالهم التي كانوا عليها في الدنيا ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: إنهم في حديثهم عن أحوالهم في الدنيا يقولون: إنا كنا خائفين من عذاب الله ولكن الله قد مَنَّ علينا برحمته وفضله ووقانا

(١) سورة يس الآية ٤١ .

من عذاب النار لقوله تعالى إخبارا عنهم ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: يقولون ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي: كنا في الدنيا ندعوه ونستجير به من عذاب النار ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: المتلطف بعباده المؤمنين، الرحيم بهم من عذابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل الله وامتنانه على المؤمنين بأنه يلحق ذرياتهم بهم كرامة لهم وجزاء لهم على إيمانهم وفي الأثر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ قول الله تعالى ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ الآية[1].

وفيها: الحكم بأن كل إنسان مرتهن بعمله يوم القيامة، ولكن الله يتفضل على عباده المؤمنين فيلحق ذريتهم بهم، ولو لم يكونوا على درجتهم في أعمالهم. وفيها: أن على المرء أن يخشى الله ويشفق في الدنيا خوفا من عذاب الله ونقمته. وفيها: وجوب دعاء المسلم ربه كما أمره بذلك في قوله عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٣ ص٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٤٣.

(٢) سورة غافر الآية ٦٠ .

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

بيان الآيات:

لما بيَّن الله عز وجل أحوال المكذبين لما جاء به رسوله ومالهم من العذاب، والمصدقين به ومالهم من الثواب، أمر رسوله أن يبلغ الرسالة التي أمره بتبليغها إلى خلقه مكذبا ما اتهمه به قومه من الكهانة والجنون فقال ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ أي: لست بكاهن كما يقول كفرة قريش، ولست بمجنون كما يقولون كذبا وبهتانا ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أي: يقول كفار قريش إن محمدا شاعر ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ قيل إنهم -كما سبق ذكره- لما اجتمعوا في دار الندوة للتشاور في أمر رسول الله ﷺ قال قائل من بني عبد الدار الذين يصفونه بأنه شاعر: احتبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من سبقه من الشعراء مثل النابغة وزهير، وإن أباه مات شابا، فربما يموت كما مات أبوه[1]. فأنزل الله هذه الآية ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أي:

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص٣١ .

قل لهم يامحمد: انتظروا فإني معكم من المتربصين أي: من المنتظرين أن يأتيكم العذاب، وقد صدق الله وعده فأحاط بهم العذاب يوم بدر ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ أي: عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ الكذب ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: بل هم قوم كفروا بالله وطغوا وعتوا ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ أي: يقولون اختلقه من نفسه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: هم قوم ضالون معاندون لله ورسوله ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ أي: ليأتوا بكتاب مثل ما جاء به محمد ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه افتراه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب تذكير عباد الله ووعظهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، وهذا واجب العلماء والدعاة؛ لكونهم ورثوا مهمة رسول الله في التذكير والدعوة والوعظ. وفيها: تحريم الكهانة التي تتم عن طريق الرِّئي من الجن حين يأتي أصحابه بالكذب عن خبر السماء. وفيها: تحريم الطغيان؛ لأنه من أوامر الشيطان وضلاله، وفي هذا قال تعالى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[1]. وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2]. وفيها: تحريم الكذب على الله أو على رسوله وفي هذا قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٦ .

(٢) سورة النحل من الآية ٣٦ .

عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[١]. ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢].

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) ﴾.

بيان الآيات:

بعد أن بيَّن الله كذب المشركين فيما قالوه عن رسول الله ﷺ بدأ في توبيخهم فقال عز وجل ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ﴾ أي: هل خلقوا من غير أن يخلقهم خالق ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ أم هم الذين خلقوا أنفسهم والجواب أنه لا هذا ولا هذا، بل إن خالقهم هو الله الذي لا خالق غيره ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ ﴾ أي: هل هم الذين خلقوا السموات والأرض، والجواب بالنفي؛ لأنه لا خالق إلا الله ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ لأنهم جهلة وضلال أغواهم الشيطان عن اليقين

(١) سورة النحل من الآية ١١٦ .
(٢) سورة النحل الآية ١١٧ .

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ ﴾ أي: هل عند هؤلاء المشركين خزائن الله ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ الغالبون على الكون، فهؤلاء أبعد ما يكونون عن ذلك؛ لأن الله هو المالك والمتصرف وحده، وعنده خزائن السموات والأرض ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ أي: هل لهم مرقى إلى السماء يصعدون فيه ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: أن كان ذلك لهم فليأت من استمع منهم بحجة تبيِّن صدقه ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ أي: هل لله تعالى البنات ولهم البنون؟ وهذا رد على كذبهم وفجورهم حين جعلوا الملائكة بنات الله ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا ﴾ أي: أتسألهم أجراً عن تبليغك لهم الرسالة ؟ ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ أي: ستراهم يتبرمون ومثقلين من أضعف شيء يطلب منهم، مع أنك يا نبينا محمداً لن تطلب منهم أجرا ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ أي: ليس لهم ذلك، فهم أضعف وأقل وأصغر من أن يعلموا الغيب؛ لأنه لا يعلمه إلا الله ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ﴾ أي: أيريدون كيدا لك ولرسالتك ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾ أي: بل هم المكيدون وسيرجع كيدهم إليهم ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ أي: ألهم إلَه غير الله حاشا وكلا، فلا إلَه إلا هو، وفي هذا تهديد ووعيد لهم في عبادتهم للأصنام ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: تنزَّه وتقدَّس عما يشرك به المشركون من الأصنام والأوثان.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله عز وجل هو الخالق لا خالق غيره ولا رب سواه، وفي حديث جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالطور فلما بلغ قوله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ وما بعدها كاد قلبي أن يطير وكان جبير مشركاً وقدم على النبي ﷺ في وفد من أسارى بدر فكان سماعه لهذه الآية سببا في دخوله الإسلام[1]. وفيها: بيان عجز المشركين وضعفهم، فلا هم ولا غيرهم يستطيع مضاهاة خلق الله وقدرته كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[2]. وفيها: تقرير سفاهة المشركين وجهلهم في وصف الملائكة بأنهم بنات الله. وفيها: أن كيد الكافرين يرتد إليهم، وهذا ما حصل للمشركين يوم بدر حين قتلوا شر قتلة، وهو حكم عام لكل زمان ومكان.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج١ ص٢٣٥ .

(٢) سورة الحج من الآية ٧٣ .

وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرۡكُومٌ﴾ هذا تعريض بالمشركين واستهجان لعنادهم وكفرهم وجهلهم والمراد أن هؤلاء لو رأوا قطعة تنزل من السماء لعذابهم فسيقولون: هذا سحاب مركوم سوف ينزل علينا منه المطر ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ﴾ أي: دعهم يا نبينا محمداً في غيهم وعنادهم إلى أن يلاقوا موتهم ثم يحاسبون على كفرهم ويجزون عليه. ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ أي: في ذلك اليوم الذي يصعقون فيه لن يغني عنهم مكرهم ولا كيدهم ولا عنادهم من شيء ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ أي: في ذلك اليوم لن يجدوا أحدا ينصرهم أو يواليهم ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: أن للمشركين الظالمين عذابا غير عذاب الآخرة هو عذاب الدنيا، وذلك أن الله ابتلاهم بالسنين العجاف ثم بالقتل في المعارك التي حدثت معهم وفي مقدمتها معركة بدر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: لم يكونوا يعلمون ما كان سيحدث لهم من القتل والهلاك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفاهة المشركين وجهلهم وعنادهم عن اتباع الحق الذي جاء به رسول الله إليهم. وفيها الحكم بأن الظلمة

في أي: زمان ومكان إذا لم يتوبوا يلاقون عذابا في الدنيا بما يصيبهم من الكوارث والأوبئة والأمراض ونقص الثمرات كما قال عز وجل ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾[1].

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اصبر يا محمد على أذى المشركين وعنادهم واستمر في دعوتهم إلى الله ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: في رعايتنا وحفظنا نسمع ما تقول، ونسمع ما يقولون ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قيل: في هذا آثار كثيرة، ولعل أولاها أن يقول العبد عند القيام للصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إلَه غيرك ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ أي: سبحه في صلاة الليل وعند إدبار النجوم أي: بعد طلوع الفجر.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الصبر على أوامر الله بالقيام بها، والصبر على تجنب نواهيه. وأمر الله لعباده بالصبر على أذى المشركين فيه فائدتان:

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

أولهما: احتمال توبتهم ورجوعهم إلى الله؛ لأنه عز وجل يفرح بتوبة عباده حتى لا يعذبهم. الثانية: زيادة أجر رسول الله ﷺ وكل داعية إلى الله على ما يصيبهم من الأذى في سبيل الدعوة إلى الله. وفيهما: فضل التسبيح عند قيام المرء من نومه، لما رواه عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: (**من تَعارَّ من الليل فقال: لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إلَه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب فإن توضَّأ قبلت صلاته**)[١].

وفيهما أيضا فضل التسبيح عند قيام المرء من مجلسه؛ لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إلَه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**)[٢]. وفيهما: فضل التسبيح في الصلاة عند طلوع الفجر والمراد بها: الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل، برقم (١١٥٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٤٧ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس برقم (٣٤٣٣)، سنن الترمذي ج٥ ص٤٦٠، والإمام أحمد في مسنده ج٢ ص٤٩٤ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماها تطوعاً، برقم (١١٦٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٥٥ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النجم

مكية وآياتها ثنتان وستون آية

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ هذا قسم من الله تعالى بالنجم إذا غاب بعد طلوعه، وقيل المراد الثُّريا إذا سقطت مع الفجر ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا جواب القسم، وهو أن محمدا -يا قريش- ما ضل في حياته وما غوى، فأنتم تعرفونه منذ صغره، وهو يتمتع بالصدق والنزاهة والأمانة كما تعرفون أنه لم يرتكب غواية ولا فسقا ولا جهلا في حياته ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: لم يكن نطقه بالقرآن ولا بما يعظكم ويذكركم به صادراً عن هوى أو غرض في نفسه أو لمصلحته ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أي: أن ما ينطق به ما هو إلا وحي أوحاه الله إليه به علَّمه إياه ملك ذو قوة شديد والمراد به: جبريل

عليه السلام الذي أمره الله أن ينزل بالوحي على رسوله محمد ﷺ وهو ذو مرة أي: سليم وقوي وذو خلق كما قال تعالى ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: استقر في الأفق الأعلى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ أي: تدلى جبريل في نزوله من الأفق فكان ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي: قدر قوسين من محمد أو أدنى منهما والقوس آلة للرمى معروفة ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ أي: أوحى الله إلى رسوله محمد بواسطة جبريل ما أوحاه إليه من النبوة والرسالة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قسم الله عز وجل بالنجم إذا هوى. وفيها: تقرير أمانة رسول الله محمد ﷺ وبعده عن الهوى. وفيها: الحكم بأن ما يقوله عليه الصلاة والسلام وحي يوحيه الله إليه. وفيها: إثبات رؤيته لجبريل عليه السلام.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصره وهو جبريل عليه السلام حين نزل عليه بالوحي من عند الله. وقيل: المراد ما رآه رسول الله عليه الصلاة والسلام ليلة أسري به من الآيات الكونية العظيمة، ولعل الأصح هو القول الأول أنه رآه مرتين في هيئته الأصلية الأولى لما كان في الأفق الأعلى والثانية في السماء السابعة بدليل ما سيأتي من قوله تعالى ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أي: تكذبونه وتجادلونه فيما رآه ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: رآه -كما ذكر- في السماء السابعة حين عرج به إلى السماء ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ وهذه شجرة عظيمة في السماء السابعة ينتهي إليها ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها وقيل المراد ينتهي علم الأنبياء أو علم الخلائق إليها ويعزب علمهم عما وراءها[1] ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ أي: عند هذه السدرة جنة المأوى التي يتطلع لها المتقون والشهداء والصالحون ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ أي: يغشاها نور الله وضياؤه فتكون نورا على نور ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما مال بصر رسول الله يمينا ولا شمالا حين عرج به إلى السماء، ولم يتجاوز الحد بل رأى

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص٥٢-٥٣، والجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٩٤-٩٥.

ما أُمِر أن يراه وهذا من حسن أدبه عليه الصلاة والسلام ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ أي: رأى جبريل على صورته الطبيعية التي له فيها ستمائة جناح ورأى في ذلك المقام العظيم عجائب قدرة ربه وعظيم آياته في ملكوت لا يوصف بوصف أو يحدد بعلم إذ لا يعلمه إلا الله المتعالي في ملكه وسلطانه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير رؤية رسول الله ﷺ لجبريل في هيئته الطبيعية وهي ستمائة جناح مرتين الأولى حين نزل عليه بالوحي كما ذكر، والثانية حين رآه في السماء السابعة. وفيها: أن سدرة المنتهى شجرة عظيمة ينتهي عندها علوم الخلائق. وفيها: الحكم بوقوع حادثة الإسراء حين عرج برسول الله ﷺ إلى السماء فرأى فيها آيات الله العظيمة كما قال عز وجل ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ

(١) سورة الإسراء الآية ١ .

وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾[1]،[2]. ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[3] لما نزه الله رسوله محمداً ﷺ عن كذب المشركين وبيَّن أن ما كان يقوله إنما هو وحي يوحيه إليه خاطب المشركين موبخا لهم على صنيعهم وعبادتهم للأصنام. والمراد هل أوحت لكم هذه الآلهة التي تعبدونها شيئا كما يوحى إلى محمد ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ أي: أترضون لأنفسكم الذكور لأنكم تحبونهم، وتجعلون الإناث لله لأنكم تكرهونهن (تعالى الله عما يقول ويفعل الظالمون علوا كبيرا).

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: قسمة جائرة وظالمة لو كانت بين مخلوق وآخر، فكيف إذا كانت مع ربكم الذي خلقكم من العدم

---

(١) اللات صنم كان لثقيف في الطائف وكانوا يفخرون بها وقد اشتقوا اسمها (اللات) من الله وقيل ان اسمها مشتق من اسم رجل منهم كان يلت السوق للحجاج فلما مات عبدوه. الجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٩٩، برقم (١٠٢)، ومعجم معالم الحجاز لعاتق البلادي ج٦ ص٩٠-٩٣.

(٢) العُزَّى كانت صنما في نخلة بين مكة والطائف وكانت قريش تعظمها. الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٠٠، برقم (١٠٢)، ومعجم معالم الحجاز لعاتق البلادي ج٦ ص٩٠-٩٤.

(٣) مناة كانت في المشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص٥٨-٥٩.

ورزقكم وأنعم عليكم بنعمه الظاهرة والباطنة؟ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: أنكم سميتم أنتم وآباؤكم هذه الأصنام بأسماء من عندكم فعبدتموها ولم يكن لكم في ذلك حجة ولا برهان من كتاب ولا من رسول، وإنما أنتم بعبادتكم لهذه الأصنام، إنما تتبعون الظن الذي لا حقيقة له كما تتبعون هوى أنفسكم ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي: جاء كتاب الله ورسوله مبينا لهم طريق الهدى من الضلال والحق من الباطل فاتبعوا الباطل فعبدوا الأصنام ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ هذا استفهام إنكاري والمعنى ليس كل ما يتمناه الإنسان يدركه ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي: أن الأمر كله لله فهو الذي يتصرف في خلقه بحكمته ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ أي: كم من الملائكة المقربين من الله لا تغني شفاعتهم لأحد إلا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة، فلما كان هذا حال الملائكة فكيف تعتقدون أن هذه الأصنام الصماء من الأخشاب والحجارة تشفع لكم عند الله فما يفعل ذلك إلا الحمقى والجهلة كما أنتم.

أحكام ومسائل الآيات:

التنديد بالمشركين الذين يعبدون الأصنام مما يدل على حماقتهم

وجهلهم؛ لأنهم يعرفون أن هذه الأصنام أحجار وأخشاب صماء. وفيها: أن المشركين عبدوا هذه الأصنام تقليدا لآبائهم دون أن يكون لهم دليل نقلي أو عقلي، بل كانت عبادتهم لها مجرد هوى وظن بأنها سوف تشفع لهم عند الله، مع أن الله قد بيَّن لهم في كتابه وعلى لسان رسوله أنه لا معبود بحق إلا هو، وأن عبادة غيره محرمة وتؤول بصاحبها إلى العذاب السرمدي. وفيها: أن الإنسان لا يحصل على كل ما يتمناه كما قال تعالى ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾(١). وفيها: أن الدنيا والآخرة ملك لله تعالى، فمن طلبهما من دون مالكهما فقد خسر خسرانا مبينا. وفيها: أن أحدا لا ملك مقرب ولا نبي مرسل يستطيع أن يشفع لأحد إلا بعد رضا الله كما قال عز وجل ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(٢). وقوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾(٣).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٣ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٣) سورة الأنبياء من الآية ٢٨ .

ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

ما زال السياق في ذكر طغيان المشركين وضلالهم فقال عز ذكره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني المنكرين للبعث المكذبين به ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ أي: جعلوا الملائكة بنات الله -تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا- وما كان صنيعهم هذا إلا لأنهم أنكروا البعث، فلو آمنوا به لعلموا أنهم سوف يحاسبون على أفعالهم ويجزون عليها وقد توعدهم الله بقوله ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾[1]. ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ﴾ أي: ليس لهم حجة ولا برهان بل هو كفر وطغيان ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي: ليس لهم في زعمهم وضلالهم وقولهم الباطل من حجة إلا الظن وهو أكذب الحديث ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: أعرض عن الذي جاءه الحق وكفر به متبعا لهواه ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لم يكن همه إلا الدنيا والسعي فيها وحبها بعد أن ضل في تفكيره فأنكر الآخرة ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم

(١) سورة الزخرف الآية ١٩ .

مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ ﴾ أي: إن رغبتهم ومسعاهم وغاية حبهم هو طلب الدنيا والتمتع فيها ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ أي: أن ربك يا محمد هو العليم بأحوال خلقه، ومن يضل منهم عن الحق ومن يهتدي منهم إليه، فكل ذلك في علمه وسوف يحاسب كلا بما عمل من خير أو شر .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من لا يؤمن باليوم الآخر، وما أعده الله فيه للمتقين الأبرار سوف يرتكب كل أنواع الضلال والفساد كما كان المشركون يسمون الملائكة بنات الله -تعالى الله عن قولهم-. وفيها: أن من الجهل وفساد العقول القول بالظن والبعد عن الأدلة والبراهين الشرعية. وفيها: التنديد والوعيد لمن يعرض عن كتاب الله ويجعل الدنيا هدفه ومبتغاه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى (٣١) ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ (٣٢)﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمته وعدله ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ أي: يجزيهم من جنس عملهم؛ لأنهم أساؤوا إلى أنفسهم وظلموها ﴿وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ وهذا غاية العدل، فمن عمل خيرا فجزاؤه مثل عمله ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ هذا بيان للمحسنين بأنهم اجتنبوا الكبائر المحرمة وزكوا أنفسهم وطهروها بالإيمان والخشية من الله فلم يشركوا ولم يقتلوا ولم يزنوا ولم يقطعوا رحما ولم يفسدوا في الأرض ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ المراد بها: صغائر الذنوب؛ ذلك أن الله واسع المغفرة يتجاوز عن ذنوب عباده إذا عرف توبتهم وصلاحهم كما قال عز وجل ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ قوله ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: هو عليم بكم وبأفعالكم منذ أن خلق أباكم آدم من الطين ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾ هو أعلم بكم من أنفسكم منذ أن كنتم نطفا ومضغا في أرحام أمهاتكم لا تعرفون ولا تعلمون شيئا ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي: لا تمتدحوها وتطهروها ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ أي: هو أعلم بمن كان تقيا مخلصا في عبادته مؤتمرا بما أمره الله به ومنتهيا عما نهاه عنه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن لله ما في السموات والأرض، وما بينهما، وأنه المتصرف والمدبر فيهما بإرادته وحكمته وعدله كما قال تعالى ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[١]. وفيهما تقرير قاعدة أن الجزاء يكون من جنس العمل كما قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٢]. وقوله جل وعلا في الحديث القدسي: (**إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**)[٣]. وفيها: أن الله يتجاوز عن اللمم وهو صغائر ذنوب عباده إذا اجتنبوا كبائرها، وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه**)[٤].

وقيل إن المراد باللمم هو التوبة بعد ارتكاب الفاحشة بدليل قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٣ .

(٢) سورة المدثر الآية ٣٨ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، برقم (٢٦٥٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٧١٤ .

ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾[١] إلى قوله ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾الآية[٢]. ومنها: تحريم تزكية النفس؛ لأن الله هو العالم بالنفس وخفاياها فلا يزكيها إلا هو كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[٣]. وفي حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال إن رجلا ذكر عند النبي فأثنى عليه رجل خيراً فقال عليه الصلاة والسلام: (**ويحك قطعت عنق صاحبك - يقوله مرارا- إن كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك والله حسيبه ولا يزكى على الله أحدا**)[٤].

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٣٥ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٣٦ .

(٣) سورة النساء الآية ٤٩ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يكره من التمادح، برقم (٦٠٦١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٩١ .

اتبع رسول الله ﷺ فسخر منه بعض المشركين وقالوا: لم تركت دين آبائك وضللتهم وزعمت أنهم في النار؟ فقال: إني خشيت عذاب الله فضمن له أحد شياطين المشركين أن يتحمل عنه العذاب إذا أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه فأعطاه ما طلبه ثم منعه إياه فأنزل الله فيه هذه الآية[1] والمراد أنه تولى وأعرض عن الحق بعد أن كاد أن يسلم ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ أي: أعطى قليلا من المال للذي عرض عليه لتحمل العذاب عنه وأكدى أي: قطع عطيته بخلا وشحا ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: أكان يعرف علم الغيب بأن أحدا سوف يتحمل عذاب غيره يوم القيامة، وهذا سؤال إنكاري؛ لأنه لا أحد يتحمل إلا وزره، وما كان قبول الوليد بن المغيرة بما عرضه عليه المشرك إلا دليلا على عمق الجهل المترسب في عقول المشركين ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ أي: ألم يعرف هذا الجاهلي المشرك ما ورد في صحف موسى وهي التوراة ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ أي: ألم يعلم كذلك هذا الجاهلي المشرك ما قام به إبراهيم تجاه ربه وطاعته واستسلامه لأمره وأن ما ورد في صحفه وصحف موسى هو ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى وإنما توفى كل نفس ما كسبت ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ أي: ليس لأي إنسان إلا عمله

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٣٠، وتفسير البغوي ص١٢٤٨ .

الصالح الذي سعى إليه وبذل فيه جهده سواء علما علمه أو صدقة تصدق بها، أو ولدا صالحا خلفه فدعا له ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أي: أن سعيه الذي سعاه في الدنيا سوف يرى يوم القيامة ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ أي: سوف يجزى على عمله حسبما هو إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن كل نفس تجزى بما كسبت، وهذا يقتضي أن أحدا لا يتحمل ذنب أحد كما قال تعالى ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾[1]. وفيها: أنه ليس للإنسان إلا سعيه أي: عمله فكما أنه لا يتحمل ذنب غيره، فلا يحصل له من الثواب إلا ما كسبه، ولا تعارض بين هذا وبين قول رسول الله ﷺ: (**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**)[2]. وذلك لأن كل هذا من كسبه، فعلمه من كسبه وصدقته من كسبه وولده كذلك وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولد الرجل من كسبه**)[3].

---

(١) سورة فاطر من الآية ١٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (١٦٣١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٤٤٥١ .

(٣) أخرجه النسائي في كتاب البيوع، باب الحث على الكسب، برقم (٤٤٦١)، سنن النسائي ج٧ ص٢٧٦، وأبو داود في كتاب الإمارة، باب في الرجل يأكل من مال ولده، برقم (٣٥٢٨)، سنن أبي داود ج٣ ص٢٧٤ .

وفيها: أن عمل الإنسان وسعيه في الدنيا سوف يكشف يوم القيامة، وفي هذا قال تعالى ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أي: إليه معاد الخلائق كلها لا محالة ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ أي: جعل في عباده الضحك والبكاء ومسبباتهما؛ فالعبد يضحك لسرور نزل به من مال، أو ولد أو راحة في نفسه، ويبكي لما قد ينزل به من النوائب والهموم

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٥ .

كفراق الأحبة، وقد يبكي من المرض والخشية من العذاب ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ أي: هو الذي خلق الحياة وخلق الموت وقدَّرهما بآجال معلومة ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ أي: خلق الذكر والأنثى ليحصل التناسل بينهما ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ أي: من قطرة المني التي تتلاقح من الزوجين ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أي: هو الذي بقدرته وإرادته يحيي الخلائق بعد موتهم؛ ليقوموا بين يديه يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي: أغنى عباده بما يسره لهم من أسباب الكسب والرزق وأقناهم أي: أنعم عليهم من أنواع الرزق بما يكونون به مقتنين للمال ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ وهو الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء وكان هذا الكوكب معظما عند العرب في الجاهلية يعبدونه فبيَّن تعالى أن الشعرى مخلوق وأنه هو الذي خلقه وغيره من الكواكب ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: أهلك عادا قوم هود، فهي الأولى في الهلاك قبل ثمود، وقد أهلكها الله بالريح الصرصر ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ وهم قوم صالح وقد أهلكهم الله بالصيحة الشديدة ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: أهلك قوم نوح قبل هلاك عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ أي: كانوا أشد كفرا وتمردا من الذين أتوا بعدهم من

الأمم، حيث طالت مدة نوح فيهم فلم يزدهم ذلك إلا تكبرا وطغيانا حتى قيل إن الرجل منهم كان ينطلق بابنه إلى نوح فيقول له احذر هذا الرجل فإنه كذاب ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ المراد بهم: قوم لوط ائتفكت بهم مدنهم أي: انقلبت عليهم حين رفعها جبريل إلى السماء ثم هوت فصار عاليها سافلها ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ أي: أرسل لها من الحجارة ما أرسل ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ أي: فبأي نعم ربك تمتري أيها الإنسان.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن المصير والمنتهى إلى الله يوم القيامة. وفيها: بيان مظاهر قدرة الله وعظمته في خلق أسباب الضحك والبكاء والموت والحياة وخلق الزوجين من نطفة صغيرة وإحياء الخلائق بعد موتهم وأنه رب كل شيء ومليكه، وأن الأفلاك كلها مربوبة. وفيها: أيضا بيان قدرة الله وعدله في خلقه حين أهلك الطغاة من الأمم الذين كذبوا رسلهم.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: هذا النبي والرسول محمد هو نذير مثله مثل الرسل المنذرين قومهم من الضلال كما في قوله تعالى ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1]. ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ أي: قربت القيامة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: لن يدفعها أحد إذا حل أجلها، وستبقى في علم الله وحده لا يعلمها إلا هو ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ في هذا إنكار ووعيد للمشركين والمراد أنكم من القرآن تعجبون أي: تكذبون به ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء وسخرية منه ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ خوفا مما ورد فيه من الوعيد بالعذاب الذي سيحيق بكم إذا لم تتوبوا من ضلالكم وشرككم ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ أي: غافلون ومعرضون عما جاءكم من الحق والهدى ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ أي: اخضعوا له جزاء فضله وانقادوا لطاعته ووحدوه في عبادته واشكروه على نعمه.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن رسول الله ﷺ أحد الرسل المنذرين لأممهم وأقوامهم كما قال عليه الصلاة والسلام: (**وإني أنا النذير العريان**)[2]. وفيها:

---

(١) سورة الأحقاف من الآية ٩ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، برقم (٦٤٨٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٣٢٢ .

قرب قيام الساعة كما قال تعالى ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[١]. وقوله ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[٢]. وفيها: ذم كثرة الضحك الذي يغفل به القلب عن الذكر، وقد روي أن رسول الله ﷺ لم يضحك بعد نزول هذه الآية، وإنما كان يتبسم، وفي حديث أبي هريرة أنه لما نزل قول الله ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ قال أهل الصفة: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال عليه الصلاة والسلام: (**لا يلج النار من بكى من خشية الله**)[٣]، ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله، ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم ويرحمهم إنه هو الغفور الرحيم[٤]. وفيها: أنه يشرع السجود عند تلاوة آية السجدة وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس[٥].

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١ .

(٢) سور القمر الآية ١ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، سنن الترمذي ج٤ ص١٥٠، برقم (١٦٣٩) .

(٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص١٢٢، والحديث أخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٤ ص٥٩٣، برقم (١٩٥٠) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا﴾، برقم (٤٨٦٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٨٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القمر

مكية وآياتها خمس وخمسون آية

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ هذا بيان من الله أن الساعة قد اقتربت، وأن الدنيا سوف تنتهي قريبا، ومن دلائل ذلك بعثة رسول الله ﷺ وانشقاق القمر معجزة له؛ ذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما فلم يؤمنوا بل قالوا سحرنا محمد(١). وفي هذا قال تعالى ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ أي: هذا سحر باطل، سحرنا به محمد وليس حقيقة ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ أي: كذبوا ما جاءهم من الحق واتبعوا في تكذيبهم ما أمرتهم به نفوسهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ﴾ مختصرا، برقم (٤٨٦٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٨٤ .

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: كل أمر واقع بأهله إن كان خيرا فهو خير لهم، وإن كان شرا فهو شر لهم ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: جاءهم من أخبار الأمم السابقة وقصصها وما حل بها من العذاب حين كذبت رسلها ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: موعظة وعبرة لهؤلاء المشركين تزجرهم عن الكفر لو كانوا يتدبرون القرآن ويعقلون ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ أي: إن هذا القرآن حكمة بالغة لمن أراد أن يهتدي بما فيه، ويسلم من الضلال ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي: ما تغني النذر لقوم يكذبون آيات الله وما جاء به رسوله ويصرون على هذا التكذيب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الساعة قد اقتربت، وأنها قائمة لا محالة كما قال تعالى ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[1]. وفيها: بيان بعض علامات الساعة ومنها: البعثة النبوية لقول رسول الله ﷺ: **(بعثت والساعة كهاتين)**[2]. ومن علامات الساعة: انشقاق القمر، حيث انشق على عهد رسول الله ﷺ فلقتين فرآه أهل مكة كما رغبوا أن يروه، ومع ذلك لم يصدقوا بل قالوا: هذا سحر. وفيها: تحريم اتباع

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾، برقم (٤٩٣٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٦٠ .

الهوى إذ أن من أخطر ما يصاب به المرء اتباعه لهواه كما قال تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ الآية[١]. وفيها: أن النذر لا تنفع الذين يتبعون أهواءهم ويصرون على كفرهم؛ لأن قلوبهم قد انطبعت بسبب هذا الكفر على دفع الحق واتباع الباطل.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض يا محمد عن هؤلاء الذين كذبوا بالآية واتركهم لحكم الله فيهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي: إلى ذلك اليوم الذي تجتمع فيه الخلائق للحساب والجزاء ويرون ما فيه من الأهوال ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: ذليلة منكسرة في نظراتها ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: من قبورهم ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ أي: مثلهم في انتشارهم وذهابهم للحساب مثل الجراد الذي ينتشر في السماء ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ أي: مسرعين إلى داعي الله لا يتخلفون عنه ولا يتأخرون ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي: يتحدث الكافرون إلى نفوسهم والى أصحابهم أن

---

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٣ .

هذا اليوم يوم عسير عليهم لما يعرفونه من سوء أعمالهم وكفرهم وتكذيبهم بآيات الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وصف لحال الخلائق يوم تقوم الساعة فيخرجون من قبورهم أذلة أبصارهم من هول ما يرون فينتشرون في الآفاق، متجهين إلى الله، مثلهم في ذلك مثل الجراد حين ينتشر في الأفق. وفيها: أن الكفرة يرون عسر ذلك اليوم عليهم كما قال تعالى ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[1]. ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[2].

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ هذا بيان من الله لرسوله يسليه فيه

---

(١) سورة المدثر الآية ٩ .

(٢) سورة المدثر الآية ١٠ .

عما وجده من قومه، ويبيِّن له أن قوم نوح كذبوه من قبل حين دعاهم إلى توحيد الله وعدم الشرك به فاتهموه بالجنون وزجروه وحاربوا دعوته كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ أي: دعا نوح ربه أني ضعيف، وقد تعبت من دعوتهم فلم يستجيبوا لي فانتصر لدينك وقد استجاب الله دعوته بقوله ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ أي: أنزلنا المطر بغزارة ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: نبعت عيونا ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: التقى ماء المطر وماء العيون لما قدره الله أن يهلكهم بالطوفان، جزاء كفرهم وتكذيبهم لنبيهم ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ أي: حملناه ومن معه من المؤمنين في السفينة ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: تحت قدرتنا وحفظنا ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جعلنا هذا الطوفان جزاء للذين كفروا بآياتنا وانتصارا لنبينا نوح ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ أي: تركنا سفينة نوح وقيل الطوفان ليكون في ذلك عبرة لمن يكذبون رسلهم ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ أي: هل من متعظ ومعتبر بما حدث لقوم نوح؟ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ هذا استفهام للتعجب والمراد تهديد للمشركين أن يصيبهم العذاب؛ بسبب تكذيبهم لرسولهم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلنا لفظه ومعانيه وبيناه لمن يتذكر به ﴿فَهَلْ مِنْ

﴿مُّدَّكِرٍ﴾ أي: هل من معتبر ومتعظ بما فيه من البراهين.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير واقعة الطوفان، وما حدث فيها من نجاة المؤمنين، وهلاك المكذبين لرسولهم نوح. وفيها: تقرير أن الله يستجيب دعاء المغلوبين على أمرهم لضعفهم وقلة حيلتهم، واستبداد القوي عليهم. وفيها: أن الله إذا أهلك قوما ترك آية لغيرهم؛ لكي يتعظ ويعتبر بها. وفيها: الحكم بأن الله يسر القرآن للتذكر، فمن أراد الاهتداء اهتدى به.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢)﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ أي: كذبت عاد نبيها هودا كما كذب قوم نوح نبيهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ هذا استفهام للتعجب كما ذكر والمراد انظر يا محمد كيف أصابهم العذاب، وهو ما بيَّنه تعالى بقوله ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: ريحا شديدة ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ أي: جاءتهم هذه الريح في يوم شؤم عليهم؛ بسبب تكذيبهم لرسولهم

ثم وصف الله هذه الريح بأنها ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أي: أنها كانت ترفع الواحد منهم ثم تنكسه على رأسه فيخر صريعا على الأرض ثم تنزع رأسه فيبقى جثة بلا رأس فيكون مثل قعر النخلة التي قلعت من جذرها ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: انظر كيف كان العذاب الذي حل بهم، وهذا تهديد للمشركين كما ذكر آنفا. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: هل من يتدبر ويتعظ.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما حدث من العذاب لقوم عاد الذين كذبوا رسولهم هودا ووصف هذا العذاب بأنه استمر عليهم سبع ليال متتابعات، فكانت هذه الريح تنزع رؤوسهم وتدخل الحصون التي تحصنوا فيها فتخرجهم منها ثم تصرعهم. وفيها: الحكم بأن قوة الله غالبة على كل قوة في الوجود.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ أي: كما كذب قوم نوح وكذبت عاد قوم هود كذبت ثمود -وهم أهل الحجر- نبيهم صالحا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: كذبوا بما أنذرهم به نبيهم صالح ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ أي: كيف نتبع واحدا مثلنا ﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ أي: لو اتبعناه فإنا غير رشيدين وغير عقلاء ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: أيعقل أن يوحى إليه من دوننا ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: متجاوزٌ الحد في الكذب ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ أي: سيعلمون حين يرون العذاب الذي يحل بهم من هو الكذاب الأشر، وهذا تهديد ووعيد شديد لهم. ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: اختبارا لهم حيث قالوا لنبيهم صالح: إن كنت رسولاً حقّا فاسأل الله أن يخرج من هذه الصخرة في هذا الجبل ناقة فسأل الله -كما ذكر من قبل- أن يعطيه ما سألوه فخرجت من الصخرة ناقة عُشَرَاء حسبما سألوا لتكون حجة عليهم ثم أمر الله رسوله صالحا أن يراقبهم ليرى ما يفعلون وهل يؤمنون ويصدقون كما قال تعالى ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾ ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي: أخبرهم أن الماء يوم لهم ويوم للناقة ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: يحضره من هو له من ثمود أو الناقة فتحضر الناقة يوم قَسْمها

وتغيب عنهم يوم قسمهم ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ أي: دعوا صاحبهم واسمه قدار بن سالف، وطلبوا منه أن يعقرها ففعل، فلما رأى صالح ما فعله قومه بكى وقال: لقد حل بكم عذاب الله؛ لأنكم انتهكتم حرماته ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: انظر يامحمد كيف كان العذاب الذي حل بهم بعد عقر الناقة وهو ما أخبر عنه بقوله تعالى ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ أي: صاح بهم جبريل صيحة تقطعت منها قلوبهم فأصبحوا مثل الهشيم المتحطم في حظيرة الماشية ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: هل من متعظ ومعتبر؟

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن سنة الله اقتضت أن يتعرض المكذبون لآيات الله ورسله في كل زمان ومكان لغضب الله ونقمته وإهلاكهم بالعذاب. وفيها: أن قوة الإنسان وحضارته وشدة بأسه وقوة صناعته لا تنفعه بشيء أمام قدرة الله. وفيها: أن الله حين يعطي الكافرين مبتغاهم في الدنيا إنما يفتنهم فيما يعطيهم؛ ليرى ما إذا كانوا سيشكرونه أم يكفرون به، وعندئذ يعاملهم حسبما هم عليه من الشكر أو الكفر. وفيها: أن من شقاوة الإنسان أن ينتهك حرمات الله ويتعدى على حدوده كما فعل قدار بن سالف أشأم ثمود.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ أي: كما كذبت الأمم من قبل، كذبت قوم لوط نبيهم وعصوه عما نهاهم عنه من ارتكاب الفواحش المقيتة، وهي إتيان الذكور، فأرسل الله إليهم جبريل فحمل مدائنهم وهي (سدوم) وما حولها إلى أفق السماء ثم قلبها عليهم، وأرسلها إلى الأرض وأتبعها بحجارة صغيرة أصابت كل واحد منهم بحجر كما قال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ وقد نجى الله لوطا ومن كان معه من المؤمنين من أهله ومن غيرهم كما قال تعالى ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ أي: آخر الليل ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: أنعمنا عليهم بإنجائنا إياهم مما أصاب قومهم ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ أي: كذلك نجازي الذين يشكرون ربهم ويأتمرون بما أمرهم به وينتهون عما نهاهم عنه ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ أي: أنذرهم لوط قبل نزول العذاب بهم بأن من يعرض عن أمرنا سوف نأخذه

بالعذاب الشديد ﴿فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: لم يصدقوا ما جاءهم به بل شكوا فيه ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ وذلك حين علموا بمجيء الملائكة إلى لوط فأضافهم فراودوه عن ضيوفه بعد أن أعلمتهم زوجته عن وجودهم لديه ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ فأعميت عيونهم فرجعوا على أدبارهم ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: ذوقوا ما حل بكم جزاء عملكم القبيح.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: فاجأهم في الصباح عذاب دائم لهم لاقوه في الدنيا وسيلاقون عذاب يوم القيامة ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: ذوقوا جزاء كفركم وعملكم القبيح ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلنا لفظه ومعانيه وبيناه لمن يريد أن يتذكر به ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: هل من متعظ.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله يجزي الشاكرين لنعمه، ويزيدهم منها كما قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[1]. وفيها: أن على المضيف أن يدافع عن ضيفه بوصفه في حمايته، وقد فعل لوط عليه السلام ذلك حين دافع قومه عن ضيوفه. وفيها: أن فعل قوم لوط لم يسبقهم إليه أحد من الأمم وأنه من أخس

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٧.

الأعمال وأقبحها وأقذرها.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ آل فرعون هم: القبط، جاءهم النُّذُر من الله على لسان موسى بن عمران وأخيه هارون ومعهما الآيات والبينات المؤيدة لدعوتهما لفرعون وقومه فما آمنوا بل تكبروا وطغوا وكذبوا فأخذهم الله بقوته وبأسه الشديد فاغرقهم في البحر كما قال تعالى ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ قوله تعالى ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ هذا الاستفهام المتضمن التهديد يراد به كفار قريش أي: هل كفاركم خير من كفار الأمم السابقة كقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم فرعون الذين أهلكهم الله؛ بسبب تكذيبهم لرسلهم ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أي: هل لكم براءة وحصن من العذاب قرأتموه في الكتب ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أم أنهم يقولون: إن جمعهم سوف ينصرهم وينجيهم

من العذاب؟ والجواب ليس لهم ذلك كله؛ لأنهم أضعف ما يكونون أمام قدرة الله وعظمته وهو ما أخبر عنه عز وجل بقوله ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي: سينهزمون لا محالة؛ فمنهم من قتل يوم بدر، ومنهم من فر مدبرا هائما على وجهه خوفا من الموت ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ أي: أن الساعة التي ينكرونها ستكون موعدهم، وحينذاك سيكون عذابهم أشد من عذابهم في الدنيا. وهو معنى قوله تعالى ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه لا فرق بين الكفار، مهما اختلفت أزمنتهم وأمكنتهم ومِللهم فكل من كفر بآيات الله، وكذب رسله، واتبع هواه سيحيق به العذاب أينما كان في أي: زمان أو مكان. وفيها: أن قوة الكفرة وبأسهم لا تغني عنهم شيئا أمام قدرة الله وبأسه. وفيها: أن عذاب الآخرة لا يقاس بعذاب الدنيا كما قال تعالى ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾[1].

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن

(١) سورة طه من الآية ١٢٧ .

مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ هذا بيان من الله بأن الذين أجرموا في الدنيا فأشركوا به وعصوه وانتهكوا حرماته هم في حياتهم الدنيا في ضلال وشكوك وبعد عن الحق ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يجرون على وجوههم حين يساقون إليها ويقال لهم على سبيل التقريع ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: ذوقوا عذاب جهنم الذي كنتم به تستهزئون وتكذبون ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ هذا بيان من الله أنه هو الذي خلق كل شيء في هذا الكون في علوه وسفليِّه وأنه قضاء قضاه وقدر قدّره، فما من شيء يحدث في هذا الكون من حادث كبير أو صغير إلا وقد قدَّره وكتبه في اللوح المحفوظ، وكل هذا بقوته وسلطانه حيث يقول للشيء كن فيكون كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾.

قوله ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ الخطاب هنا لمشركي مكة والمراد لقد أهلكنا من كان قبلكم من الكفار الذين كذبوا رسلهم

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ أي: هل من متعظ ومعتبر منكم بما حدث لهم؟ ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أي: كل ما فعله المشركون من الكفر والتكذيب والعصيان قد كتبه الحفظة من الملائكة وسيجدونه في صحائف أعمالهم كاملا غير منقوص ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ أي: كل صغيرة أو كبيرة من أعمالهم مسطورة في صحائف أعمالهم سوف يرونها بأنفسهم، فلن يستطيعوا إنكارها لأن أعضاءهم تشهد عليهم إذا أنكروها ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾ لما بيَّن الله حال المجرمين وما سيلاقونه من العذاب لقاء ضلالهم في الدنيا بيَّن عز وجل نقيضهم وهم المتقون الذين عبدوا الله حق عبادته فلم يشركوا معه غيره، ولم ينتهكوا حرماته بل صدقوا آياته ورسوله واتبعوا ما أمروا به، فهم في جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ هو الجنة دار الكرامة والرضوان ﴿عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ أي: عند الملك العظيم رب الكون ومليكه الذي خلق كل شيء وقدره بعدله وحكمته هو الأول والآخر والظاهر والباطن فله الحمد والثناء على ما أنعم به وأفضل على عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان مآل المجرمين يوم القيامة وعدل الله فيهم. وفيها: أن كل شيء في الكون علوه وسفليه هو مخلوق

بقدر الله وإرادته وسابق علمه كما قال تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾(١). وقوله ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾(٢). وفي الحديث: (**استعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**)(٣). وهذا يقتضي الإيمان المطلق بالقدر، وهذا الإيمان ركن من أركان الإيمان. ولا يشك في القدر إلا من نزع الله منه ربقة الإيمان، وفي حديث زرارة عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ قال: (**نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله**)(٤). وفيها: الحكم بأن أقوال العباد وأفعالهم مدونة في صحائف أعمالهم كما قال تعالى ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(٥).

---

(١) سورة الفرقان من الآية ٢ .

(٢) سورة الأعلى الآية ٣ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير إليه، برقم (٢٦٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٧٢٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٦٩ .

(٥) سورة الكهف الآية ٤٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرحمن

مدنية وآياتها ثمان وسبعون آية

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ اسم من أسماء الله عز وجل ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه الذي علَّم نبيه ورسوله محمدا ﷺ القرآن ثم تعلمته منه أمته كما أنزله الله إليه ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ أي: أن الرحمن هو الذي خلق الإنسان من العدم وعلمه النطق وفصاحة اللسان ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ أي: والرحمن هو الذي جعل الشمس والقمر يتعاقبان في نظام محكم لا يتبدل ولا يتغير ولا يضطرب ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ النجم: ما ليس له ساق من

النبات والشجر هو الذي له ساق وقيل إن المراد بالنجم هنا نجوم السماء، وعلى هذا فعلى أي: تفسير حملت فهما يسجدان خضوعا لله ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي: رفع السماء عن الأرض كما اقتضت بذلك إرادته وحكمته ووضع الميزان والمراد به آلته لكي ينتصف الناس من بعضهم حين يتعاملون ﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ أي: لا تبخسوا ولا تخونوا من وزنتم له ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل وعدم الجور ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي: لا تنقصوا إذا وزنتم لغيركم، بل يجب أن توفوا في وزنكم ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي: مهَّد الأرض وبسطها وسهلها لخلقه ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ أي: وضع فيها فاكهة متعددة الالوان والمذاق ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ أي: وضع في الأرض النخل بأكمامه والمراد بها وعاء الطلع ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ الحب: الحنطة والشعير، والعصف: التبن وسمي عصفا؛ لأن الريح تعصف به أي: تنثره، والريحان: كل بقلة لها رائحة زكية ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم الله الظاهرة والباطنة تكذبون؟ ونجيب على ذلك بجواب الجن المؤمنين لما تلا عليهم رسول الله ﷺ هذه السورة فكلما مر بقوله ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد[1].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٥٥) من سورة الرحمن، برقم (٣٢٩١)، سنن الترمذي ج٥ ص٣٧٢ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله هو الذي علم نبيه ورسوله محمدا ﷺ القرآن، وفي هذا دحض لافتراء المشركين ومن كان على ملتهم بأن القرآن لم يكن من عند الله، وإنما هو مفترى من محمد وفي ذلك قال عز وجل ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]. وفيها: أن الله هو الذي قرر العدل بين خلقه، ودلَّهم على صنع آلته وهي الميزان. وفيها: وجوب إقامة العدل وعدم بخس الناس حقوقهم كما قال تعالى ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2]. وقوله ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[3]. ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[4]. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[5].

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ

---

(١) سورة هود الآية ١٣ .

(٢) سورة هود من الآية ٨٥ .

(٣) سورة المطففين الآية ١ .

(٤) سورة المطففين الآية ٢ .

(٥) سورة المطففين الآية ٣ .

(١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ (٢٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) ﴾.

بيان الآيات:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ أي: أن الرحمن هو الذي خلق الإنسان ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ ﴾ أي: من طين يابس له صلصلة أي: صوت ﴿كَٱلْفَخَّـارِ ﴾ وهو الطين الذي يُحرَق حتى يصير مثل الحجارة وتصنع منه الأواني ونحوها ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ أي: خلق الجن من لهب النار ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ أي: فبأي نعم ربكم الدينية والدنيوية الظاهرة والباطنة تكذبون ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ أي: هو رب المشرق والمغرب ورب كل شيء ومليكه ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ أي: البحر المالح والبحر العذب يلتقيان ولا يمتزجان؛ لأن الله جعل بينهما حاجزا من الأرض هو البرزخ لكي ينتفع العباد بكل واحد منهما حسب طبيعته ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ المراد بهما: خرز للزينة خلقهما الله لنفع الإنسان وفائدته ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿وَلَهُ

﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ أي: السفن الجارية المرفوعة ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ في علوها وظهورها للعيان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فهذه هي نعم الله لكم أيها العباد فكيف تكذبون وتكفرون بهذه النعم مع أن الواجب عليكم شكر الله عليها ؟

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أن الإنسان خُلِقَ من طين كما قال عز وجل ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾[١]. أما الجن فقد خلقوا من لهب جهنم وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**)[٢]. وفيها: بيان الله لنعمه على عباده ومنها: ايجاد البرزخ بين البحرين المالح والعذب؛ لينتفعوا بكل واحد منهما حسب طبيعته. ومن هذه النعم خلق اللؤلؤ والمرجان؛ لما فيهما من منافع الإنسان وزينته، وهذه المنافع لا تزال مشهودة، ومنها: إلهام الله للإنسان صناعة السفن، حيث تطور هذا الإلهام إلى جعل السفن أحد المعالم الكبرى في العصر الحديث.

﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ (٢٦) وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ (٢٧)﴾

(١) سورة غافر من الآية ٦٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة، برقم (٢٩٩٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٢٧٥ .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٨ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠﴾.

بيان الآيات:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ أي: كل من في الأرض من إنس وجن وغيرهم من المخلوقات صائر إلى الزوال فلا يبقى إلا الله الحي القيوم ذو العظمة والكبرياء الذي خلق الخلق ويميتهم ثم يحييهم، فلا رب إلا هو ولا إله إلا هو ولا حي باقيا إلا هو فتقدست ذاته وأسماؤه وصفاته ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو الغني عن خلقه وهم المفتقرون إليه في دنياهم وأخراهم، فإذا دعوه استجاب دعاءهم، وإذا سالوه كشف ضرهم ورحمهم فأزال عنهم بأساءهم وضرّاءهم، وإذا شكروه على نعمه زادهم منها فهو دائما قريب منهم كما قال عزوجل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1]. ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: يغفر الذنوب ويفرج الكروب ويجيب الدعوات ويرحم العبرات ويغفر الخطايا والزلات لا يشغله شاغل، ولا يثقل عليه سؤال السائلين وإلحاح الملحين يتوب على التائبين ويغفر ذنوب المستغفرين، عمت فضائله ونعمه أهل الأرض

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

والسموات؛ فما من مخلوق في الكون في علوه وسفله حتى العصاة إلا وقد تقلب في نعمه فله الحمد والشكر على عطائه وهباته. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن كل من في الكون يفنى فلا يبقى إلا الله ذو العظمة والكبرياء كما قال عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1]. وفناء الجن والإنس موقوت إلى قيام الساعة ثم يبعثون للحساب والجزاء فيذهب أهل التقى إلى الجنة فيخلدون فيها، ويذهب المشركون والطغاة إلى النار ويخلدون فيها إلا من رحم الله منهم. وفيها: أن كل من في السموات والأرض محتاج إلى الله وأن من سأله فهو قريب إليه يجيب دعوته ويكشف ضره ويزيل بأسه ويغنيه من فقره ويعزه بعد ذله.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) سورة القصص من الآية ٨٨ .

بيان الآيات:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ أي: لحسابكم ومجازاتكم يوم القيامة حسب مافي صحائف أعمالكم والمراد بالثقلين الجن والإنس وسمّيا ثقلين لأنهما أُثقلا بالتكاليف ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قوله ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ﴾ أي: تهربوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي: إن استطعتم أن تهربوا من الحساب والجزاء فاهربوا، ولكنكم لن تقدروا؛ لأن قضاء الله وقدره محيط بكم من كل جانب فلا مفر ولا مهرب منه وإنما هي أعمالكم توفى لكم بالعدل من الرحمن. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: هل تكذبون بما تكونون فيه يوم القيامة أمام ربكم وهو الذي خلقكم أولا، ثم أماتكم ثانيا، ثم أعادكم إليه مرة أخرى، والجواب: لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي: لهب النار ﴿وَنُحَاسٌ﴾ أي: دخانها ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ أي: لا تقدرون إن اردتم الفرار من القضاء والفصل يوم القيامة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: هل تكذبون بقدرة الله؟ والجواب: لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد، هذا ما يجب أن يقوله العبد عند قراءة هذه الآية كما ذكره السلف.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله يفصل يوم القيامة بين الجن والإنس

فلا يستطيع أحد منهم الفرار في ذلك اليوم؛ لأنهم محكومون بأمره الذي يحيط بهم من كل جانب. وفيها: أن من تصور أنه يستطيع الفرار سوف يصاب بلهب نار جهنم ودخانها.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ هذا تتمة لما ذكره الله عز وجل عن أحوال يوم القيامة وفي تلك الاحوال تنشق السماء فتكون ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أي: تكون حمراء كحمرة الورد وتصير مثل الدهن في رقتها ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ أي: في ذلك اليوم الذي تقوم فيه الساعة وتنشق السماء ويعود الناس إلى ربهم لا يسأل الله العباد عن ذنوبهم؛ لأنه أعلم بها منهم وإنما يسألون لماذا عملتم ما

عملتم. ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد. ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: بعلاماتهم في وجوههم وهو اسودادها ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ أي: تأخذ الملائكة المجرم من ناصيته وقدميه فترميه في النار ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: تقول الملائكة الموكلون بالعذاب تقريعا لهم: أيها المجرمون هذه جهنم التي كنتم تكذبون بها وتستهزئون بمن يحذركم منها فاصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ أي: يترددون بينها وبين الحميم الذي اشتدت حرارته، فهم في تطوافهم يلاقون أشد العذاب لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الساعة حين تقوم يتغير الكون من أساسه فتنطمس النجوم، وتنسف الجبال، وتنشق السماء كما قال عز وجل ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[١]. وقوله

---

(١) سورة الفرقان الآية ٢٥ .

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[١]. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[٢]. وفيها: وصف للسماء حين تتشقق فتصبح حمراء اللون وتسيل كما يسيل الدهن. وفيها: تقرير أن الناس سيكون لهم علامات يوم القيامة فمنهم من يبيض وجهه ومنهم من يسود كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٣].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ لما بيّن الله ما لأهل النار من العذاب في الحميم بيّن أن لمن اتقى ربه وخشيه وأطاعه واجتنب معاصيه جنتين إحداهما عن طاعته، والأخرى عن ترك معاصيه ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد. ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ أي: أغصان، هذا وصف للجنتين أي:

---

(١) سورة الانشقاق الآية ١ .

(٢) سورة الانشقاق الآية ٢ .

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٠٦ .

فيهما ألوان وأصناف من الفاكهة ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد. ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أي: في كل واحدة من الجنتين عين تجري بالماء الزلال لا تتبدل ولا تتغير ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ أي: في كل من الجنتين أنواع من الفواكه التي يتنعمون ويتلذذون بها ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: فضل الخوف من عذاب الله عز وجل واستشعار عظمته وقوته وانتقامه من الطغاة والمكذبين والخوف ينبغي أن يكون من الله وليس من أحد من خلقه كما قال عزوجل ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

وفيها: أن الخوف من الله يوصل إلى تقواه، وقد وعد الله ووعده الحق أن للمتقي لربه جنتين: إحداهما عن طاعته لله، والأخرى عن ترك معاصيه، وفي هاتين الجنتين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٥ .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ أي: أهل الجنة ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: الغليظ من الديباج ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أي: ثمار أشجار الجنتين قريبة منهم متى ما أرادوا تناولوها ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: هل تكذبون بهذه النعم التي وعد الله بها المتقين؟ ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي: وفي الجنتين اللتين أعدهما الله لمن خاف مقامه زوجات غضيضات الأبصار طاهرات لا ينظرن إلا إلى أزواجهن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ أي: هن أبكار لم يطأهن أحد قبلهم من الإنس أو الجن فلم يطأ الإنسي الإنسية ولم يطأ الجني الجنية قبل زوجها ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أي: هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بهذه النعم ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ أي: هل جزاء من آمن بالله في الدنيا وعمل صالحا وخاف مقام ربه إلا الإحسان إليه ومجازاته في الآخرة بالأجر والثواب على عمله ولاشك أن هذا من عدل

الله ورحمته بعباده ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير طهر نساء الجنة وفضلهن فلا ينظرن إلا إلى أزواجهن، ولا يحببن إلا إياهم، وفي هذا دليل على أن الزوجة الصادقة في الدنيا هي التي لا تنظر إلا إلى زوجها، ولا تحب إلا إياه. وفي هذه الآيات: دليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة ويتزوجون من الجِنِّيَّات فيها. وفيها: أن من عدل الله في عباده أنه يجازي الذي أحسن في الدنيا وعمل صالحا بالإحسان إليه في الآخرة وزيادته على ذلك كما قال تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2]. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ ثم قال: (**هل تدرون ما قال ربكم؟**) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (**يقول ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة**)[3].

---

(١) سورة يونس الآية ٢٦ .

(٢) سورة النحل الآية ٩٧ .

(٣) أخرجه البغوي في تفسيره ص١٢٦٤، وابن الجوزي في زاد المسير ص١٣٨٢، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص٢١٥ .

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي: من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان دونهما في الفضل فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء بآلاء ربنا نكذب فله الحمد ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ أي: مسودتان من شدة الاخضرار ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: في الجنة عينان فياضتان أو فوارتان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ وقد خص الله النخل والرمان بالذكر من بين الفاكهة لشرفهما ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: كيف تكذبون بهذه النعم العظيمة المعدة لأهل الجنتين ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ أي: في

الجنتين نساء صالحات حسان الوجوه ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لا بشيء من آلاء ربنا نكذب فله الحمد ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ أي: إن تلك النساء الصالحات حور مخدرات في البيوت والحوراء من غلب بياض عينيها سوادهما ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لا بشيء بآلاء ربنا نكذب فله الحمد ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ أي: لم يطأهن إنس ولا جان قبل أزواجهن ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ونقول: لا بشيء من آلاء ربنا نكذب فله الحمد ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴾ أي: أن أصحاب الجنتين متكئون على الفرش الخضر العالية الحسان التي لها رفرفة تزيد في جمالها ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ أي: كيف تكذبون بما أعد الله للمتقين من الجنتين ونحن نقول: لا بشيء من آلاء ربنا نكذب فله الحمد ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ أي: تقدس الله ذو العظمة والكبرياء فله الحمد على آلائه وعلى فضائله وما أعده لأوليائه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير الفرق بين الجنتين اللتين أعدتا للمقربين، واللتين أعدتا لأصحاب اليمين. وقد أشار الله إلى هذا الفرق بينهما بالنص فقال في الجنتين الأوليين ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ وهي كثيرة الأغصان وقال في الثانية ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ أي: مسودتان من شدة

الاخضرار، فوصف الأوليين بكثرة الاغصان ووصف الأخريين بالخضرة وحدها. وقال في الأوليين ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ وفي الأخريين ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: فوّارتان ولكنهما ليستا كالجاريتين والنضخ دون الجري وقال في الأوليين ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ وهذا عموم وليس بخصوص وفي الأخريين قال ﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ ولم يقل: من كل فاكهة وقال في الأوليين ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو الديباج وقال في الأخريين ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ وفي ذلك فرق بينهما، وقال في الأوليين في وصف الحور ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ وقال في الأخريين ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان(١).

وفي هذه الآيات: خص الله نوعين من الفاكهة وهما التمر والرمان، فلابد أن فيهما من المنافع الغذائية والصحية أكثر مما في غيرهما. وفيها أن الله مدح المرأة التي تقر في بيتها، وهذا يقتضي ذم من تخرج من بيتها من نساء الدنيا لغير حاجة كما قال عزوجل ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾(٢).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٧ ص١٨٣-١٨٤، وانظر المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ج١ ص١٣٤٨-١٣٤٩ .

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٣٣ .

فهرس المجلد الثامن